[وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] « قرآن كريم »



السنوسي الكبير

عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي

(١)

بقلم
محمد الطيب بن ادريس الأشهب



طبع بعناية مكتبة القاهرة
بالأزهر ص . ب ٩٤٦ مصر

مطبعة محمد عاطف
١٧ حارة الزويعي - ميدان الخازندار
تليفون ٥١٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد :

شاء الله تعالى أن يشرفني بعضوية اللجنة التي تكونت للعمل على إقامة مهرجانات وطنية بمناسبة إحياء الذكرى المئوية الأولى لوفاة الإمام الأكبر والمصلح العظيم السيد محمد بن علي السنوسي مؤسس النهضة الليبية رضى الله عنه وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

ما كنت أحلم بهذا الشرف العظيم حتى وصلتني وأنا بالقاهرة رسالة من حضرة رئيس وزراء ليبيا ووزير خارجيتها السيد مصطفى بن حليم يشعرني بتشكيل لجنة عليا لنفس الغرض السابق ذكره قوامها فضيلة مفتي الديار الليبية الشيخ محمد أبو الاسعاد العالم ، رئيسا ، وعضوية السادة : عبد السلام بسيكرى وزير المعارف والشيخ عبد الحميد الديباني ناظر العدل والأوقاف بولاية برقة ، وكاتب هذه النبذة الذى يشغل منصب المستشار الصحفي بالسفارة الليبية في الجمهورية المصرية . وعقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات في العاصمة الغربية للمملكة الليبية المتحدة ، ورأت أن تكون ثلاثة لجان فرعية في كل من طرابلس وبرقة وفزان ، ولم تنته اللجنة العليا من أعمالها حتى تولى الشيخ عبد الرحمن القلهود وزارة المعارف الليبية فأصبح عضوا طبيعياً يعمل مع زملائه بهمة ونشاط ، كما انضم إليها أيضاً فضيلة الأستاذ منصور محمد المحجوب المستشار بالمحكمة الأتحادية العليا ، وأخيراً إنضم إليها حضرة السيد خليل القلال وزير الدولة الليبي .

اغتنمت هذه المناسبة وأردت أن أستجيب للرغبة الملحة في نفسي نحو سيرة إمامنا الأكبر المحببة إلى قلبي فأتقدم بعرض هذه النبذه المقتضبة وإن كنت

أعلم بأنها لاتشبع نهم الراغبين فى تتبع سيرة هذا المصلح الإسلامى العظيم صاحب هذه الذكرى العطرة إلا أنى أقوم بما يمكن القيام به كمساهمة متواضعة لنشر عبير السيرة السنوسية أسوة بأبناء ليبيا الكرام المدفوعين بمثل هذا الواجب المقدس لأحياء تاريخهم المجيد الذى لاتتسع له آلاف المجلدات ويضيق به محيط البحث والأجتهاد .

أخذت أراجع كل مصدر أحتفظ به من مخطوطات ومطبوعات ، وأفتش عن كل ماتمكنت سابقا من تدوينه — خاصا بهذا الموضوع — سواء أكان نقلا عن الرواة المشاهدين ، أو عمن أتصل بهم من الجيل الذى تلاهم ، وذلك بالإضافة إلى كل ما كنت قد نقلته عن بعض المخطوطات الهامة التى كانت تصبح بالكثير منها مكتبات الجغبوب والكفرة والزوايا السنوسية الأخرى ، ومع الأسف الشديد فقد عبثت بها يد الأستعمار الأيطالى الغاشم كما شارك فى مثل هذا العبث أيضاً عدد من محترفى سرقة الآثار والنفائس .

ومن بين المصادر التى رجعت إليها أثناء كتابة هذه النبذة بعض الوثائق التاريخية والرسائل المخطوطة التى أحتفظ بشىء منها ، ويحتفظ بغيرها من نوعها بعض المعارف ، وقد مكنونى — جزاهم الله خيراً — من الأطلاع عليها هذا وقد راجعت بعض ما كتبه الغربيون من أمثال « لويس رين Louis Rinn » و « دوفرير Duveyrier » فى كتابه

LaconfReRie Musulmane 1) I. Sl 1) Muhamme 1). Ben Esenusi

وقد صدر كتابه هذا فى باريس سنة ١٨٨٦م ، وكتاب « السنيور سيرًا الأيطالى ، وكتاب المستر ايفانس بريشارد البحاثة الأنجليزى ، وقاموس « لاروس » وكذلك كتاب المؤرخ التركى شهبندر زاده أحمد حلمى ، وكتاب « حاضر العالم الإسلامى تأليف البحاثة الأمريكى لوثرب ستودارد » هذه هى بعض مراجعنا الأفرنجية . أما مصادرنا العربية فمنها : تعليق الأمير شكيب

أرسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامى المذكور ، واليقظة العربية لأمين سعيد ، ورفع الستار لفضيلة الشيخ محمد الأخضر العيساوى وكتبنا الثلاث المطبوعة « برقة العربية أمس واليوم ، والحلقة الأولى من سلسلة كتابنا أدريس السنوسى ، والمهدى السنوسى » وكتابنا المخطوط « الإخوان السنوسيون » وكتاب « برقة الدولة العربية الثامنة للدكتور نيقولا زيادة ، وكتاب السنوسية دين ودولة للدكتور محمد فؤاد شكرى » « والمنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب لأحمد النائب الأنصارى » وجلاء الكرب عن طرابلس الغرب للرحالة التونسى محمد عثمان الحشائشى، وهو مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية ، « وصحراء ليبيا لأحمد حسنين باشا (والعرب تاريخهم بين الوحدة والفرقة لمحمود كامل المحامى) هذه هى بعض المصادر التى تمكننا من الرجوع إليها أثناء تدوين هذه النبذة اليسيرة من تاريخ الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى . وبما أن سيرة أبنه وخليفته الإمام (الثانى) السيد محمد المهدى السنوسى تعد جزءا لايتجزأ من تاريخ والده الإمام الأكبر فإننا سنتحدث عنه قليلا لأن سيرته ستتعرض لنا فى أغلب المواضيع التى وقع أختيارنا على تناولها لنتقدم بها إلى القراء الكرام ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نزجى الشكر لحضرة السيد أحمد بن أدريس عابد السنوسى الذى تكرم فاطلعنا على مالديه من المخطوطات النفيسة التى تتعلق بموضوعنا هذا والله المستعان .

الحركة السنوسية :

أثبت التاريخ الاسلامي والعربي الحديث أن الحركة السنوسية في مختلف نواحيها هي حركة إسلامية عظيمة لها شأنها في العصر الحديث ، وبطول بنا البحث لو أردنا محاولة استقصاء ماقامت به ، فما من ناحية من نواحيها إلا وتستغرق جهودا جبارة ووقتا طويلا لأن الحديث عنها والتحدث فيها يتطلبان شمولا ، فهناك من جزئيات هذه الحركة المباركة النواحي الدينية ، والعلمية والاجتماعية ،والسياسية والاصلاحية ، والفكرية والصوفية،وما إلى ذلك من المظاهر والجوهر ، وكل جانب من هذه الجوانب له أثره البالغ في التاريخين : الأسلامي والعربي ، وذلك لما اشتملت عليه من نبل في الغاية وسمو في المعنى وشرف في القصد وقدرة في الوسيلة ، ولذلك فإن قوة الموضوع وجلال الموقف وضيق الوقت يجعلنا في موقف من لا يستطيع التوسع ، ولهذا فإننا نحاول جهد المستطاع اعطاء القارىء فكرة عابرة يتمكن من مجموعها إلى التعرف عن بعض المحاولات وبعض ما جاءت به ومن أجل هذه الحركة الموفقة من اصلاحات شاملة لأحياء المجد الاسلامي العظيم ولبعث تعاليمه السامية ، ولإزالة كل ماعلق بالعقيدة من خرافات وشوائب ، ولا جدال في أن الحركة السنوسية أحرزت النجاح المنقطع النظير في مختلف ميادين الإصلاح الديني والدنيوي بصورة أدهشت مؤرخي هذه الحركة ومتتبعي خطواتها في العالمين الشرقي والغربي ، وكانت هذه الحركة ترسم في سيرها أثر السلف الصالح وتطبق في كل عمل من أعمالها نصوص القرآن الكريم روحاً ومعنى . وهكذا فإن الحركة السنوسية تاريخ قائم بذاته ، مستقل بأمجاده ، باق على صفحات الزمن . خالد بخلود الحقيقة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

السنوسى الكبير :

هو الإمام الأعظم والمصلح الأكبر محمد بن على بن السنوسى بن العربى ابن محمد بن عبد القادر بن شهيدة ، بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب ابن على بن يحيى بن راشد بن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوى ، أحد أمراء تاقدمت وتلمسان ، بن عبد الرحمن ، مؤسس إمارة تاقدمت ، بن يوسف بن زيان ، أحد ملوك المغرب الأقصى ، بن زين العابدين ، أحد أمراء تاقدمت ، بن يوسف ، عاشر ملوك الريف وباديس ، بن حسن ، تاسع الملوك المذكورين ، بن إدريس ، ثامن الملوك ، بن عبد الله بن أحمد ، سابع الملوك ، بن محمد ، سادس الملوك ، بن عبد الله ، خامس الملوك ، بن حمزة ، رابع الملوك ، بن سعيد بن يعقوب ، ثالث الملوك ، بن حمزة بن على ، ثانى الملوك ، بن عمران ، أول ملوك الريف وباديس ، بن إدريس الأصغر ، أمير المسلمين ومؤسس مدينة فاس ، بن إدريس الأكبر ، أول خلفاء الأدارسة بالمغرب ، بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الإمام حسن السبط أحد أولئك الذين تولوا الخلافة الإسلامية الكبرى ، بن رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت رسول البشرية وباعث الإنسانية وخاتم النبيئين محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا وقد أثبت العلماء هذا النسب الطاهر ، وحافظ عليه السادة الأدارسة كما رووه كابراً عن كابر . وقد نظمه العلامة السيد عبد الرحيم المحجوب فى قصيدة عصماء كما نظمه أيضا العلامة السيد أحمد بن إدريس الأشهب فى قصيدة مماثلة ، وكانت المنظومتان ضمن ما كان يحفظه الطلبة فى معهد الجغبوب وكان خديوى مصر إسماعيل باشا قد أمر بنقش سلسلة هذا النسب الكريم بأحرف ذهبية داخل إطار مذهب وأهداه ليعلق بحائط الضريح السنوسى الشريف وعرضت (اللوحة) التى تحمل هذا النسب على الإمام المعظم السيد

محمد المهدى السنوسى فعلق عليها رضى الله عنه بالأبيات التالية ولم يسبق له أن قرض الشعر :

« سلسلة من عسجد قد نظمت   بالجوهر المضىء من ضوء سما »
« فانبعثت شعشعة من نورها   أجلت ظلاما كان قبل قد طما »
« وابتهجت بابن السنوسى الذى   شمس علاه بهرت شمس السما »
« فانظر هنا منثور در تنظرن   روضاً نظيرا ناميا منمنما »

كان الإمام الأعظم السيد محمد بن على السنوسى حفيد الملوك والأمراء ، وسليل السلاطين والخلفاء والأئمة الكبراء لا ينظر لدعوته الإسلامية نظرة محدودة الجوانب ، أو يجعلها إقليمية محصورة ، ولكنه أخذ يعمل على تعميمها فى كل قطر إسلامى دون أن يتطرق إليه اليأس لأنه كان يرى وجوب العمل تجاه ما يعانيه المسلمون من حالة التدهور المخيف الذى أصبح شغل الإمام الشاغل ، ورجل كهذا شأنه التعمق فى التفكير نحو ما يجب عمله لا يرى لإجاباته حدا . لقد حفزته همته المفطور عليها ، ودفعه إيمانه الصادق ، القيام بهذه الحركة الإسلامية فى الوقت الذى سادت فيه الرذيلة وانعدمت الفضيلة ، وانهارت الأخلاق لا شك أنه سيلاقى من العقبات ما تنوء به الجبال الشم الرواسى ، إلا أن مقدرته الفائقة على العمل ، وعزمه الأكيد للجهاد وصبره (الأيوبى) على الشدائد ، وإيمانه بنفس العقيدة وإخلاصه الصادق للإصلاح كل ذلك كفيل بتذليل جميع العقبات .

ولد رضى الله عنه يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١٢٠٢ هـ ٢٢ ديسمبر ١٧٩٨ م فى بلد (مستغانم) من الجزائر ، وقد أثبت الرواة من ثقاة التاريخ السنوسى أنه ولد فى نفس اليوم والشهر الذى ولد فيه جده الأكبر محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك سمى « محمدا » ، ونشأ يتيما إذ أن والده السيد على توفاه الله ولم يبلغ وليده الفطام . وكان عنصر الإصلاح متوفرا

فى هذا الوليد المبارك الذى تنبأت جدته الفاضلة السيدة فاطمة بأن سيكون له شأن عظيم ، وكانت عوامل الاستقامة تتدرج مع سنه بتدرجه فى الحياة ، وأخذت العناية الربانية تهيئه لما كان ينتظره وذلك بحكم البيئة الصالحة التى ولد فيها والتربية الإسلامية الصحيحة التى نشأ عليها وفى وسطها . وكان والده العلامة السيد على السنوسى معروفا لدى المتصلين به بالصلاح والورع والتقوى ، والبراعة الفائقة فى الفروسية والرماية ، كما كانت السيدة الجليلة فاطمة جدة الإمام لوالده والتى تنبأت بمستقبله متضلعة فى العلوم الإسلامية (العقلية منها والنقلية) وكانت أيضا عمته الفاضلة السيدة فاطمة الزهراء التى كفلته بعد وفاة والده وتربى فى حضانتها من أشهر سيدات عصرها علما وعملا ، وفضلا ودينا ، وكانت تعمل بالتدريس والوعظ ، وهكذا فإن جميع أعضاء هذه الأسرة إذ ذاك من سادة وسيدات على هذا المنوال . فى هذا الوسط العلمى وفى هذا الجو الدينى ، وفى هذه البيئة الإسلامية نشأ الإمام السيد محمد بن على السنوسى على ما كان عليه سلفه الطاهر من العز والسؤدد ومن المجد والفضيلة . وكان طموحاً إلى تسنم درجات الفضل والشرف فكرس أيام شبابه لورود مناهل العلم الإسلامى على أسسه المتينة وقواعده الصحيحة مهما كلفه الأمر ، ومهما بعدت الشقة ، وبذلك فقد بلغ ما بلغه كبار المجتهدين الافذاذ ، وصار علماً من الأعلام التى يستضاء بهديها ، وإماماً تحنو لهيبته هامات الأئمة ، وحجة يعتد بها ويعتمد عليها فيما استنبط من كتاب الله وسنة نبيه الكريم . كان مؤسس السنوسية الأول فى المغرب هو إدريس الأكبر أول خلفاء الادارسة فى المغرب العربى الذى وصل إليه فرارا من اضطهاد العباسيين سنة ٧٢ هـ وكان يصحبه خادمه الأمين (راشد)

وهناك بايعه جميع البربر الذين نبذوا جميع ما كان بينهم من خلافات حول الرياسة وغيرها ، وأجمعوا أمرهم على تنصيبه إماماً وملكا . وحزبوا رأيهم على مناصرته ، وتولى رضى الله عنه مهام رئاسة هذه الدولة الإسلامية

الجديدة ولكن لم يطل بقاؤه فقد لحقت به الدسائس العباسية على أيدى صنيعة العباسيين المدعو سليمان بن حريز الشماخ الذى ندبه أسياده لاغتيال إدريس الأكبر وكلفته هذه المؤامرة الشنيعة أن يقتفى أثره من المشرق إلى المغرب . وقدم له قارورة تحمل طيبا كما ورد خبر ذلك فى كتب التاريخ وكانت القارورة مسممة الأمر الذى كان السبب فى وفاة إدريس الأكبر سنة ٧٥ هـ

ولنعد الآن إلى مواصلة حديثنا عن الإمام السنوسى فنقول : درس رضى الله عنه المذاهب الإسلامية القائمة وغيرها من المذاهب التى اندرست ولم يعد لها اتباع فى وقتنا الحاضر كما درس جميع الطرق الصوفية وعلوم الفلسفة الإسلامية دراسة تمحيصية ، ولم يترك وسيلة من وسائل العلم إلا وتشبث بها لاشباع رغبته التى أخذت تزداد ولا تقف عند حد لنيل أقصى درجات العلم ، ولهذه الغاية — وهى توسيع مداركه — جلس بين أيدى أشهر العلماء فى الجزائر ومراكش وتونس وانقطع إلى التفكير العميق فى ملكوت الله ، وكفى بذلك من دراسة تهذيبية روحية مفيدة . وواصل الأسفار كوسيلة من وسائل العلم نحو مختلف الأصقاع الإسلامية التى أمكنه الوصول إليها ليربط بين مختلف الدراسات العملية والنظرية بصورة تطبيقية ، ومن بين هذه البلاد التى زارها — عدا الشمال الإفريقى الذى قتل أرجاءه بحثا — طرابلس وبرقة والصحراء الليبية ، ومصر — ريفها وصعيدها — والبلاد الشامية والديار الحجازية ، ونجد وتهامة ، واليمن ، وقد اتصل فى كل من هذه البلاد بعلية القوم ومشاهير العلماء والحكام ، واختلط بأفراد الشعب ثم عاد إلى الشمال الإفريقى فتجول فى المدن والقرى والبادية ، واتصل بمختلف الطبقات فى كل من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى ، وهكذا فقد كانت اطلاعاته واسعة ومداركه عامة ، ودراساته وافرة زاخرة الأمر الذى مكنه من تنفيذ ما انتواه وعقد العزم عليه ، وكان قد انضم إليه عن طواعية وطيب خاطر فى كل من هذه البلاد التى زارها عدد كبير من فطاحل الرجال الذين أيقنوا

وجود ضالتهم المنشودة فى صحبته والاهتداء بهدى الاسلام الذى يتجسم واضحا فى حركته ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ،

هذا وقد عثرت على مخطوط قديم يستدل منه على أن عدد السفرات التى قام بها الامام الأكبر من الشمال الافريقى إلى مختلف بلاد المشرق العربى هى كما يلى :

توجه الامام الأكبر إلى الحجاز سنة ١٢٣٢ هـ الثانية : وصوله إلى طرابلس الغرب كان سنة ١٢٣٥ هـ . زيارة الامام الأكبر للمشايخ — لم أدر من هم المشايخ وفى أى بلاد كانوا — كانت ٢٨ رجب سنة ١٢٣٨ هـ ، الرابعة : دخوله إلى الحرمين الشريفين كان سنة ١٢٤١ هـ . وجاء فى نفس الورقة التاريخية الأثرية قول الامام الأكبر نفسه وهو : دخلت الحرمين الشريفين بنية أن (اقم) بالحرمين الشريفين ، وأسق ماء زمزم . وقد اتخذت تلك الحرفة وصرت ملازماً لها .

الخامسة : سفره من مكة إلى المغرب سنة ١٢٥٤ هـ السادسة : سفره من برقة إلى الحجاز سنة ١٢٦٢ هـ السابعة : سفره من الحجاز إلى برقة سنة ١٢٦٩ هـ .

دوافع الحركة :

حدثنا التاريخ الملى بالعظات والعبر عما وصل اليه المسلمون فى ذلك الوقت من تفكك وانحلال فى الدين وفى الخلق ، ومن ضعف وتخاذل ، ومن وهن ومحن ، وقد استشرى الفساد الذى تجسم فى تصرفات الحكومات الاستبدادية التى كانت تسيطر على مختلف الأقطار الاسلامية ومقدرات المسلمين حتى أصبح المنتسب على الاسلام معرة عليه . واستهدفت بلاد المسلمين فى كل صقع من أصقاعهم للاحتلال الأجنبى ، فهذه مثلا فرنسا نصبت شباكها لاحتلال

الشمال الأفريقي ؛ وهذه بريطانيا أخذت تتحفز لبسط نفوذها الاستعماري والعسكري على الاقطار الاسلامية والعربية فى الشرق بعد أن بسطت نفوذها الاقتصادي والسياسى على أكثرها بشتى الأساليب ، وهذه مصر كنانة الله فى أرضه أخذت التيارات المختلفة تلعب بها ، فمن سلطان المماليك الاستبدادي إلى الاحتلال الفرنسى الظالم إلى السلطان التركى الغاشم إلى تطلع مطامع الانجليز ، وقد أدى ضعف الدولة العثمانية إلى إستيلاء محمد على باشا على مصر وبسط سيادته الفردية عليها وكان الامام السيد محمد بن على السنوسى يرى - فيما يراه - أن ضعف العثمانيين - وفيهم سلطان الخلافة الاسلامية - قد أدى بهم إلى التهاون باحتلال فرنسا للجزائر ، وإيقاف غزوهم المنتزم عليها . وقد ورد عن أحد المؤرخين للحركة السنوسية (أن السيد محمد السنوسى يرى أن الأتراك حريصون على حكم العالم العربى واضطهاد العرب مما سيؤدى إلى محو شخصيتهم ،إستخفافا بحقوق المسلمين وإحتقارا للجنسية العربية) وإلى جانب كل ذلك أخذت الدول الغربية الأخرى تتوثب لأخذما اعتبرته نصيبها من هذه التركة المهملة التى أصبحت فى متناول أيدى الدخلاء نظراً لضعف صاحب الحق الطبيعى الذى أصبح معروفا عند الأوربيين بـ (الرجل المريض) ونستطيع أن نتصور ما وصل اليه المسلمون فى ذلك الوقت من قول الامام السيد محمد بن على السنوسى رضى الله عنه مجيبا على سؤال وجهه اليه أحد أساتذته الذى مر بتلميذه السيد السنوسى فوجده جالساً على كثيب من الرمال وقد استغرق فى تفكير عميق أخذ عليه مشاعره وملك حواسه فسأله قائلا «فيم تفكر يا بنى» ؟ وأجاب السيد السنوسى بقوله : «إننى أفكر فى حالة العالم الاسلامى الذى أصبح لا يعدو أن يكون قطيعا من الغنم لاراعى له ؛ وذلك على الرغم من وجود سلاطينه وأمرائه ومشائخ طرقه وعلمائه . . . . . إلى أن قال : « أن العالم الاسلامى لايزال مفتقراً إلى مرشد حقيقى يكون هدفه سوق العالم الاسلامى اجمع إلى غاية واحدة ونحو غرض واحد » ثم اردف قائلا : « أن المقاطعات والبلاد المعمورة تذهب من أيدى المسلمين فى كل وقت وبسرعة البرق فالأسلام فى حالة

التدهور الخيف ، وهذا ماأفكر فيه أيها الأستاذ ، وهنا سأله الأستاذ مرة أخرى قائلا : « ماذا يجب على المسلمين عمله لتلافى ما ذكرت ؟ » فأجاب عليه رضوان الله قائلا : « سأجتهد ، سأجتهد ، سأجتهد » لم تخرج إجابته هذه عن كلمة واحدة كررها مرتين ؛ وهى كلمة تحمل المعانى الجامعة التى تملؤ النفوس أملا وتطمئن القلوب لتحقيق الغاية المرجوة الممثلة فى تفكير السيد الأمام .

بدء التنفيذ :

استقر رأى الأمام رضوان الله عليه على أن يبتدىء بتنفيذ ما نواه ولخصه فى كلمته الجوابية المذكورة « سأجتهد ، سأجتهد ، سأجتهد » بالخطوة الأولى التى أراد أن تكون نواة أعماله الواسعة ؛ وكانت هذه الخطوة هى تأسيس المراكز الإصلاحية التى اشتهرت باسم « الزوايا » فابتدأ بتشييد أول مركز إصلاحى هو زاوية أبى قبيس بمكة المكرمة عام ١٢٤٢ ه وكان اختياره لهذا المكان بالذات راجع إلى عدة أسباب منها: ليكون على إتصال مستمر بوفود الحجيج الذى يؤم مكة من وقت لآخر ؛ ولاسيما فى موسم الحج ، وتضم هذه الوفود عادة مختلف الطبقات من العلماء والأمراء وعلية القوم ، والأفراد العاديين من من أبناء الشعوب ؛ وهناك يتمكن الامام من الأتصالات والمحادثة وشرح الحالة وتبادل الآراء ولفت النظر ، والتعرف إلى مايدور فى كل بلاد اسلامية لأن مكة المكرمة تعد بمثابة الندوة التى يجتمع فيها المسلمون ، وكان قد انضم إلى السيد الأمام فى تلك الديار ومن اليمن عدد كبير صار من اتباعه وتلاميذه وكان والحالة هذه يحز فى نفسه الكبيرة شىء لم يغفله ولم يتغافله أبدا ، ذلك هو الحال الذى يعانيه سكان بلاده ومسقط رأسه الجزائر من جراء الاحتلال الفرنسى ؛ الأمر الذى جعله يسافر من الحجاز بعد أن أوجد فيها عدة مراكز إصلاحية فى كل من المدينة المنورة وجدة والطائف والينبع وبدر وغيرها بالاضافة إلى زاوية مكة ، وكان فى سفره هذا محاولة للاتصال بالجزائر

والعمل على اشعال نار الثورة لتخليص الجزائر من الاحتلال الفرنسى إلا أن استعداده لم يكن قد اكتمل بعد فاكتفى بتوجيه بعض رفاقه من مدينته قابس إلى الجزائر يحملون تعاليمه وآراءه وبعض المساعدات المالية كما سيأتى تفصيل ذلك .

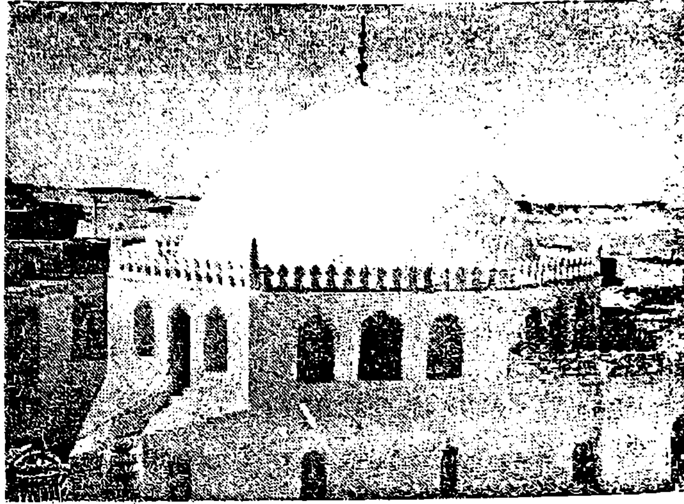
نشأة الإمام العلمية :

أشرنا فى مختلف أحاديثنا المقتضبة السابقة عن مكانة الأمام العلمية . وشغفه بتتبع العلم ومواصلة التعليم ومجالسة العلماء منذ كان يافعا . ورأينا أن نتوسع فى هذه الناحية بقدر ماتسمح به الظروف فنقول : لقد درس الإمام على عدد كبير من الشيوخ الاعلام ، ودرس فيما درس القرآن الكريم على سادة أجلاء منهم العلامة السيد محمد السنوسى فاجاد اتقانه بجميع رواياته كما أخذ عنه الفقه الشريف والعربية والتصوف وعلم الحديث ومن بين العلماء الاجلاء الذين درس عليهم فى بلدة مستغانم السادة محي الدين بن شلهة ، ومحمد بن عبد القادر بن أبى زوينة وعبد القادر بن عمور ، ومحمد القندوز الذى قتله حاكم الجزائر حسن بك سنة ١٢٤٤ هـ ١٨٢٩ م وكان هذا الشهيد من أعاظم علماء عصره وأجلهم مكانة وورعاً ، كما تلقى الإمام أيضا بعض علومه فى (مازونه) عن العلامة الجليل السيد محمد بن على الشارف المازونى ، والعلامة الجليل السيد أبى طالب المازونى والسيد ابو راس المعكرى ، وفى مدينة فاس عاصمة مملكة أجداده وفهرسة تاريخ أمجاده تلقى العلم عن كبار العلماء الاعلام منهم السيد حموده بن الحاج والسيد الطيب الكيرانى والسيد أبى بكر الادريسى والسيد حمدون بن عبدالرحمن والسيد ادريس بن زيان العراقى ، والسيد محمد البازعى والسيد محمد بن منصور والسيد محمد عمر الزروالى والسيد العربى بن محمد الدرقاوى وذلك من سنة ١٢٣٧ هـ ١٨٢٢ م إلى عام ١٢٤٤ هـ ١٨٢٠ م ولنترك الآن العلامة الجليل السيد فالح الظاهرى المهنوى تلميذ الإمام الأعظم يحدثنا فيقول :

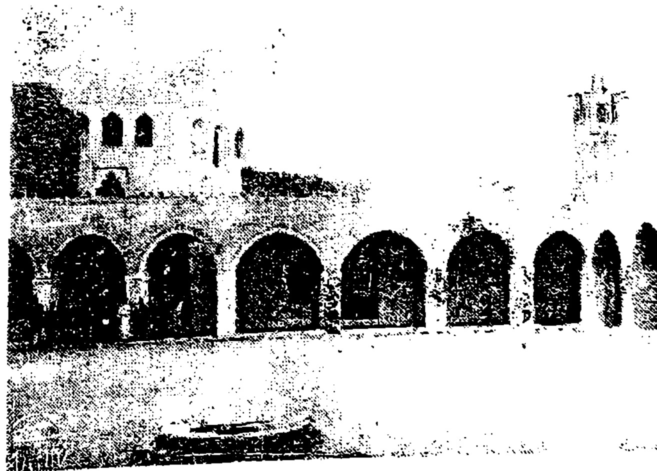
«وشيخنا هو شيخ الإسلام بشهادة جهابذة مشائخه الأعلام شريف الحسب والنسب السيد محمد بن على السنوسى الخطابى الإدريسى الحسنى، ولادته بالمغرب الأوسط بمنزل أسلافه الكرام على وادى شلف ، (مينا) من ضواحى مدينة مستغانم عام ١٢٠٢ ﻫ فى الثانى عشر من ربيع الأول ولذا سمى محمدا ، ومات والده وهو صغير ونشأ فى حجر عمته ، وكانت من الصالحات رحمها الله تعالى كما هو المألوف فى رجال أهل البيت الشريف ونسائهم ، وأشغلته بعلم العقائد والتوحيد صغيراً بعد أن جمع القرآن فأتقن الفن على أكابر علماء بلدته وكان ذلك الزمن كثير العلماء المحققين فى كل قطر من أقطار العربية حتى قال له بعض مشائخه — أن هذا القدر الذى معك من أصول علم الدين على صغر سنك لا يوجد عند أكابر علماء بلدك — ومن مشاهير بلاده الذين أخذ عنهم وأستصغى ما لديهم الشيخ الصالح أبو طالب المازونى ، وسيدى أبو المهل وابن قندوز المستغانمى وأبو رأس المعسكرى ، وابن عجيبة صاحب التفسير العجيب ، وسيدى محمد بن عبد القادر وأبو زوينه ذى السند العالى ، ومن مشاهير فاس الإمام العلامة المحقق فى المعقول والمنقول الغيث الثجاج والبحر المتلاطم الأمواج سيدى أحمد بن الحاج والعلامة المحقق سيدى الطيب الكيرانى والفهامة الجامع بين الرواية والدراية العلامة السيد محمد عامر المعدانى وسيدى أبى بكر الإدريسى ؛ وسيدى العربى بن أحمد الدرقاوى الشريف الحسنى من أهل الإستقامة ، وبمصر عن الشيخ على الميلى التونسى ، والشيخ ثعيلب والشيخ الصاوى من المالكية والعطار ، والقويسنى ، والنجار من الشافعية ، وبالحرمين الشريفين ، عن أبى سليمان العجيمى حفيد أبى البقاء وعن أبى حفص بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار ، وعن الإمام الأكبر والعلم الأشهر الإمام العالم العامل والإنسان الكامل مولانا شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الله بن إدريس الشريف الحسنى العرائشى ثم اليمنى دفين بلد صيبا ، فقد أخذ عنهم جميع علوم القرآن الكريم من قراءات

وتفسير ، وأحكام ولغات وآداب على أسلم طريق وأوفق نظام كالكتب العشرة فى الحديث والمسانيد والمجاميع والمعاجم ذات الثمر النضيد) .

هذا وكان جميع الأعلام الذين درس عليهم وتلقى عنهم مختلف العلوم قد أجازوه لما تحققوه فيه من الكفاءة والاهلية التى اتصف بهما ، وقد جلس لإلقاء الدروس فى جامع القرويين بفاس مدة سبع سنوات ، وفى هذا الأثناء أسندت إليه مشيخة ذلك المعهد العلمى الذى كان وقتذاك يضارع المعهد الأزهرى بمصر ، إلا أن السيد الإمام لم يرق له ذلك ، وأخذ يواصل دراسة الطرائق كالناصرية والحبيبية ، والجزولية والسريانية والمحمدية وغيرها من الطرائق المشهورة وقتذاك ثم تحول إلى «الأغواث» التى تعد مفتاح الصحراء وملتقى القوافل القادمة من السودان الغربى والذاهبة إليه ، وهناك ألقى — مدة من الزمن — دروساً فى الفقه والشريعة ، ونبه وأيقظ وحذر بقدر الإمكان ثم واصل سيره إلى (مسعد) فخلفه فأبو سعده ، وفى هذا الأثناء سقطت الجزائر فى أيدى الفرنسيين فغادر أبو سعده عام ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م إلى الشرق العربى ماراً بقابس وطرابلس وبرقة ولأول مرة يتصل مباشرة بعيون هذه البلاد التى تأثرت بمكانته العلمية وبعلو قدره وبجلال هيبته ، ثم واصل سيره لمجالسة العلماء الأعلام بمصر والحجاز غير مكتف بما وصل إليه من مكانة علمية مرموقة شهد بها أكابر العلماء مطأطئين لها الجباه ، ولكنه رضى الله عنه كان لا يكتفى بأى قدر من هذا السلاح الذى يراه خير ما يعتد به ويعتمد عليه فى ميدان العمل الواسع الأرجاء ، وتلقى فى مصر بعض الدروس عن كبار شيوخ المالكية والشافعية والحنابلة كما سبقت الإشارة إليه ، وناصبه بعض العلماء العداء تعصبا واندفاعا وجمودا وكان من بين هؤلاء الشيخ عليش الذى قال عنه الإمام نفسه وقد ذكر فى حضرته بعدائه إياه : (عفى الله عن الشيخ عليش وسامحه) فى حين أن عددا كبيرا من فطاحل العلماء وكبار الشيوخ شهد بفضله وبعلو كعبه ، وقد ذكر الرحالة التونسى محمد



المنظر الخارجي للمسجد السنوسي بزاوية الجغبوب



منظر خارجي للمسجد بالجغبوب ويلاصقه الضريح الشريف
الذي يضم رفات الإمام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وتحيات الله ورضوانه وعليهم فضله و[illegible] سبحانه
اما بعد فقد علمنا ما ذكرتم [illegible] امر البلاش ثم [illegible] ذكرتم [illegible]
المذكور وانه فيه قدر ما يكفي الخلوة وفيه موضع للصلاة فهو ايسر فيهذا النسب
من جميع ما ذكرتم فان تيسر بلا كلفة فهو المطلوب والله يجازي من [illegible]
خيرا [illegible] فيه الريب ذخرا للامة ما علمنا حقيقة حاله هل فيه احد ساكن
ام لا فان لم يكن فيه احد فهو المطلوب وان كان فيه احد فيسكن الاخوان فيه
فيه مع غيرهم غير منكر لان المراد منه ان يكون محلا للاقامة ذكر الله ونشر
العلم [illegible] ونحوه من زوايانا انتشر بفضل الله وايضا ما علمنا هل لابد ان فيه
محلا وانه ارض براح ان اريد زيادة شيء فيبنى ليكون معدا لمن يعمل في
فيه من الا[illegible] [illegible] خلاوية من جهة السعة والضيق فان تم
للابد من ذلك [illegible] مع العمدة الاخ [illegible] والاخ [illegible] رشيد وتبصروا
فيه وانظروا [illegible] والله الميسر للكتب [illegible] على مقتضى ما [illegible] الان
بيننا وبينكم فان هذا [illegible] كان ملكا للامير [illegible] ما صرف فيه
فان اعلمنا مبلغ ما صرف فيه [illegible] له ونترك لنا منزلته والاجر حاصل
له في جميع [illegible] واما الاخ [illegible] الذي ذكرتم انه خارج البلد [illegible]
حتى [illegible] من [illegible] البلد [illegible] من جهة الشيخ
على [illegible] الشريف بالصعيد [illegible]
[illegible] وليكن ذلك [illegible] الاخ [illegible] والسلام

كتاب من الامام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي بعث به إلى العلامة السيد عبد الله التواتي خليفته بإحدى زوايا الحجاز وهو بخط يده الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

رسالة من الإمام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي

صفحة من مسودة كتاب للإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى
وهى بخط يده الكريمة

عثمان الحشائشي فى مخطوطه المحفوظ بدار الكتب المصرية فقال : «عندما مر السيد السنوسى بالأزهر نظر إليه أحد المدرسين ، وأقام من حينه قائلا : انصتوا أيها العلماء ، لقد حل بين أظهركم إمام الأمة المحمدية ونبراس الشريعة المطهرة وشمس سماء المعارف الإلهية ألا وهو الشيخ الكامل محمد بن على السنوسى »

إن هذه الأسفار الشاقة التى قام بها الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى من فاس إلى مصر والحجاز — وقد ذكرنا بعضها — باحثا ومنقبا عن الوسيلة التى تمكنه من خدمة الإسلام ورفع شأن المسلمين ما هى إلا جزء من برنامج ضخم أخذ يعمل على تنظيمه ووضع الخطط الخاصة به ، وفى الوقت نفسه كانت عاملا من عوامل الاطلاع والاستطلاع ، إذ كان أثناء هذه التنقلات يقابل العلماء والحكام والأفراد ، وكان يعمل على توسيع مداركه وزيادة تعليمه وأن لم يكن — فى نظر عارفيه — محتاجا إلى علوم أخرى بالنسبة لما تحصل عليه إلا أنه عليه رضوان الله كان يتمثل نصب عينيه قول الله تعالى « وفوق كل ذى علم عليم » وفى هذه الأسفار كان يتجلى له بوضوح كلما يعانيه المسلمون من تدهور وانحلال ، وتأخر وانحطاط ، وفى ذلك يقول المؤرخ التركى شهبندر زاده ، عندما أخذ يتحدث عن زيارة الإمام لمصر فقال: « وقد أحدثت هذه الزيارة فى نفسه تبديلا عظيما وانتقش فى ذهنه أن الدولة العثمانية هى فى طريق الأنحطاط والأضمحلال ، كان هذا الأمر من بين الأمور التى أحدثت فى نفس الإمام العظيم قوة إلى جانب ما تنطوى عليه تلك النفس الكبيرة بفطرتها السليمة فاندفعت إلى مضاعفة الجهود . وكان آخر من تلقى عنهم العلم وجلس إليهم فى الحجاز هو شيخه العلامة الجليل السيد أحمد بن إدريس مؤسس الأسرة الإدريسية فى كل من اليمن ومصر والسودان ، وقد أطنب هذا السيد الجليل على مكانة الإمام السنوسى العلمية وعلو قدره وكمال فضله فأشاد بذلك وأمر تلاميذه بأن يسلموا قيادهم إلى هذه الآية الكبرى (محمد بن على السنوسى) وكان من بين هؤلاء التلاميذ السادة

الأعلام : محمد بن عثمان الميرغنى مؤسس الطريقة المرغنية ومحمد ظافر المدنى وإبراهيم الرشيدى وغيرهم من السادة الأجلاء . هذا وأننا لا نستطيع أن نحصى فى هذه العجالة أسماء الشيوخ الأفاضل الذين تلقى عنهم السيد الإمام تعليمه العالى والذين أجازوه بما هو أهله وقدذكرهم رضى الله عنه فى فهرسته الخاصة بأسمائهم وأسانيدهم وبأسماء الكتب الكثيرة والمطولات العديدة التى درسها ، كما ذكر ذلك أيضا فى كتابه « الشموس الشارقه فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة » وهكذا كان دأبه تتبع العلوم وتعليمها وتنوير الأبصار وتفهيمها ووضع الخطط للصالح العام وتقويمها .

(١) أثر المراكز الاصلاحية

١٢٥٧

فى سنة ١٢٧٥ هـ بدأ الإمام السيد محمد السنوسى بإنشاء أولى زواياه فى ليبيا ، وهى الزاوية البيضاء ، وذلك عقب عودته من قابس حيث كان يحاول السفر إلى الجزائر ، وكان الفرنسيون قد أحيطوا علما بذلك فحشدوا قواتهم العسكرية وعيونهم الخفية على الحدود التونسية الليبية والحدود الجزائرية الليبية لإلقاء القبض عليه ، أو على الإمدادات التى يشاع أنه أراد تزويد الثوار بها هناك ، وعلم رضى الله عنه وهو فى قابس بأن ليس فى إمكانه الوصول إلى الجزائر فأرسل بعض إخوانه إليها متنكرين وعاد إلى طرابلس حيث مكث بعض الوقت ثم واصل سفره إلى برقة وصام شهر رمضان من نفس السنة فى بنغازى ثم تحرك فى طريقه إلى الحجاز ولكن شيوخ القبائل وأعيان البلاد تمسكوا ببقائه وطلبوا منه تحقيق رغبتهم وكان من بين أولئك السادة المشائخ : على الأطيوش عمدة قبائل المغاربة وأبى بكر حدوث زعيم قبائل الحرابى يومذاك وأكبر شخصية مسئولة فى الجبل الأخضر ، وأبو شنيف الكزة عمدة قبائل العواقير ، ومن أعيان مدينة بنغازى السادة : الحاج محمد كاهية و الحاج الأمين بن شتيوى والحاج عبد الله بن شتوان ،

والحاج عبد الله منينه ومنصور وإبراهيم أمنينة ، وغيرهم من وجوه برقة ، ورأى السيد الإمام أن لا يخيب رجاء ملتمسيه خصوصا وأن حالة برقة تدعو لإهتمامه بها كجزء من البرنامج الواسع الذى وضعه لما إنتواه وعقد العزم عليه ، واستقر رأيه أن يتخذ أول مركز له بالجبل الأخضر على القرب من الموقع الذى به مثوى الصحابى الجليل رويفع بن ثابت الأنصارى وهناك ابتنى أولى زواياه بليبيا وأسماها البيضاء ، وانتشر فى أنحاء برقة خبر وجوده كما أخذت دعوته الاصلاحية الدينية تغزو القلوب التى تفتحت لها بسرعة فائقة وكانت بادية برقة كما هو المعروف تتخبط فى ديجور مظلم من الجهالة التى أرست أطنابها واستفحل أمرها بين مختلف السكان حتى كان بعض القبائل يوصف بالوثنية رغم اعتنـــاقها الإسلام الذى انتسبت إليه اسميا وبالفطرة وكان البعض من القبائل يؤدى فريضة الحج فى مواقع معروفة من برقة بدلا من الحج إلى بيت الله الحرام ، وكان بعضها لا يرى ضرورة صيام رمضان فيكلف من بين الشباب الأقوياء ثلاثين شابا على اعتبار أن رمضان ثلاثون يوما ليؤدى هذا الشباب واجب الصيام دفعة واحدة فى يوم واحد على اعتقاد أنه يكفى باسم المسنين والعجزة وأرباب الأعمال من أهل الحى وكانت أيضاً هناك طائفة من الأدعياء والدجالين الجهلة يدعون لأنفسهم مقام الولاية والصلاح دون معرفة أصول الدين وعلى غير علم به ، وكان حقهم فى هذا المقام هو بالتوارث خصوصا إذا ما كان بين هؤلاء الأدعياء من له صلة نسب شريف ولهؤلاء مكانتهم فى نظر العامة التى اعتقدت أنهم يتصرفون فى ملكوت الله أحياء وأمواتا ، وأنهم فى حالة الغضب أو الرضى يشقون ويسعدون ، وبالجملة فإن شعائر الدين لا يعرف منها شىء أصلا ، ولا يعمل منها بشىء ولو أردنا أن نساير هذا الموضوع وندون منه كل مايحدثنا به الشيوخ الذين أدركناهم بالرواية عمن عاش فى ذلك الوسط وشاهد بعينه ما كان يدور ، وعمل بنفسه بمثل تلك الأعمال لاحتجنا إلى عدة مجلدات ، ولم يكن فى هذه الروايات المتناقلة والتى لا يزال الكثير يتحدث

عنها مبالغة ; ولكن الدعوة السنوسية المباركة قد استأصلت من النفوس جذور تلك الجهالة التى كان من أبسط تصرفات المبتلين بها هو القتل والسلب لأتفه الأسباب ، وهكذا فقد تمكنت الدعوة ا ـ ـية من إيجاد نقطة تحول عظيمة فعم نور الإيمان الذى انجابت أمامه ظلمات الجهل ، وتوطدت أركان العدالة التى ضربت أطنابها فى جميع أرجاء برقة ، وانتشرت وسائل الوعظ والارشاد فى مختلف الأحياء البدوية بصورة أدهشت العقول وحيرت الباحثين ، وفى أمد قليل تخرج من بين أولئك الأجلاف الجهلة علماء عاملون يدعون إلى الخير وبه يعدلون ، وفى ذلك يقول أحدهم وهو العلامة الجليل السيد أبو سيف مقرب حدوث البرعصى من قصيدة عصماء امتدح بها الإمام (الثانى) السيد محمد المهدى السنوسى فوصف فى بعض أبياتها الحالة التى كان عليها قومه وكيف تحولوا عنها نتيجة للهدى السنوسى :

وكم من حريم قد أباحوا واجحفوا ... بمال غنى لا يخافون عاديا
وكم من جهول أسود اللون خلقة ... كساه لبوس العلم أبيض صافيا
وكم بدوى فى الفلا خلف نوقه ... يبول على الاعقاب أشعث حافيا
تلافاه فى مهوى الضلالة هاويا ... فأصبح نجما بالهداية عاليا
فتاهوا به فخراً على كل حاضر ... ومن جاور الأعلى يحوز العواليا

وفى هذا المعنى قال شاعر ليبيا الكبير السيد أحمد رفيق المهدوى يمدح الإمام (الثانى) السيد محمد المهدى السنوسى .

السيد المهدى أعظم مصلح ... بعد الأئمة جاء بالإصلاح
اصلاحه الدين الصحيح منزه ... عن جذبة المتصوف السباح
صان العقائد من خرافات ومن ... بدع ومن متناقض الشراح

ومنها قوله :

كانت طريقته القيام بسنة ... نبوية لألاءه الأوضاح
ليست لدروشة المريد وجذبه ... بالدف أو بالضرب أو بصياح
كانت معالمها كبيرة جده ... احياء دين وانتشار صلاح

إلى أن يقول :

يكفيه نشر الدين فى الآفاق من أقصى حدود (الشاد) حتى (الواح)
نصر لدين الله بين مجاهل صعبت على الرواد والسياح
فازوا من الفتح المبين بعزة الإسلام بعد عبادة الأشباح
وكفاه نشر للعلوم بناؤه لمعاقل مثل الحصون فساح
لتلاوة القرآن فى عرصاتها كدوى ثول النحل فى الإجباح
ولدارس التوحيد فى أرجائها هدى ينير إنارة المصباح
ولنهضة العمران كان بذاته يلقى دروس الحرث للفلاح
ويدرب الفرسان معتمدا على فن بأحدث عزة وسلاح
ويوحد الأهداف بين قبائل كانت فلول عداوة وتلاحى
هذه كرامات الامام السيد المهدى للايمان والاصلاح
للدين والدنيا وللأولى وللأخرى وللابدان والأرواح
لا كالكرامات التى يروونها كعجائب الفقراء غير صحاح
أو كالتصوف عند قوم أظهروا بلها بلبس الصوف والامساح
فكرامة الإصلاح بالخير الذى للناس فوق كرامة الصلاح

(٢) الحركة السنوسية مبعث الحركات فى الشرق :

شاء الله تعالى أن ينبثق فجر هذه الحركة الإسلامية الإصلاحية المباركة التى كانت تتدفق قوة وإيمانا للاصلاح الشامل وذلك فى الوقت الذى خيم فيه الجهل بظلامه الحالك فى جميع الأقطار الإسلامية التى بدأت منذ اللحظة الأولى للحركة السنوسية تستيقظ وتعى وهكذا فقد لعبت الحركة السنوسية دوراً هاما فى العصر الإسلامى الحديث وكان من بعض ثمراتها غرس الروح الإسلامية الصادقة. ولم تقتصر هذه الحركة على قطر دون آخر بل أخذت ـ كما أراد صاحبها ـ تغزو الكثير من البلاد الإسلامية (العربية والأعجمية) واحتلت السويداء فى النفوس ، وصار اعتناقها عن طوع واختيار فى حين

أن جميع البلاد الإسلامية كانت قد أصيبت ـ كما سبق أن ذكرنا ـ بتدهور وخارت العزائم وتثبطت الهمم واضطربت الأحوال واستبد الحاكم بالمحكوم وتداعت المقومات ، وبدأت أوربا فاغرة فاها متكالبة على التهام ما يمكن التهامه من تراث الإسلام والعرب والاستيلاء على البلاد وكان المسلمون والحالة هذه لا يقوون على دفع الأذى ولا حتى مجرد التفكير في وسائل دفعه بيد أن الغربيين قد استكملوا عدتهم وعددهم لتمزيق الامبراطورية الإسلامية الممثلة في الخلافة العثمانية أو فيما أخذوا يسمونه (بالرجل المريض) ولولا رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه بقيادة الامام الأكبر الزعيم الجليل السيد محمد بن علي السنوسي وقد أمدهم الله بروح منه وتجاوبت أرواحهم يومذاك في كل مكان لما كان من الاسلام إلا مسماه ومن الكرامة العربية إلا بعض شذرات مفرقة بين بطون كتب التاريخ الذي لم يجد قارئا منصفا . ولكن هذه الحركة المباركة التي أشرق نورها من الشمال الأفريقي ؛ وامتدت أشعتها إلى مجال السودان وغرب وأواسط أفريقيا وبطاح مكة وصحراء ليبيا قد جاءت في الوقت المناسب الذي اشتدت فيه الحاجة وكانت قد عاصرتها حركة مماثلة وإن كانت إقليمية ضيقة وأعني بها حركة الإمام المصلح الشيخ محمد عبد الوهاب تلك الحركة التي اقتصرت على شبه الجزيرة العربية ، وكانت تحمل في معناها ـ كما يقال ـ تطرفا لا تؤمن نتائجه ، ولذلك انحصرت في شبه الجزيرة أو على التحديد في نجد ، ومما هو جدير بالذكر أن الإمام محمد عبد الوهاب في الوقت الذي كانت الخلافة العثمانية تحاربه وتثير ضده الدعايات الجوفاء باسم الإسلام والمسلمين، وتعلن مروقه عن الدين وتأمر الخطباء في المنابر يشهرون به ، في هذا الوقت بالذات قام الإمام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي بزيارة نجد ، وكان يظهر إعجابه بنهضة الإمام محمد عبد الوهاب ويدعو له بالتوفيق دون أن يدخل في تفاصيل حركته ، ثم قام العلامة الجليل السيد جمال الدين الأفغاني بدعوته التي كانت من حيث الروح والهدف متفقة تماما مع الحركة السنوسية وقد سانده في حركته هذه تلميذه الإمام محمد عبده . وهكذا استيقظ العالم

الإسلامى الذى كان قد استغرق طويلا فى سباته العميق على هذه الصيحات المدوية التى رفعتها هذه الحركات الاصلاحية مجلجلة . وكان أسبقها فى الميدان وأوسعها انتشارا وأنجحها وسائل وأسرعها ثمرا هى الحركة السنوسية التى إهتدى بها الملايين من البشر لا فى ليبيا فحسب ولكن فى شمالى أفريقيا وفى مصر والسودان (الشرقى والغربى) والحجاز والهند وأندونيسيا وتركيا وإيران .

(٣) السنوسية دين ودولة :

قلنا أن الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى قد ركز وسائل عمله فى الحجاز بانشاء أولى المراكز الأصلاحية هناك (زاوية أبى قبيس) ثم ألحق هذا المركز بمراكز إصلاحية أخرى فى مختلف البلاد الحجازية ، وأقام عليها من تلاميذه الأفاضل من يقوم مقامه فى أداء هذه الرسالة ، ووصل إلى ليبيا فابتنى أولى المراكز الإصلاحية بها (الزاوية البيضاء) ثم باشر فى إنشاء عدد كبير من هذه المراكز فى برقة وفزان وطرابلس وكان فى هذه الحالة مشغولا باصلاح حال المسلمين على أوسع مايمكن إلا أن هناك ناحية أخرى كانت تحز فى نفسه الكبيرة وتملك منه الكثير من تفكيره إذ أنه لم يغفل هذه الناحية أو يتغافلها ، تلك هى الإحتلال الفرنسى لبلاده الأولى ومسقط رأسه الجزائر ، فكان يعمل جهد المستطاع على تقوية الثورة هناك ومدها بالأموال والرجال ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وقد أوفد فى فترات متفاوتة عددا من تلاميذه النجباء أمثال العلامة السيد محمد بن الصادق الطائفى ، والعلامة السيد محمد بن الشفيع والسيد الفاضل عمر الفضيل المعروف بأبى حواء ، والشيخ الفضيل أبو خريص الكزة .

وهكذا كان تفكيره وعمله موزعين بين البناء والأنشاء وبين الوقاية والعلاج وكان الحمل ثقيلا والمسئولية التى يشعر بها ويقدرها جد ضخمة . وفى سنة ١٢٦٢ ﻫ سافر إلى الحجاز بعد أن عهد إلى إخوانه بإدارة دفة العمل فى المراكز الإصلاحية بليبيا وبعد أن وجههم التوجيه السليم وأصدر إليهم

التعليمات التى حث على أتباعها ومراعاتها ، ونستطيع أن نلخص دستور المراكز الإصلاحية فى الجملة التالية وهى جامعة لأسمى المعانى وكانت ضمن ماجاء فى أحد كتبه إلى حاكم برقة العثمانى محمد صالح باشا قال عليه رضوان الله : (رتبنا لكل واحدة) - يعنى الزوايا - خليفة يقوم فيها بما ذكر من الجمعة وتعليم القرآن ودرس العلم ، ودلالة الخلق على دينهم وعودتهم إلى ربهم إلى أن قال :

وبذلك تبتهج الأرض حولها بأنواع الأشجار ، ويكثر بها السكان لكثرة الثمار ، وتنتشر العمارة وتتسع الإدارة) وجاء فى فقرة من كتاب آخر بعث به عليه رضوان الله إلى حاكم فزان العثمانى مصطفى باشا قوله : (والزاوية فى الحقيقة إنما هى بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده . إلى أن قال : والزاوية إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة ، وتعمر بها البلاد ويحصل بها النفع لأهل الحاضرة والبادية لأنها ماأسست إلا لقراءة القرآن ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان) وجاء فى فقرة أخرى من كتاب بعث به إلى والى طرابلس العثمانى المشير محمد أمين باشا : (وأما نحن فقد ألفنا من اعتدناه ورضيت به نفوسنا فنريد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة ، ونفوس سكانها مستقرة . ليحصل المقصود منها بدوام تعلم العلم وتعليمه ، وإقراء القرآن وتفهيمه ، وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها) .

من هذه الجمل المختصرة الجامعة نأخذ الفكرة الواضحة عن مهمة هذه المراكز الإصلاحية وما كانت تقوم به من أداء رسالتها الإسلامية الكبرى .

وما كاد يستقر المقام به فى الديار الحجازية حتى أخذت الوفود من أتباعه فى ليبيا والشمال الأفريقى تفد عليه ملتمسة منه العودة إلى البلاد التى تعلقت به وأصبحت تسير على منهاج هديه الواضح ، ولما كانت برامجه كما أسلفنا تتركز فى إيجاد المراكز الإصلاحية وتعميمها بقدر الامكان لتقوم بنشر التعليم وبث الروح التعاونية ورفع المعنوية التى أضعفها استفحال الجهل ، وبعث العزة فى النفوس الحائرة والعزائم الخائرة ، والتحصن بالخلق الإسلامى الكريم

استعدادا لما ينتظر الامام من أعمال واسعة النطاق ولهذا الغرض فقد كانت المراكز الإصلاحية من أنجح الوسائل فأنشأ الامام فى كل بلد زاره من جميع الأصقاع التى سبق ذكرها فى أفريقيا وآسيا ، مبتدئا بالمركز الاصلاحى فى الحجاز (زاوية أبى قبيس) التى كان تاريخ انشائها عام ١٢٤٢ هـ فقطعت هذه المراكز الاصلاحية شوطا بعيدا فى الطريق الذى رسمه ولم تقف هذه المراكز الاصلاحية عند حد الوعظ والارشاد بل تعدته إلى أعمال إيجابية كان أولى مظاهرها هو ذلك السلطان السياسى المقترن بالسلطان الروحى الذى سيطر على النفوس وأخذ نفوذه يتوسع بسرعة كما أخذ الحكام يعترفون بذلك تسليما بواقع الأمر ، وهكذا أثبت التاريخ أن الحركة السنوسية لا تفرق بين الدين والدولة فى حال من الأحوال .

(٤) فزع أوربا :

اختار الإمام السيد محمد بن على السنوسى لأتباعه فى كل قطر تسمية كانت غاية فى السمو الذى يربط بين مجموعة الاتباع روحا ومعنى وهى (الإخوان) وكان من بينهم المراكشى والجزائرى والتونسى والليبى والمصرى والسودانى والحجازى واليمنى والحبشى والهندى والتركى والشامى إلى غير ذلك من مختلف الأجناس واللغات ، وعهد إلى كل فرد قادر من هذه المجموعة المتباينة بحكم البيئة والتى أصبحت منسجمة متماسكة بعمل يؤديه بحسب أهليته لفائدة المجتمع فمنهم مثلا معلم القرآن والمدرس والواعظ والقاضى والحاكم والقائد والصانع والمزارع والعامل وحامل البريد ، وهكذا أصبحت برامج الإصلاح تسير بخطوات واسعة واستمر العمل على تأسيس المراكز الاصلاحية الذى يكون كل مركز منها وحدة مجمعة بهمة تفوق الهمم ؛ وعلى هذا المنوال فهناك أيضا من رسل الإصلاح من أخذ يجوب شمالى أفريقيا والسودان (تشاد) وغرب أفريقيا ومصر والحجاز واليمن لنشر دعوة الإصلاح بأصح

معانيها وكانت الجهود أثناء المرحلة الأولى من الحركة السنوسية منصرفة لناحية التعليم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ وإعطاء هذه الناحية المقام الأول من الإهتمام وذلك لتثبيت دعائم الإسلام على أصح القواعد المنزهة عن كل مايشين المسلمين قولا وعملا ، وأقبل الناس على هذه الدعوة أقبالا منقطع النظير وكان التجاوب الروحي قد أخذ مستواه بين جميع الأتباع في جميع البلاد التي وصلتها الدعوة المباركة ، وهناك شعر رؤساء الحكومات الإستبدادية بخطورة هذه الدعوة التي أخذت تنذر أنظمتهم الفاسدة بالأنهيار السريع وتهدد سلطانهم الغاشم بالزوال ، وهالهم إنتصار الإمام السنوسي المجرد في دعوته من كل سلاح إلا سلاح العلم والإيمان والإعتماد على الله والأعتداد بسيف الحق ، وتفتحت لهذه الدعوة صم القلوب واستوعبتها الأنفس وانشرحت لها الأفئدة الأمر الذي أوغر عليه صدور بعض المنتسبين على العلم والدين والذين لايعرفون إلا القشور والخاضعين لتوجيهات السلطات الإستبدادية كما كانت هذه الحركة قد أفزعت فرائص حاكم الجزائر حسن بك فعمل جاهدا ـ بعد أن قتل أحد شيوخ الإمام السنوسي الذي سبق ذكره ـ على معاكسة الإمام ، وعلى إقصائه عن الجزائر ، وهكذا عملت أيضا حكومة السلطان (مولاى سليمان) بمراكش إذ أخذت تنظر لصاحب هذه الدعوة بعين الأشمئزاز وعدم الإرتياح ، ولكن الإمام السنوسي كان معتدا برأيه مؤمنا بصلاح حركته ، راسخ العقيدة مصرا على العمل فاكتسب شهرة كبيرة في مختلف الأوساط الشعبية ولذلك لم تعمل فيه معاول الهدم وقد اضطر السيد الإمام ـ كما سبقت اليه الأشارة ـ إلى الإرتحال من فاس عام ١٢٤٥ هـ ١٨٢٩ م وفشل دعاة الفساد وأنصار الباطل في كل مكان عن إطفاء نور الله .

هذا وفي الوقت نفسه شعرت أوروبا بخطر هذه الحركة التي أخذت تهدد مصالحها الإستعمارية فأخذت تلتمس نقاط الضعف في أروقة (الأستانة)

لتقول للمسئولين هناك أن الحركة السنوسية بدأت تهدد السلطنة العثمانية فى ممتلكاتها قبل أن تهدد أوربا ومطامعها فى أفريقيا وفى الشرقين العربى والإسلامى بيد أن هذه الحركة التى أصبحت فى نظر أعدائها سيفا مصلتا كانت لم تعتمد بادى ذى بدء على حد السيف وإن كانت ترى وجوب وضعه فى اليد اليسرى إلى جانب وضع المصحف فى اليد اليمنى فلكلاهما وقته ولكلاهما كلمته وكانت دعامة هذه الحركة مستمدة من تعاليم الدين وقواعد الإسلام المبنية على العلم الصحيح ، وبذلك أخذت تشق طريقها غير مكترثة بما يوضع فيه من أشواك وعراقيل ـ شأن النفوس الكبيرة ـ فتغلغلت فى كل قطر وصلت إليه وآتت ثمرتها المرجوة ولو لم يكن هناك فضل لهذه الحركة إلا انقاذ الملايين من أبناء البشر فى السودان (تشاد) ومجاهله المجوسية من حضيض الوثنية إلى اعتناق الإسلام دين الإنسانية لكفى فكيف بها وقد حققت للإسلام وللمسلمين فى مواطن كثيرة ماسجله تاريخ الخلود .

٥ — كيفية تنظيم الوحدات المجمعة :

كانت عناية الإمام أثناء المرحلة الأولى من حركته موجهة ـ كما سبق أن قلنا ـ لإنشاء المراكز الاصلاحية التى كانت فى الحقيقة خير وسيلة للإصلاح والتهذيب ؛ وقرر أن تنشأ لكل قبيلة من القبائل زاوية تكون بمثابة المركز الذى ترجع إليه وإذا ما تعددت بطون القبيلة فتتعدد الزوايا بقدر الأمكان ليسهل للجميع جلب الصغار إلى الكتاتيب القرآنية ولتلقى مبادىء العلوم الدينية ، ولفض المنازعات التى كانت مستفحلة بين مختلف القبائل وكانت قد أدت إلى عدم الأستقرار ويتسبب عنها نشوب الحرب القبيلية من حين إلى آخر وكانت حكومة ذلك العهد تعجز عن قمعها ، وفى بعض الأحيان تكون الحرب بين قبيلة أو قبائل ضد الحكومة نفسها فتسميها الحكومة شق عصا الطاعة على حكومة الخلافة ولم تستطع منعها وتكلفها الكثير كما تكلف

الأهالى نفس الخسائر فى الأرواح والأموال فضلا عما تؤديه إلى السخرية بهيبة الدولة ، وأسفر الكثير من مثل هذه الحروب القبلية على إجلاء بعض القبائل عن ليبيا نهائيا ، ومن بين القبائل التى أجليت عن ليبيا : الهنادى ، والهمة ، وأولاد على ، والفوائد بما فيهم الرماح ، والجوازى ، وما لا يقل عن نصف قبائل الحرابى ، ومواطن هؤلاء الآن فى مصر بمديريات أسيوط والصحراء الغربية والبحيرة والشرقية والفيوم والمنيا ، ولكن لمجرد وصول الإمام السيد محمد بن على السنوسى إلى ليبيا وإنشائه مراكزه الاصلاحية (الزوايا) أخذت القبائل تقلع بسرعة عما تعودته وكان من فضل هذه الحركة السنوسية أن أبرمت صلحا وثيقا بين مختلف القبائل المتحاربة .

أختار الإمام أن يكون لهذه المراكز الاصلاحية مركزا رئيسيا ترتبط به ، وكانت زوايا ليبيا مرتبطة بالزاوية البيضاء ثم إستبدل هذا المركز الرئيسى بزاوية الجغبوب التى تم به إنشاء معهد على ينتسب إليه الطلاب المتخرجون من كتاتيب الزوايا وأصبح هذا المعهد — كما أراده الإمام — على غرار الأزهر الشريف بمصر والقرويين بفاس والزيتونة بتونس ، وأخذت المراكز الاصلاحية تقوم بمهمات إجتماعية كبيرة وعظيمة الفائدة منها إطعام الفقير وإيواء الغريب وفض المشاكل والخصومات الفردية والجماعية والنظر فى الأحوال والمعاملات الشخصية وإرشاد الخلق إلى الحق — وتعليم الصغار كتاب الله ومبادىء العلوم الدينية والدنيوية ، وتهذيب النفوس بنشر الآداب الإسلامية ومعالجة الأمراض الاجتماعية ، هذا بعض ما كانت تقوم به الزوايا السنوسية التى عبرنا عنها بالمراكز الإصلاحية ، ولمثل هذا الغرض السامى الذى استهدفه السيد الإمام كان إنشاؤها ، وتتميما للفائدة نرى وجوب التعرض إلى ذاتية الزاوية والأسس التى تقوم عليها والنظم المتبعة فيها :

١ — تتكون الزاوية من بيت خاص لإسكان شيخها وهو المسئول الأول وبيوت خاصة بالضيوف (المضيفة) وبوكيل الزاوية ومعلم الأطفال ،

والمسجد، والمدرسة القرآنية ، ومساكن الخدم ومخزن أو مخازن لحفظ المؤن ، وأصطبل ، وبستان ، ومتجر على الأقل ، وحجزة خاصة بالفقراء الذين لا عائل ولا مأوى لهم ، (وفرن) لسد حاجة السكان بالخبز .

ب — تتألف سلطة الزاوية من شيخها — المسئول الأول — ومن مجلس يضم وكيل الزاوية وشيوخ وأعيان القبيلة أو القبائل المرتبطة بالزاوية ، ووجهاء المجاورين ، ومهمة هذا المجلس هي النظر في مشاكل الأهالي وفض المنازعات أما بما يقتضيه الشرع الشريف الذي يمثله شيخ الزاوية ، أو بما جرت به العادة والتقاليد التي لا تتنافى مع متطلبات القضاء الشرعي .

ج — تقوم حول الزاوية مبان أخرى يقوم بإنشائها أغنياء الأهالي ليأوون إليها في موسم الصيف ويحفظون بها أثقالهم في حالة ضعفهم كما يقوم المهاجرون إلى الزاوية بإنشاء مساكن لهم على أن لا يحق لهم بيعها . ومن يغادر الزاوية منهم فلشيخ الزاوية إسكان غيره بالمحل المذكور وله حق الأولوية في استعماله متى عاد . ولولا ظروف الحرب الليبية الايطالية والأحداث التي طرات من جرائها لكان هذا النظام مدعاة للاستقرار ، ولأصبح البدو الرحل يميلون إلى التوطن تدريجيا وبدون إرغام عليه وهكذا فإن الزاوية بمثابة وحدة مجمعة لها جميع مقوماتها .

د — تسند أمامة المسجد في سائر الأوقات لمعلم الأطفال ، أما إمامة الجمعة فهي من واجبات شيخ الزاوية إلى جانب ما يقوم به من الوعظ وإلقاء الدروس . ومن الشروط التي يخضع لها المجاورون هي أن يتقدموا بأبنائهم إلى المدرسة القرآنية ولا حق لهم في سحبهم منها إلا إذا غادروا الزاوية ، وعليهم أيضا حضور صلوات الأوقات الخمسة بالمسجد .

هـ — يكون للزاوية حرم آمن يلتجأ إليه ، ويكون لها متسع من من الأرض الزراعية والآبار الجوفية والصهاريج لحفظ ماء المطر ، وجميع مجاوري الزاوية الحق في قطعة أرض زراعية من ممتلكات الزاوية لإستعمالها للزراعة على أن لا تنتقل ملكيتها من الوقف كما وأن لفقراء المجاورين بعض

المساعدات من الوقف . وتثبت ملكية وقف الزاوية للأراضى التابعة لها بإحدى الطرق التالية :

(١) الهبة والتبرع .

(٢) الشراء .

(٣) إحياء الأراضى البور وإصلاح الآبار الخربة وتجديدها .

(٤) نزع الموقع المتنازع عليه بين الأفراد والجماعات برضاء المتخاصمين حسما للنزاع ومن العادات المتبعة والمتعارف عليها بين شيوخ الزاوية هى : أن لا يتزوج أحدهم إلا بعد استشارة الجهات العليا والحصول على الموافقة وذلك لاختيار النسب والتكافؤ ، وتكون الزاوية ملزمة بنفقات هذ الزواج والانفاق على هذه الزوجة وأولادها ، وإذا تزوج الشيخ بزوجة أخرى فنفقات تلك على حسابه الخاص .

بهذا النظام البديع المحكم كانت المراكز الاصلاحية تتصرف وتصرف الأمور وكانت تلاقى العون الصادق من شيوخ وأفراد الأهالى الذين يدينون للزاوية بالطاعة ويضعون كامل ثقتهم فى وكلاء الامام الذين يمثلون سلطته الروحية والزمنية .

هذا وفى نهاية كل سنة يتقدم شيخ الزاوية بتقرير مفصل إلى السلطات العليا عن جميع أعماله ومقترحاته وما تام أو ينوى القيام به ، كما يقوم شيخ الزاوية من فترة إلى أخرى بزيارة المركز الرئيسى ، وهذه الزيارة تكون سنوياً أو على الأكثر لا تتأخر بعد سنتين عدا الحالات الطارئة ، ويصحبه الكثير من أعيان وشيوخ القبيلة . وهكذا فإن الزوايا السنوسية كانت بمثابة المراكز الحكومية المنظمة فهى مهابة الجانب وتتمتع بجميع السلطات الادارية والقضائية والسياسية وهى همزة الوصل بين مختلف السكان الذين وحدتهم هذه السلطة الروحية المقدسة الأمر الذى أثبت أن الزوايا جاءت بفوائد عظيمة يندر وجودها ويصعب إيجادها فى ذلك الزمن ، وفيما يلى نذكر صورة مصغرة لبعض ماجاء فى لائحة التعليمات الخاصة بنظام الزوايا فنقول :

(١) تبنى الزاوية على قطعة مختارة من الأرض بالاتفاق مع القبيلة أو القبائل صاحبة الشأن وعادة تكون على ربوة عالية تشرف على [illegible] ولها ويتوخى فيها المناخ الصحى . ويمثل السلطة الروحية العليا فى هذا الاتفاق شيخ الزاوية المقرر إنشاؤها أو وكيلا عن السلطة الروحية ريثما يتم تعيين الشيخ وتعتبر قطعة الأرض التى بنيت فوقها الزاوية والمساحة المتفق عليها من جهاتها الأربعة وقفا .

(٢) تقوم القبيلة أو القبائل صاحبة الشأن بتكاليف بناء المسجد والمدرسة وبيت الشيخ .

(٣) الحرم المتفق على تخطيطه حول الزاوية يكون حرما آمنا لمن دخله واستجار به . ولا يجوز أن يطلق داخله الرصاص . أو يشهر السلاح ، وكذلك المشاجرة وإعلاء الصوت بالغناء مثلا أو الخصام . كما يمنع فيه رعاية الحيوانات .

(٤) يقوم أفراد القبيلة بتقديم عمل يوم واحد خدمة للزاوية أثناء بنائها وفى موسم الحرث والحصاد .

(٥) يتألف كساء شيخ الزاوية سنويا من عشر بدل وتتكون البدلة من (قميص وسروال وغطاء الرأس وحذاء) شريطة أن لا يكون منها حرير أو جوخ ، وكذلك حرامين صينى ومثلهما شتوى وبرنس ؛ ولشيخ الزاوية الحق فى شراء سلاحه وفرسه الخاصين به من أجود الأنواع وله أيضا مهر ونفقات زوجة واحدة ، وإذا ما أراد أن يتزوج مثنى أو ثلاث أو رباع فيكون ذلك على نفقته الخاصة .

(٦) لشيخ الزاوية الحق فى تعيين معلم الصبيان والمنادى للصلاة (المؤذن) وعدد من الخدم والعمال حسب مقتضيات الضرورة وتكون نفقاتهم وأجورهم من موارد الزاوية .

(٧) من واجبات شيخ الزاوية إحضار الطعام الكافى لعشرة أشخاص يومياً فى موعدى الغذاء والعشاء وذلك باسم الضيوف المحتمل مجيئهم للزاوية

فإن نقص هذا العدد فعلى شيخ الزاوية أن يكمل العدد من الفقراء ومجاورى الزاوية ، وإذا تجاوز الضيوف هذا العدد فعليه إحضار ما يكفى فى وقته ، ولا يتجاوز الطعام نوعا واحداً إلا فى الحالات الخاصة .

(٨) إذا تجاوز عدد الضيوف خمسة أشخاص ورأى الشيخ أن ينحر لهم فله ذلك .

(٩) لشيخ الزاوية الحق فى أن يختص بالعشر من محصولات الزاوية وذلك للإنفاق منها فى حالاته الخاصة ، وفيما يترتب عليه لأقاربه الذين لا حق لهم من موارد الزاوية .

(١٠) على الشيخ أن يحتفظ بما يكفى لنفقاتها سنوياً من مجموع الواردات وإرسال الباقى منها إلى المركز الرئيسى .

(١١) لا حق لشيخ الزاوية أن يضيف أقاربه على حساب الزاوية ، وتفاديا لضيق ذات يده فقد منح عشر الواردات كما ذكرنا ، ويسمح له بامتلاك المواشى وتعاطى الزراعة لحسابه الخاص كى يواجه بذلك نفقاته الخاصة التى لا حق له فى أخذها من أموال الزاوية . وله الحق فى أن ينحر لنفسه وزوجته الأولى وأولاده منها شاتين أسبوعياً .

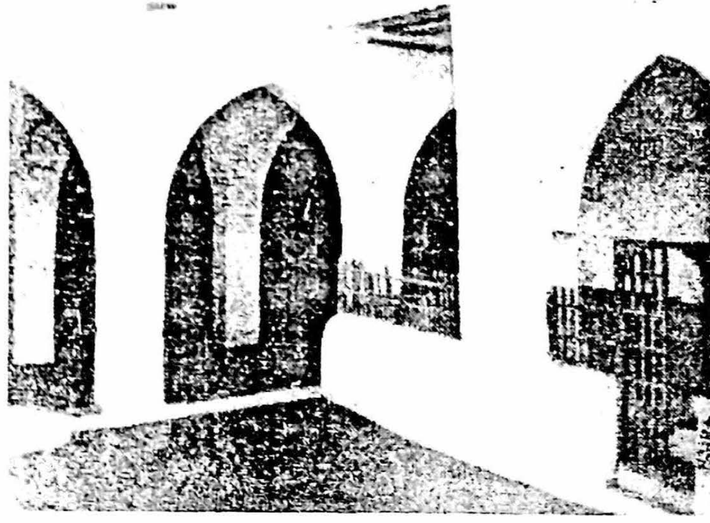
(١٢) للعمال وخدم الزاوية الحق فى أكل اللحم كل يوم جمعة من الأسبوع .

(١٣) لكل زاوية حدود تفصل بينها وبين الزاوية المتاخمة لها ، ولا يجوز لشيخ الزاوية أن يتعدى هذه الحدود .

(١٤) على شيوخ الزوايا أن يجتمعوا سنوياً (كلهم أو بعضهم) إذا ما رأوا وجوب ذلك ، وعليهم أن يتشاوروا فى تحديد موعد الاجتماع ومكانه إن لم يكن أحد شيوخ الزوايا هو الداعى لعقد الاجتماع .

(١٥) إذا التجأ شخص أو أشخاص إلى إحدى الزوايا لسبب ما فعلى الزاوية والحالة هذه حمايته والسعى لإزالة السبب الذى دفعه للالتجاء بموجب نصوص الشريعة أو ما يتفق عليه من العرف والتقاليد المتبعة .

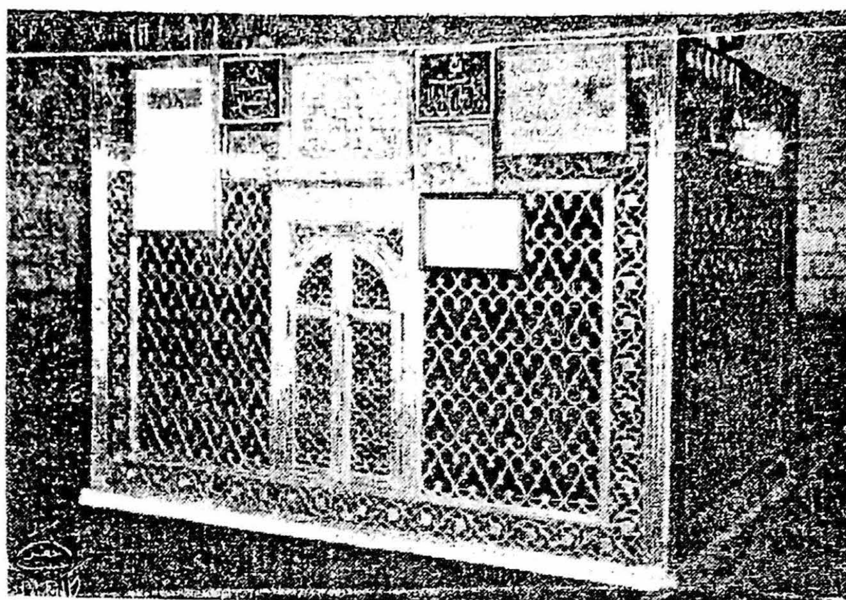
صفحة من إحدى مسودات إحدى كتب الامام الأكبر
السيد محمد بن على السنوسى وهى بخط يده الكريمة



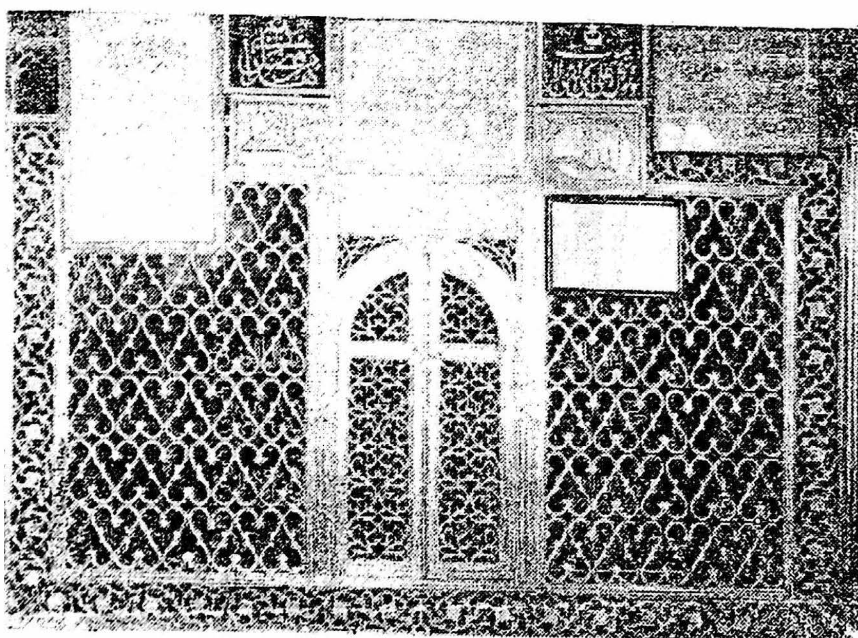
مسجد الزاوية السنوسية بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام



صورة بعض مخلفات الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى الخاصة
وهي : سرير للنوم ، وسيفان ، ومحمل يعرف باسم (خرج) وسرج



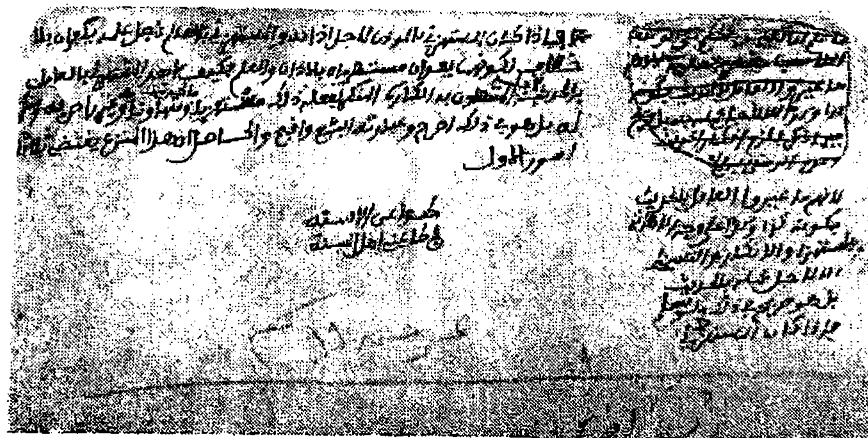
منظر داخلى لضريح الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى



منظر داخلى لضريح ساكن الجنان الامام الأكبر
السيد محمد بن على السنوسى رضى الله عنه

ملحق خير والموكد به عليكم خفض الجناح
ولين الجانب للخاص والعام من الناس
فقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان
الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء
إلا شانه وإياكم وحرارة النفس
واتباع خبايا أهل فإنه ذاب من الأخير
فيهم ولتكن في الحال والفعال على ما ينبغي
والسلام

ملحق بكتاب من الإمام السيد محمد بن على السنوسى بعث به إلى أحد وكلائه بزوايا الحجاز وهو بخط يده الكريمة



صفحة من إحدى مسودات كتب الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى وهى بخط يده الكريمة

(١٦) تتكون موارد الزاوية من الزراعة وتنمية المواشى والهبات الخيرية والزكاة الشرعية .

هذا وفيما يلى نذكر أسماء بعض الزوايا التى تم إنشاؤها فى عهد الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى ثم نلحقها بأسماء بعض الزوايا التى أنشئت فى عهد خليفته الامام (الثانى) السيد محمد المهدى السنوسى .

(١) زاوية أبى قبيس بمكة المكرمة وهى أولى الزوايا السنوسية على الاطلاق ، تم تأسيسها عام ١٢٤٢ هـ وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد عبد الله التواتى ، ومن بين من تولى مشيختها السادة : مصطفى الغمارى حامد غانم المكاوى ، على حامد . الشارف حامد ، الصادق السنوسى حامد .

(٢) زاوية المدينة المنورة ، تم إنشاؤها عام ١٢٦٦ هـ وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد محمد بن الشفيع ، ومن بين من تولى مشيختها السادة : مصطفى الغمارى ، محمد عبد الله الزوى ، عبد السلام فركاش

(٣) زاوية جده (الحجاز)

(٤) زاوية الطائف (الحجاز)

(٥) زاوية منى (الحجاز)

(٦) زاوية بدر (الحجاز)

(٧) زاوية البيضاء (برقة) أنشئت عام ١٢٥٧هـ وهى أول مركز رئيسى فى ليبيا وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد محمد بن حمد الفيلالى ومن بين من تولى مشيختها السادة الأعلام : عمران بن بركة الفيتورى حسين الغريانى ، محمد بن إبراهيم الغمارى ، العلمى الغمارى ، محمد العلمى الغمارى .

(٨) زاوية مارة (برقة) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد عمر الأشهب ، وكان من بين من تولى مشيختها السادة : أحمد على أبو سيف ، أحمد ابن إدريس الأشهب ، عبد الله أبو سيف .

(٩) زاوية درنة (برقة) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد عمر

الأشهب ، ومن بين من تولى مشيختها السادة : مفتاح خوجة ، السنوسى الغريانى عبد الرحمن العجال .

(١٠) زاوية الجوف (واحة الكفرة) كان الامام الأكبر قد عهد ببنائها إلى المشايخ الحاج مصطفى أبو شايدة ، الحاج محمد أبو حليقة ، عقيلة الحليق وذلك عقب إجلاء قبائل التبو البربرية بضغط من قبائل زاوية العربية وكانت الكفرة يومذاك مأوى للدعارة واللصوص ومعقل حصين لقطاع الطريق ، وكان يتناوب غزوها ثلاثة قبائل كل منها يدعى ملكيتها وهى : قبائل الجهمة من مصر ، وقبائل التبو من شمال السودان ؛ وقبائل زاوية من برقة وبذلك فقد كوّنت خطرا على السابلة وقوافل التجارة إلى أن أنشئت بها زاوية السنوسية فأصبحت دار أمان وسلام ومشرق الهداية والعرفان ، وفى وصفها قال العلامة السيد محمد عبد الله السنى من قصيدة عصماء امتدح بها الامام (الثانى) السيد محمد المهدى رضى الله عنه :

طابت وطاب بها المأوى لذى شجن   دار السلامة للاسلام مهتجر
تأوى الوفود لها من كل ناحية   مأوى الحجيج إذا ما جاء يعتمر

وكان أول شيخ لها هو السيد الفاضل عمر أبو حواء الفضيل ، ومن بين من تولى مشيختها السيد عبد الهادى الفضيل فالسيد محمد عمر الفضيل .

(١١) زاوية قفنطة (برقة) وكان أول شيخ لها هو السيد المختار ابن عمور وبقيت مشيختها فى عقبه .

(١٢) زاوية شحات (برقة) أنشئت عام ١٢٦١هـ وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد مصطفى الدردفى ، ومن بين من تولى مشيختها السادة : محمد الدردفى ، رافع بدر فركاش ، مصطفى محمد الدردفى .

(١٣) زاوية العرقوب (برقة) وكان أول شيخ لها هو السيد محمد الجبالى .

(١٤) زاوية مسوس (برقة) وكان أول من تولاها بالوكالة الشيخ فهيد العاقورى ، وكان أول شيخ لها هو السيد أحمد على أبو سيف وفى سنة

١٢٧١ تولى مشيختها العلامة السيد عمر الأشهب إلى سنة ١٢٩٧ حيث توفاه الله فتولى مشيختها ابنه السيد السنوسى الأشهب وبعد وفاته سنة ١٣٣٢ تولى مشيختها ابنه السيد محمد يحيى ، وفى سنة ١٣٦٧هـ تولى مشيختها السيد محمد عثمان أبو عريقيبب .

(١٥) زاوية الطيلمون (برقة) كان أول شيخ لها هو السيد مصطفى المحجوب ثم العلامة السيد على المحجوب فالسيد أحمد محمد المحجوب .

(١٦) زاوية القصور (برقة) كان أول شيخ لها هو العلامة السيد محمد المبخوت التواتى ، ثم السيد محمد مقرب حدوث ، فالشهيد الكبير السيد عمر المختار .

(١٧) زاوية المرج (برقة) كان أول شيخ لها هو السيد أحمد بن سعد ، فالسيد على العابدى فالعلامة السيد محمد السكورى ، فالعلامة السيد محمد ابن عبدالله التواتى ، فالسيد عمران السكورى ، فابنه السيد أحمد .

(١٨) زاوية بنغازى (برقة) وكان أول من تولى مشيختها هو العلامة السيد عبد الله التواتى فالعلامة السيد عبد الرحيم بن أحمد المحبوب ، وكان من بين من تولى مشيختها السادة : محمد أبو القاسم العيساوى ، فالسيد صالح العوامى ، فالعلامة السيد أحمد أبو القاسم العيساوى .

(١٩) زاوية مرزق (فزان) كان أول شيخ لها هو العلامة الجليل السيد أحمد أبو القاسم التواتى .

(٢٠) زاوية واو (فزان) كان أول شيخ لها هو العلامة السيد أحمد أبو القاسم التواتى ، ومن بين من تولى مشيختها بالوكالة العلامة السيد محمد بن الشفيع ثم أسندت مشيختها إلى السيد محمد على بن عمر الأشهب فابنه السيد نجم الدين

(٢١) زاوية زويلة (فزان) كانت تحت إشراف العلامة السيد أحمد أبو القاسم التواتى .

(٢٢) زاوية هون (واحة الجفرة) كان أول من تولى مشيختها السيد أحمد بن على بن عبيد .

(٢٣) زاوية مزدة (طرابلس) كان أول شيخ لها هو العلامة السيد عبد الله السنى، وقد بقيت مشيختها فى عقبه.

(٢٤) زاوية طبقة (طرابلس) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد محمد الأزهرى وبقيت مشيختها فى عقبه.

(٢٥) زاوية العزيات (برقة) أنشئت سنة ١٢٧٠هـ وكان من بين من تولى مشيختها السيد عمر جالو.

(٢٦) زاوية المخيلى (برقة) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد الحسين الحلافى وتعاقب ورثته على مشيختها.

(٢٧) زاوية تازربو (واحات الكفرة) وكان من بين من تولى مشيختها العلامة السيد محمد المدنى.

(٢٨) زاوية ربيانة (واحات الكفرة) وكان أول شيخ لها هو السيد حسين بازامه وبقيت مشيختها فى عقبه.

(٢٩) زاوية دريانة (برقة) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد إبراهيم الغمارى فابنه السيد الحسن فالسيد محمد الحسن الغمارى.

(٣٠) زاوية سيوة (مصر) كان أول شيخ لها هو العلامة السيد أحمد أبو القاسم التواتى.

(٣١) زاوية الزيتون (سيوة) تابعة لمشيخة السيد أحمد أبو القاسم التواتى.

(٣٢) سوكنة (واحات الجفرة)

(٣٣) زاوية الرجبان (طرابلس) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد أبو القاسم العيساوى وبقيت مشيختها فى عقبه.

(٣٤) زاوية الواحات البحرية (مصر) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد محمد السكورى.

(٣٥) زاوية الداخلة (مصر) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد حسين الموهوب الدرسى.

(٣٦) زاوية حوش عيسى (مصر)

(٣٧) زاوية الفيوم (مصر)

(٣٨) زاوية غدامس (طرابلس) وكان أول شيخ لهـا هو السيد الشريف الغدامسي .

(٣٩) زاوية طلميثة (برقة) وكان من بين من تولى مشيختها السيد محمد الكليلي .

(٤٠) زواية توكره (برقة) وكان من بين من تولى مشيختها السادة : عبد الله الجيلاني ، عبد الله عمر الفضيل ، يونس الموهوب .

(٤١) زاوية أم ركبة (برقة) وكان من بين من تولى مشيختها السيد علي ابن عبد الله .

(٤٢) زاوية الفايدية (برقة) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد إسماعيل الغزاني وبقيت مشيختها في عقبه .

(٤٣) زاوية ترت (برقة) وكان أول شيخ لها هو السيد عبد القادر الغزالي وبقيت مشيختها في عقبه .

(٤٤) زاوية أم الرخم (مصر)

(٤٥) زواية النجيله (مصر)

(٤٦) زواية الحقنة (مصر)

(٤٧) زاوية دفنه (برقة) وكان أول شيخ لهـا هو العلامة السيد حسين الغرياني وبقيت مشيختها في عقبه .

(٤٨) زاوية أم الرزم (برقة) كان أول شيخ لها هو السيد المرتضى فركاش فأبنه العلامة السيد المرتضى (الثاني) فالسيد الأمين فركاش . فالسيد محمد الأمين فركاش .

(٤٩) زاوية مصراتة (طرابلس) وكان أول شيخ لها هو السيد خليفه شنيشح .

(٥٠) زاوية زليتن (طرابلس) .

(٥١) زاوية زلة (طرابلس) .

(٥٢) زاوية الجريد (تونس) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد محمد ابن صادق . هذه هي بعض الزوايا التي تمكنا من ذكرها وقد أنشئت في عهد الإمام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي ، وفيما يلي نذكر أسماء بعض الزوايا التي تم إنشاؤها في عهد خليفته الإمام (الثاني) السيد محمد المهدي رضي الله عنه :

(١) زاوية الحنية (برقة) ومن بين من تولى مشيختها العلامة السيد أحمد أبو القاسم العيساوي .

(٢) زاوية الحمامة (برقة) ومن بين من تولى مشيختها السيد السنوسي الغماري

(٣) زاوية طرابلس الغرب (المدينة) أنشئت عام ١٣٠٠ هـ وكان أول شيخ لها هو السيد عبد الوهاب أبو القاسم العيساوي ، فالسيد محمد أحمد العيساوي ، فالسيد أبو القاسم عبد الوهاب .

(٤) زاوية الحرابا (طرابلس)

(٥) زاوية غدامس : وكان أول شيخ لها هو السيد محمد الحبيب

(٦) زاوية خشم رزيق (برقة) وكان أول شيخ لها هو السيد الحبيب ابن جلول .

(٧) زاوية ميراد مسعود (برقة) وكان من بين من تولى مشيختها السادة : سعيد الفحاصي ؛ محمد أبو زيد ، محمد أبو نجوى الفحاصي ، محمد الهاشمي .

(٨) زاوية القصرين (برقة) وكان من بين من تولى مشيختها السيد محمد العربي .

(٩) زاوية الودنة (الحجاز)

(١٠) زاوية العيص (الحجاز)

(١١) زاوية الحسينية (الحجاز)

(١٢) زاوية ينبع البحر (الحجاز)

(١٣) زاوية رابغ (الحجاز)

(١٤) زاوية السريانية (الحجاز)

(١٥) زاوية الفارعة (الحجاز)

(١٦) زاوية القصر الواحات (مصر)

(١٧) زاوية منديشة الواحات (مصر)

(١٨) زاوية الفرافرة (مصر)

(١٩) زاوية القلمون (الواحات مصر)

(٢٠) زاوية شماس (الصحراء الغربية مصر)

(٢١) زاوية المثان (الصحراء الغربية مصر)

(٢٢) زاوية برانى (الصحراء الغربية مصر)

(٢٣) زاوية فوكة (الصحراء الغربية مصر)

(٢٤) زاوية النجيله (الصحراء الغربية مصر)

(٢٥) زاوية أقرمى (سيوة مصر)

(٢٦) زاوية السبوخ سيوة (مصر)

(٢٧) زاوية سرت (خليج سدرة) وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد محمد بن الشفيع .

(٢٨) زاوية النوفلية ، وكان أول شيخ لها هو العلامة السيد أحمد بن إدريس الأشهب فأبنه السيد محمد على .

(٢٩) زاوية غات (فزان)

(٣٠) زاوية أم الجرفان (برقة) وكان من شيوخهـا السيد محمد الشارف .

(٣١) زاوية أم حفين (برقة) وكان من بين شيوخها السيد محمد أبو فارس فابنه السيد سعد .

(٣٢) زاوية مرتوبة (برقة) وكان أول شيخ لها هو السيد سعد فركاش فابنه السيد عبد الله فالسيد الشريف الغزالى .

(٣٣) زاوية العرق (واحة جالو) وكان من بين شيوخها السيد محمد جنينة

(٣٤) زاوية اللبه (واحة جالو) وكان أول شيخ لها هو السيد عبد الله التواتى فابنه السيد عمر فالسيد عبد الرحمن التواتى .

(٣٥) زاوية بزيمة (واحات الكفرة) ومن مشائخها السيد أحمد فكرون .

(٣٦) زاوية الهوارى (واحات الكفرة) ومن مشائخها السيد الفضيل السنوسى .

(٣٧) زاوية التاج (الكفرة) المركز الرئيسى بعد الجغبوب وقد أنشأها الإمام السيد المهدى سنة ١٣١٣ وبهذه المناسبة نذكر الأبيات التالية للسيد العلامة الأديب أبو سيف مقرب حدوث البرعصى .

ألا ياحداة العيس حثوا إلى التاج ... لنغنم مرأى مشرق الوجه والتاج
وجدوا لأسعادى وجدوا لطبتى ... ومالى سوى تقبيل يمناه من حاج
فكم نازح نال المنى من حدائكم ... مطايا تخوض الآل والمظلم الداجى
فيا زاجريها فى الدياجى نواجيا ... سيحمد ادلاج السرى المدلج الناجى

ونسوق البيت التالى من قصيدة مماثلة للعلامة الأديب السيد احمد بن ادريس الأشهب يمدح الامام (الثانى) فقال :

ولبسك للتاج القديم محقق ... كما أن سكنى (التاج) جاءك بالأمر

(٣٨) زاوية جخرة (برقة) وكان من بين مشائخها السيد عبد الكريم صالح .

(٣٩) زاوية أم شخنب (برقة) وكان أول شيخ لها هو العالم الأديب السيد محمد على عبد المولى فابنه السيد محمد عابد .

(٤٠) زاوية أسقفة (برقة) وكان أول شيخ بها هو السيد محمد على الغمارى .

(٤١) زاوية القطفية (برقة) وكان أول شيخ لها هو السيد عبد اللطيف النعاس فابنه السيد محمد الزروالى فالسيد عبد الله الفضيل .

(٤٢) زاوية النيان (برقة) وكان أول شيخ بها هو السيد العربى الغمارى .

(٤٣) زاوية مرادة (برقة) وكان أول شيخ بها هو السيد محمد الرويعى فالسيد الشارف الغريانى .

(٤٤) زاوية أوجلة (واحة) وكان من بين شيوخها السيد محمد بن سبيع فالسيد أبو القاسم بن سبيع .

(٤٥) زاوية المرازيق (برقة)

(٤٦) زاوية قرى بربى (برقة) وكان من بين شيوخها السيد عبد الله الكليلى .

(٤٧) زاوية الوجنقة الكبرى (السودان تشاد)

(٤٨) زاوية الوجنقة الصغرى (السودان تشاد)

(٤٩) زاوية علالى كانم (السودان تشاد)

(٥٠) زاوية قرو (السودان تشاد) وكان شيخها السيد محمد السنى .

(٥١) زاوية كنو (نيجريا) .

(٥٢) زاوية الفاشر (السودان الشرقى) وكان من بين شيوخها السيد أبو بكر الغدامسى .

(٥٣) زواية عين كاك (السودان تشاد) وكان أول شيخ لها هو السيد عبد الله طوير .

(٥٤) زاوية انتلات (برقة) وكان شيخها السيد العربى الغمارى .

(٥٥) زاوية مستغانم (الجزائر) وكان أول شيخ لها هو السيد أحمد ابن تكوك وبقيت فى عقبه .

هذه هى بعض الزوايا التى تم إنشاؤها فى عهد الإمام (الثانى) السيد محمد المهدى رضى الله عنه وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيرا .

مراكز الحركة السنوسية

كانت مراكز المراكز الاصلاحية للحركة السنوسية كما ذكرنا ذلك فى أكثر من محل بكتابنا هذا هى :

زاوية أبى قبيس بمكة وذلك لوجود الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى بها ، ثم الزاوية البيضاء التى احتلت مركز الرئاسة العامة من سنة ١٢٥٧ إلى سنة ١٢٦٢ وهذه هى المدة التى مكثها الامام بها ، وانتقلت الرياسة العامة بانتقاله مرة أخرى إلى زاوية أبى قبيس حيث مكث هناك إلى أواخر سنة ١٢٦٩ ﻫ

واقتصرت رئاسة الزاوية البيضاء على زوايا ليبيا ، وفى هذه الأثناء كان الامام رضى الله عنه يبعث بمندوبيه للتفتيش على جميع الزوايا فى ليبيا ومصر والحجاز ولموافاته بالتقارير اللازمة ، وكان من بين من قام بهذه المهمة فى أوقات متفاوتة السادة الأعلام : أحمد بن أبى القاسم التواتى ، عمران بن بركة القيتورى ، محمد بن الشفيع ، وباتخاذ الامام الأكبر زاوية الجغبوب مقراً له فقد انتقلت الرئاسة العامة إليها واستمرت كذلك من سنة ١٢٧٣ ﻫ إلى سنة ١٣١٢ ﻫ فانتقلت الرئاسة العامة بانتقال الامام السيد المهدى إلى زاوية التاج بالكفرة واستمرت الرياسة العامة هناك إلى سنة ١٣١٧ فانتقلت بانتقال الامام السيد المهدى إلى زاوية (قرو) بالسودان تشاد ، واستمر مركز الرئاسة العليا هناك إلى سنة ١٣٢١ ﻫ فعادت الكفرة بعودة الاسرة السنوسية إليها ، إلا أن زاوية الجغبوب بقيت محتفظة بطابع خاص يميزها ، ذلك لأن أكبر معهد سنوسى وجد بها ، ثم إن ضريح الامام الأكبر الذى يقدسه جميع أتباع السنوسيين يوجد بها ، ثم إنها الزاوية التى اعتنى الامام الاكبر بها عناية خاصة واختار أن تكون مقره فى أخريات أيام حياته ، وبها مثواه بعد وفاته ولأكثر من اعتبار نرى الآن حضرة ملك المملكة

الليبية المتحدة إدريس الأول حفظه الله يوليها عناية خاصة ويهتم بكل شأن يتعلق بها . هذه هي عواصم المراكز السنوسية الاصلاحية التي كانت مبعث العرفان والهداية . ولنعد الآن إلى التحدث عن الامام الأكبر أثناء وجوده الأخير في الحجاز فنقول :

أرسل وهو في الحجاز يطلب ابنه السيد المهدي ليشرف على تعليمه هناك . ثم لحق به ابنه الثاني السيد محمد الشريف لنفس الغرض ، وكان قد اطمأن بعض الشيء على تقدم الحركة الإصلاحية بواسطة زواياه التي أخذت تؤدي رسالتها العلمية والعملية حسب التعليمات التي أمر بتنفيذها ، وكان يندب سنوياً من يزور مختلف الزوايا لابلاغ توصياته وتوجيهاته ، ورغم ذلك فقد اشتد القلق في ليبيا لطول غيبة الامام عنها ، وسافر إلى الحجاز أكثر من وفد ليبي ليلتمس من السيد الامام أن يعود . وأذكر من بين من ذهبوا من أجل هذا الغرض الشيخ عمر جلغاف والشيخ على الأطيوش والشيخ أبو شنيف الكزه والشيخ الكاسح ديهوم ، وكان الأعيان الليبيون يغتنمون موسم الحج فيذهبون جماعات لنفس الغرض وهناك يبدون رغبتهم ورغبة أناسهم في عودة الامام . وفي سنة ١٢٦٩ هـ عاد إلى ليبيا عن طريق مصر فزار ريفها وصعيدها كما زار في طريقه هذه الواحات البحرية والداخلة وسيوة ومكث أياما بكرداسة والبحيرة ثم واصل سفره إلى الموقع المعروف بالغزيات في برقه واختار أن ينشيء به زاوية ، وأبدل اسمه بالعزيات إذ وضع العين بدلا من الغين . وكان هذا شأنه في الأسماء المستهجنة سواء أكانت في الأشخاص أم في العائلات أم في الأماكن ، فقد غير رضي الله عنه اسم المغبوب بالمحبوب . واسم عائلة الأطرش في بنغازي بالأسمع ، واسم المقرحي بالمفرحي ، واسم موقع الأجداب بالإخصاب . وما كاد يتم إنشاء زاوية العزيات حتى أخذ بهمته وجديته المعروفتين في إنشاء زاوية الجغبوب إذ مهد لها الطريق بإصلاحه وإصلاح الآبار الخربة سواء أكانت نابعة بالمياه الجوفية أو كانت صهاريج لحفظ ماء الأمطار . وفي سنة ١٢٧٣ هـ تحول من

زاوية العزيات إلى الجغبوب المركز الرئيسى الجديد بعد أن تمت فيه بالاضافة إلى مسكنه ـ مساكن الإخوان والمسجد ومساكن الطلبة والخدم ، ومنازل الضيوف ، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا المركز محط الرحال ، ومأوى الوفود وكعبة الآمال ومبعث الهداية والعلم والاشراق ، وواصل الرسل من هناك انطلاقهم لاتمام الرسالة فى الشمال الافريقى والسودان وغيرهما من البلاد الأخرى ، واتجهت أنظار أوربا ودار الخلافة إلى هذا المركز الجديد الذى أصبح فى نظر أوربا واستانبول خطراً لا يستهان به . واعتبره الأوربيون وخاصة الفرنسيون عقبة كأداء فى طريق تحقيق أغراض الاستعمار وأهدافه ، ولهذا نجد الكاتب الفرنسى دوفريه فى غير اعتدال يصاب بحمى الهذيان فيقول إن السنوسية خطر عام ، خطر على أوربا ، وخطر على الدولة العثمانية ، وخطر على شمال أفريقيا ، وخطر على مصر .

وفيما يلى نسوق قول السياسى الفرنسى المعروف المسيو هانوتو إذ قال :

لقد أسس الشيخ السنوسى فى جهة ليست بعيدة عن الأصقاع التى تلى أملاكنا ، فى الجزائر وطرابلس وبنغازى مذهبا خطيراً له أتباع وأنصار متعددة ، ومقر هذا الشيخ بلدة جغبوب الواقعة على مسيرة يومين من الواحة التى كان قائما بها هيكل البرجيس آمون : إلى أن قال : ومن مذهب الشيخ السنوسى وأتباعه التشديد فى القواعد الدينية ، ولقد لبثوا زمناً طويلاً لا يرتبطون بعلاقة ما مع الدولة العثمانية غير أن هذا لم يمنع السنوسيين من مد حبل الدسائس التى أوقفت بعثاتنا عن كل عمل مفيد لفرنسا فى أفريقيا الجنوبية ، ولم يكن الأمر قاصراً على وسط القارة الإفريقية فإنه يوجد بالآستانة نفسها والشام وبلاد اليمن وكذلك فى مراكش عصابات خفية ومؤامرات سرية تحيط بنا أطرافها ، وتضغط علينا من قرب ويخشى أن تعرقلنا إذا ما أغمضنا الطرف عنها .

الجغبوب :

تقع زاوية الجغبوب على بعد مائتين وتسع وثلاثين ك . م من باردية (بردى سليمان) أو حوالى ذلك ، وتبعد عن واحة سيوة بمسافة ثلاثة أيام على سير القافلة ، والجغبوب كما وصفه العلامة السيد فالح الظاهرى (يقع فى وادى من أودية سنترية التى هى صحراء المدينة القـــديمة المعروفة بمدينة (لك) من مدن شرق برقة ، بينها وبين ذلك الوادى مهامه ومفاوز تسرى الريح فيها فتتلف ، وعلى ذلك الوادى من النضرة والرونق ببركات الشيخ رضى الله عنه ما هو ظاهر) ومحيطة الجغبوب كما يسمونها أهل برقة مستنقعات ، وماؤها شديد المرارة ممزوج بطعم الملح فلا يستسيغه الشارب مهما دفعه إليه الظمأ . وليس فى هذه الواحة أى نوع من النبات إذا استثنينا بعض أنواع الشوك التى تنبت فى مثل هذه المستنقعات . أو بعض شجيرات النخل . وتكتنف الجغبوب من جهاته الأربعة سلسلة من كثبـــان الرمل وبعض الصخور الحجرية (الربوات) المعروفة بأسم القور ، وكان الجغبوب بمثابة المخبأ الحصين لحماية اللصوص وقطاع الطرق والعائثين الذين يشنون الأغارات تارة من المشرق ، وطورا من المغرب . ومتى التجأ إليه قاطعوا الطريق يصبحون فى مأمن لحصانة الموقع . فلا يخشون أية قوة تقتفى أثرهم ، ويستطيع الكامن فيه أن يصمد لأى قوة ، ويكثر فى هـذه الواحة نوع من البعوض الذى يعيش عادة فى المستنقعات . وشاء الله تعالى أن يمر الإمام السيد محمد بن على السنوسى فى إحدى رحلاته بهذه الواحة التى سمع الكثير عنها وعرف ما يدور فيها . ويظهر أنه فكر فى شأنها ، وقرر فى نفسه أن يتخذها فى يوم من الأيام مركزا دينيا إسلاميا ينبعث منه العرفان ، بعد أن كان مبعثاً للفزع والرعب ومأوى للفساد والإفساد ، وملجأ لقطاع الطرق واللصوص فلا تأمن السابلة مرورها من هناك إلا إذا كتب لها السلامة ، ولكن الإمام لم يبد نيته هذه لمن كان حوله وإن كان قد أبدى إهتمامه بشأن هذه الواحة ودراسة

طبيعتها من جميع الوجوه والتعرف لمختلف الطرق المؤدية لها ، والمسافات فيما بينها وبين البلاد العامرة ، وبعد أن أنشأ الكثير من الزوايا فى برقة وخصوصا فى الجهة الشرقية منها أخذ فى تعمير الآبار والصهاريج الواقعة فى الطريق المؤدية إلى الجغبوب من شرق برقة ، كما أخذ يرغب الأهالى فى إصلاح ما يمتلكون من صهاريج خربة فى هذه الطريق لحفظ ماء المطر وأبدى رغبته فى شراء بعض هذه الصهاريج فقدمه مالكوه وقفاً على مشاريعه الخيرية ، وأمر بإصلاحه ووضع عليه حارساً أسمه حكيم وعرف البئر بأسم الحارس ، وهو الذى تردد أسمه كثيرا فى البلاغات الحربية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وشهد هذا الموقع معركة طاحنة بين قوات فرنسا والمحور ، وعندما وصل الإمام إلى العزيات عام ١٢٧٠ ظهر إهتمامه البالغ بإيجاد مركز رئيسى يتخذه لإدارة دفة مشاريعه الواسعة وليجعل به معهدا علميا بعيدا عن الضوضاء والغوغاء ، فأرسل وفدا من الاخوان برئاسة تلميذه السيد عمران بن بركة الفيتورى قوامه عشرون شخصا من بينهم السيد مصطفى المحجوب شيخ زاوية الطيلمون ، ومهمة هذا الوفد هى التنقيب والبحث عن الموقع اللائق بالمركز الجديد ، وحدد لهذا الوفد الجهات والمواقع التى يجب أن يوافيه عنها بمعلومات مفصلة لاسيما حطية الجغبوب ، وعاد الوفد يحمل أنواعا من الماء والتراب والنبات ، وكان أعضاء الوفد قد أصيبوا جميعا بالحمى فى حطية الجغبوب ، واستعرض السيد الإمام ما وصلته من معلومات ، وأسفرت دراسته عن اختياره لموقع الجغبوب وأعد العدة الكافية للإنشاء ، وفوض لتلميذه ووكيل خاصته السيد على بن عبد المولى تخطيط زاوية الجغبوب لاسيما الضرورى من الأماكن المطلوب إحضارها بسرعة ، وانتظمت القوافل لنقل الماء والأمتعة ولوازم البناء من مدينة درنة ومن زاوية العزيات وبئر حكيم وتجاوز عدد العمال المئات وفى طليعتهم عدد من كبار الأخوان الذين كانوا يقومون بعمل مزدوج هو أداء واجب العمل ككل العمال ، والقيام بواجب التدريس والوعظ ، وعند ما تم إنجاز أهم المبانى المطلوبة توجه رضى الله عنه للإشراف على إتمام

ما تبق . وكانت المبانى التى تم إنجازها هى : مسكن الإمام والمسجد ، ومساكن للإخوان والطلبة والعمال ، والمدرسة القرآنية ، والأفران التى تسد حاجة السكان بإحضار الخبز . وإيجاد صهاريج لحفظ ماء المطر والماء المستورد بواسطة القوافل ، ومحل خاص لتقطير الماء العذب من الماء المالح ، كما تم تنظيف مجارى الماء المالح للوقاية من الحمى ، وأحضرت عدة (كوش) لإستخراج الجير (اللبن الخاص بالبناء) وأحضرت أيضا عدة معاصر لعصر الزيت ، وكان الزيتون يستجلب من واحة سيوة ، ونسقت الجنان ، وتم إنجاز بعض المحلات الخاصة بالصناعات الخفيفة التى اهتم الإمام بها يومذاك كصناعة الأحذية والحياكة ، وصناعة الحصر ، وما يستخرج من الجلد ، والحدادة وتجليد الكتب وتصليح الأسلحة وإستخراج ما يلزم من الخشب ، وتفصيل وقص الزجاج ، وأحضرت أيضا عدة (طواحين) منها ما يدار بالريح ، وقسم آخر يدار بواسطة الدواب وشيدت أيضا عدة مخازن لحفظ المؤن والبضائع التى ترد من مختلف الأسواق ، ونظمت بالجغبوب مكتبة كانت من مفاخره إذ أنها تعد فى طليعة المكتبات التى لا يمكن للأفراد الاتيان بمثلها ، وكانت تضم قسما كبيراً من المخطوطات النفيسة ، ولم يترك الإمام بلدا إسلاميا إلا واستجلب منه الكتب فمن مصر والحجاز والشام والآستانة وتونس ومراكش إلى غير ذلك من البلاد الاسلامية الأخرى ، وقد يندهش القارىء إذا ما علم أن مصنعا خاصاً أعد لصناعة البارود فى الجغبوب ، وبدأ إستخراج هذا النوع من تراب معين فى برقة ومن بعض النباتات الخاصة .

وبهذه المناسبة أقول : لقد أطلعنى حضرة السيد الفاضل محمد مصطفى المحجوب عضو مجلس الشيوخ السابق على كتاب بعث به الإمام السيد محمد المهدى السنوسى فى أواخر القرن الماضى للهجرة إلى شيخ زاوية الطيلمونى السيد مصطفى المحجوب يقول فيه رضى الله عنه : إننى سمعت أن هناك ببعض المواقع ترابا خاصا يمكن إستخراج البارود منه فابحثوا عنه بسرعة وأرسلوا

لنا قسما منه لفحصه فإن صح أنه هو التراب المطلوب سنعمل على جلب كمية وافية منه الخ .

ولما كانت بالجغبوب أيضاً مخازن للسلاح والذخيرة التى كانت تصل من الزوايا السنوسية ومن بعض الأسواق ومختلف الجهات إذ كانت عناية الامامين الأول والثانى بتنشيط التجارة وتشجيع التجار ما جعل هذه الناحية قد برزت فى ذلك العهد حتى أصبحت قوافل التجار لا تغيب عن الجغبوب يوما واحدا .

وهذه التحضيرات لم تكن جميعها قد أنجزت فى عهد الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى الذى وضع الأساس كاملا فقد تم قسم منها فى عهده وأكمل الباقى خليفته الأجل المعظم السيد محمد المهدى السنوسى الذى غادر الجغبوب سنة ١٣١٢ إلى الكفرة وهو لا يزال برغم ذلك يواصل مثل هذه الأعمال بهمة لا تعرف الكلال .

هذا : وقد جلس كبار العلماء الأعلام للتدريس العالى كما كان كبار حفظة القرآن يواصلون تعليمه ، وكان حفظه شرطاً أساسياً ، وبذلك أعد الجغبوب طبقة ممتازة من العلماء والشعراء والقراء . والكتاب . وإلى القارىء الكريم هذا المثل البسيط نسوقه للتدليل على شدة الاهتمام بتحفيظ القرآن : ففى إحدى السنين تخرج ثمانون طالبا من المدرسة القرآنية ينتمون لقبيلة واحدة هى (حسين البراعصة) ، ولا شك أن أعداداً أخرى تماثل هذا العدد من مختلف القبائل جاءت لقراءة القرآن عدا القائمين على طلب مختلف العلوم ومتنوعاتها ، وإلى جانب كل ذلك فهناك العمال الذين يقومون بمختلف الأعمال التى أخذت هى الأخرى نصيباً وافراً من العناية بها . وتقسم أيام الأسبوع بين طلب العلم والقيام بالعمل فيما عدا يوم واحد يتخلل الأسبوع للراحة وهو يوم الجمعة ، أما بقية أيام الأسبوع كانت فيها المواقيت مقسمة ، فمثلا نجد أن العامل الأمى يأخذ بعضاً من الوقت يتفرغ فيه من عمله إلى حضور مجالس الدرس الشفوى والوعظ لمعرفة

صفحة لإحدى مسودات كتب الأمام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي وهي بخط يده الكريمة

صفحة لإحدى مسودات كتاب للامام الأكبر السيد
محمد بن علي السنوسي وهي بخط يده الكريمة

وقع هذه الوثيقة عدد من كبار الأخوان السنوسيين وهى بمثابة البيعة
وتنص على التسليم المطلق للامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

حضرة الجناب الفاضل حاوي كمالات الافاضل شيخنا الكامل وعمدتنا العامل الاستاذ المربي سيدي السيد محمد المهدي ابن السيد محمد ابن السيد علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي دام مقصد وعمدة بركته آمين

بعد اهداء ما يجب من الاحترام وتقبيل اياديكم الكرام والاستفسار عن خاطركم على الدوام نعرض لاسيادتكم قبل الآن شرفنا جوابكم المبشر بصحتكم وعافيتكم التي هي عندنا اقصى المرام ثم نعرض لسيادتكم الآن ان احد المأمورين من طرف دولة فرانسا المدعو ... عل توجه من جهة بحيرة تشاد الى جهة واداي ومنها قاصد الرجوع الى طرفنا الى جهة فزان وطرابلس وحيث قد التمس منا محافظته وذلك من الواجب بالمعاهدات التي بين الدول فعلى ذلك رجوا من سيادتكم اذا وصل ومر الى طرفكم قاصدا الى هذه الجهة تلاحظوه وتوصوا عليه من يلزم لمحافظته وعدم التعدي عليه حتى يصل الينا سالما والقصد من محافظته اجتناب ما تقدم وتحرج فلاقل ومشكلات لكي لا يقع لسيادتكم ولكم الفضل والمنة ورجاؤنا الا تعدمنا وجودكم هذا وارجو دوام توجهاتكم وصالح دعائكم خصوصا لحضرة الخليفة الاعظم مولانا امير المؤمنين ولعبدكم ايضا وما يلزم من الخدم نشرفوه ولكم الفضل وسلموا لنا على حضرات الانجال الكرام وعلى حضرات السادة الاخوان ودمتم محفوظين وبعين العناية ملحوظين سيدي ومولاي

٦ القعدة ١٣١٦

محبكم متصرف بنغازي

فريق

صورة من كتاب بعث به متصرف لواء بنغازى إلى الإمام (الثانى)

السيد محمد المهدى السنوسى رضي الله عنه

الواجبات التى يتطلبها دينه ودنياه ، وكل طالب يتلقى العلم عليه أن يؤدى ماأنيط به من عمل مساء يومى الخميس والإثنين ، ويستوى فى ذلك الصغير والكبير والغنى والفقير إذ ليس هناك نظام الطبقات المفرق عادة بين صفوف الأمة .

هذا ولكل فرد من الطلبة الذين يتلقون العلم والقرآن الحق فى رغيف واحد من الخبز يوميا تصرفه خزينة الأوقاف السنوسية كما كانت تقدم بعض المساعدات للمجاورين والفقراء والطلبة الذين لا عائل لهم ، ولكل شخص من الضيوف العاديين وعابرى السبيل فطوراً يومياً يتكون من التمر والكشك (اللبن المجفف) أو من الزميتة (البسيسة) المعجونة بالزيت ، أما وجبة الظهيرة فتكون عادة من الطعام السخن وهو من الخبز المفتوت فى شربة من العدس أو الفول أو الحساء الليبي المعروف باسم (الحريرة) وتمتاز وجبة طعام العشاء بتقديم أكواب الشاى الذى يبعث النشاط فى نفوس العمال والطلبة على العمل والمطالعة ، ويقدم اللحم إلى الجميع فى يوم الجمعة وهذا عدا الحالات الطارئة ، ويتألف الكساء لكل من يستحقه من قميصين وسروالين وحذاء وطاقيتين (غطاء الرأس) سنوياً وفى كل سنتين يستحق الرجل جرداً (حراماً) . ويضاف إلى كل ذلك بعض الهبات والصدقات والهدايا والتبرعات التى تصل من حين إلى آخر باسم الطلبة والعمال والفقراء فتوزع — سواء أكانت من الملبوس أو المأكول — بالتساوى . وليس على الطالب أن يجلب معه كتباً إذ أن باب المكتبة مفتوح على مصراعيه للجميع . ويتدرب الطلبة والعمال فيما يتدربون به على الرماية وإصابة الهدف ولعبة كرة القدم وهذه الأخيرة تنقسم إلى نوعين كما هى معروفة عند بادية برقة : فنوع منها يقال عنه (الباصة) وموسم هذه اللعبة هو الصيف وطريقة ذلك هى أن ترمى الباصة بين اللاعبين باعلاما يمكن قوة الرامى حذفها فى الجو ويتبارى اللاعبون كل منهم إذا استطاع أن يلتقفها ليعيد رميها . وينقسم اللاعبون إلى فريقين . أما اللعبة الثانية وموسمها الربيع فيقال عنها (طق

الكورة) وتجرى لعبتها بين فريقين كل منهما يرميها بعصاه إلى اتجاه الفريق الآخر . ويحاول هذا الفريق إعادتها على رماتها بكل حماس كى لا تصل إلى الهدف المعين .

وفيما يلى نذكر أسماء بعض المدرسين الذين قاموا بإلقاء الدروس فى المعهد الجغبوبى تحت إشراف الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى أولا . وتحت إشراف خليفته الإمام (الثانى) السيد المهدى :

السادة الأعلام : عمران بن بركة الفيتورى . أحمد عبد القادر الريفى فالح الظاهرى المهنوى . أحمد أبو القاسم التواتى . عبد الرحيم بن أحمد المحبوب . محمد بن أحمد بن الشفيع . أبو سيف مقرب حدوث البرعصى . حسين الموهوب الدرسى . محمد بن صادق الطائفى . أحمد الطائفى محمد بن مصطفى المدنى . محمد القسنطينى . محمد بن حسن البكرى .

وكان شيوخ الزوايا يقومون بإعطاء حصص فى الدروس أثناء زيارتهم للجغبوب وإقامتهم المؤقتة فيه . ومنهم السادة الأعلام : حسين الغريانى . محمد بن أحمد السكورى . أحمد بن على أبو سيف . عمر الأشهب . عبد الله السنى . أبو القاسم العيساوى . محمد الأزهرى . الحسين الحلافى ، أما فى عهد الإمام السيد المهدى فبالإضافة إلى أغلب السادة الأعلام المذكورين فهناك طبقة أخرى تخرجت من المعهد الجغبوبى وقد اشتغلت بالتدريس تحت إشراف شقيقه السيد محمد الشريف رضى الله عنه نذكر منهم السادة الأعلام : محمد التواتى بن أحمد . أحمد الشنقيطى . أحمد أبو القاسم العيساوى أحمد بن إدريس الأشهب . محمد بن عبد الله التواتى . محمد بن عبدالله السنى المختار الغدامسى . السنوسى عبد العال المصراتى . حامد بركان الشريف . سليمان الحوتى . آدم الفزانى . آدم العوامى . محمد على مصطفى المحجوب . عبد الرحيم شلبى . عبد الرحيم البوطرى الفاخرى . على الامام الزليتنى . الحسين السنوسى . محمد على عبد المولى . وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكر أسمائهم .

وهكذا كان المعهد الجغبوبي يؤدى رسالته الاصلاحية والدينية والعلمية والانشائية والسياسية والاجتماعية فى نظام بديع محكم الأسس منذ سنة ١٢٧٣هـ حيث تحول إليه الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى من زاوية العزيات إلى سنة ١٣١٢ حين تحول الامام السيد محمد المهدى إلى الكفرة التى أصبحت بهذا التحول هى المركز الرئيسى ، ومع ذلك فقد احتفظ الجغبوب بطابعه الدينى وبمركزه المعنوى ، وإن كانت المجهودات الجبارة التى كانت تبذل يومذاك قد توقفت عما كانت عليه بعض الشىء ، ولم يكن سبب هذا التوقف مباشرة هو تحول الامام المهدى إلى الكفرة ولكن لسببين رئيسين هما : الحرب الدفاعية التى قام بها الإمام (الثانى) السيد المهدى السنوسى ضد فرنسا فى السودان ، ثم الحرب الليبية ضد إيطاليا المعتدية الغازية ، وكانت هذه الحرب بالاضافة للأولى قد استرعت جميع الرجال من قادة الرأى والفكر ، واستنزفت جميع القوى فأصبحت الشغل الشاغل الذى لم يكن معه تفكير فى غيره . هذا وقد قام بزيارة الجغبوب عدد كبير من الشخصيات العلمية والسياسية والأدبية عدا السائحين من رجال المخابرات والجواسيس الأوربيين ، وكان من بين زائريه الأديب المصرى الكبير الشيخ على الليثى ـ والجدير بالذكر أن هذا الشاعر المعروف قد تتلمذ على الامام الأكبر فى الزاوية البيضاء ـ والعلامة الأديب عبدالله باشا فكرى (المصرى) وياور الحضرة السلطانية الصادق باشا المؤيد ، وكانت زيارة هذا الأخير سنة ١٣٠٧هـ وقد كرر زيارته مندوبا من السلطان عبد الحميد إلى الكفرة سنة ١٣١٣هـ ، والفريق رشيد باشا حاكم برقة العثمانى ، وكانت زيارته سنة ١٣٠٨هـ وغيرهم من كبار موظفى الدولة العثمانية .

كان الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى يسمى زاوية الجغبوب بالزاوية الخضرية (نسبة للخضر عليه السلام) ويسميها أيضاً بوادى الايمان وبالدرر المرصعة إلى غير ذلك من الأسماء التى تنطبق على المسمى . وتمشيا مع الحقيقة ، وتسليما بالواقع فان الخلافة العثمانية قد اعترفت بسلطان

السنوسية القائم ، وبمركز الجغبوب الروحى والزمنى وبما تتمع به الزوايا السنوسية من نفوذ مستمد من الجغبوب لا يقف فى طريقه أى نفوذ آخر فأصدر السلطان عبد المجيد سنة ١٨٥٦م (فرمانا) سلطانيا يثبت امتيازات السنوسية ، وينص على أن الزوايا حرما آمنا وحمى يلجأ إليه ، كما قد صدرت فرمانات مماثلة قبل التاريخ المذكور وبعده وآخر ما اطلعنا عليه هو الفرمان الذى أصدره السلطان محمد رشاد . هذا وفى يوم ٢٥ رجب ١٣٤٤هـ ١٩٢٦م قامت القوات الإيطالية الزاحفة من طبرق وباردية باحتلال زاوية الجغبوب وفيما يلى نورد بعض ما ذكره إسماعيل صدقى باشا فى مذكراته التى طبعتها دار الهلال سنة ١٩٥٠ فقال : « فى أواخر سنة ١٩٢٥ جرت بيننا وبين الطليان مفاوضة لانهاء مسألة الحدود الغربية والبت فى أمر واحة الجغبوب ، فتألفت من الجانب المصرى لجنة برياستى ، وتألفت لجنة من الجانب الايطالى برياسة المركيز نجروتوكامبيازو . . . إلى أن قال : أما الطليان فقد كان يهمهم أن يحتفظوا بواحة جغبوب التى بها ضريح للسنوسيين تنبعث منه حسب اعتقادهم تعاليم ضد سياستهم وحكمهم فى طرابلس تخلق لهم المشكلات . . إلى أن قال : وكان من حججنا فى ملكيته مصرلها إن انجلترا نفسها اعترفت فى مدة الحرب العالمية الأولى بملكيتها لمصر فى معاهدة شاليوت التى عقدتها مع السنوسيين . أما حجة الطليان فهى : أنهم ورثة الأتراك فى ولاية طرابلس ؛ وواحة جغبوب داخلة ضمن هذه الولاية ، وإنه بينما كان السنوسيون يدينون بالولاء للدولة العلية كان الولاة الأتراك يعدونها ضمن أعمال طرابلس ، بل إن بعض الكتب الجغرافية المقررة فى مدارس وزارة التربية والتعليم المصرية وضعت جغبوب فى خريطة طرابلس وتلك الكتب راجعتها لجنة من هذه الوزارة واعتمدتها ، هذا بعض ما ذكره إسماعيل صدقى باشا .

ومما هو معروف أن عميد السنوسية (الأمير وقتذاك) السيد محمد إدريس المهدى السنوسى (ملك المملكة الليبية المتحدة الآن) قد بذل جهودا

جبارة بقصد أن يكون الجغبوب تابعا لمصر كيفما تكون صفة هذه التبعية وعمل على أن تضمه مصر بقصد انقاذ مايمكن إنقاذه على الرغم من ليبية الموقع العريقة ، وكان العالم العربى والإسلامى أيضاً يرى وجوب الحاقه يومذاك بمصر نظراً لقداسة الجغبوب ومكانته الاسلامية ، وشاء الله تعالى أن يقتنع إسماعيل صدقى بما وصل اليه من إتفاق مع إيطاليا وأن لا ينفصل هذا الجزء عن أصله حتى تحين ساعة انقاذ الكل . وفى إحدى مناسبات ذكرى الاحتلال الايطالى للجغبوب وأظنها الذكرى الأولى انشد الشاعر السودانى الأستاذ صالح عبد القادر أحد أعضاء جمعية اللواء الأبيض والذى نال فيما بعدعضويةالجمعيةالتشريعية السودانية قصيدة عصماء وكان يخاطب بها هلال رأس السنة ولم يحضرنا منها إلا الأبيات التالية ، قال :

لا مرحبا بك أيهذا العام عام به تتجدد الآلام
ماذا كتبت لمصر بعد الفصل فى جغبوب ليلة زلزل الأهرام
فى ساعة نشر الوزير بيانه وتبجحت روما ودار الجام
جغبوب علك آخر المأسات عل عيون صدقى عن سواك تنام
عل الحوادث عند فصلك تنتهى فيكف عن سوداننا المستام

إلى أن قال :

فعليك يا جغبوب ألف تحية وعلى شهيدك رحمة وسلام
وعلى قداستك العفا قد داسها إسمـ اعيل لا أستحيي ولا إستعصام
حرم على إسماعيل هانت ليت إسما عيل يدرى كم بكى الاسلام؟

وكان إسماعيل صدقى باشا هو وزير الخارجية المصرية أثناء عقد الاتفاقية المصرية الايطالية .

ونما جاء فى وصف الجغبوب هـذه الأبيات التالية من قصيدة عصماء للعلامة الأديب السيد أبو سيف مقرب البرعصى أنشدها بمناسبة تحول الامام الثانى السيد المهدى السنوسى إلى الكفرة نذكرها بالمناسبة .

وخلوا بجغبوب المقدس علية　　يعلون بعد النهل طلاب عرفان
وقصرا مشيدا كان مطمح أنفس　　ومطلع مطعام ، ومطعن مطعان
وربعا عهدنا [illegible] آهل　　بأنجب أشبال وآساد خفان
وكانت لهم فيه مواقف جمة　　أناب بها فخراً على كل إيوان
وحلت بواديه بواد فأصبحوا　　نشاوى بإنشاء وذكر وقرآن
وكانت بمغناه علوم يبثها　　مشائخ أعلام ، وأعلام فتيان
رووا متنها عن حافظ أى حافظ　　أسانيده تعلوا بضبط وإتقان
هو ابن السنوسى الذى شاع ذكره　　بكل بلاد بين سوس وإيران
أمام همام كان للناس قبلة　　تيممها القاصى من الخلق والدانى
وشهرته تغنى عن أطراء وصفه　　كما اشتهر (المهدى) بالعالم الثانى

وقال العلامة الأديب السيد محمد عبدالله السنى فى نفس المناسبة وبنفس المعنى :

سبحان من يسعد الأشياء بمنته　　حتى البقاع لها سعد ومفتخر
سل وادى جغبوب عما كان فى حقب　　عليه ينبئك والأنباء تعتبر
واليوم أصبح مأنوساً بمنزله　　فيه ، فكم جد فى أعماره (الخضر)
مأوى العلوم ومأوى الطالبين لها　　روض الفضائل فهو الأزهر النضر

وفى قصيدة للعلامة الجليل السيد عبد الرحيم المحبوب وهو يرثى الامام الأكبر فيقول :

وادى الجغابيب كم تاهت رباك على　　خضر الرياض وكم قد حفها جذل
وعطرت بشذاها الجو باسمة　　أزهارها وجناها العلم والعمل
وأشرقت بسنى الأنوار مائدة　　طوع النسيم حكاها الشارب الثمل
وجدت العيس والنجب الجياد غدت　　إليك شاحبة ما شابها ملل
وكم دعى الشوق أشواقاً وهاجهم　　شجوا لذكرك لم ترقأ لهم مقل
يا للوفود وللزوار قد بلغوا　　منك المنى بعد ما حلو وقد رحلوا

ومن قصيدة الشاعر الأديب السيد عبد المتعال الصعيدى ينفث فيها شوقه إلى الجغبوب فقال :

نسيم الصبا ما هجت شوقى إلى نجد ولكن إلى الجغبوب أن به قصدى

ومنها قوله :

وعرج على الجغبوب وانفح ربوعه عطير غوال من خزامى ومن ند
وحيى كرام الحى عنى تحية تعرف كنه الشوق بالذات والحد

وللسيد العلامة حسن أبى شامة فى نفس المعنى من قصيدة طويلة قوله :

أهيم اشتياقاً لا بدارة جلجل شغفت ولا دار لهند ولا وعد
ولكن فؤادى بالجغابيب هائم وجفنى قريح الطرف من ألم السهد
ديار بها الأقمار تطلع فى الضحى وتشرق بالأنوار فى فلك السعد
إذا ما رآها الطرف تنسيه (جلقا) وتنسيه ألحاظ الظبا فى ربى نجد

الاخوان السنوسيون :

لن نستطيع أن نذكر عن كل الاخوان السنوسيين . ولا حتى عن أسمائهم لأن ذلك يتطلب بذل المجهودات الجبارة والمتسع من الوقت حيث أنهم كثيرون ، وفى كل مكان . ومن كل مكان ، فهم من الشمال الافريقى . ومن ليبيا ومن مصر . ومن السودان (الغربى والشرقى) ومن الحجاز . ومن اليمن . ومن تركيا . ومن الحبشة والهند . ومن الحواضر والبوادى . ومن بلاد كثيرة غير ما ذكرنا من العرب والأعاجم وكانوا جميعاً يعرفون باسم (الاخوان) لأنها تسمية عامة . وهذه التسمية هى التعريف الجامع الموحد بين جميع أتباع السنوسى . وقد اختاره لهم فكانوا يعرفون به دون جميع التعاريف التى كانت علماً على كل واحد منهم . وأخذوا يفخرون به على كل نسب . وكان هذا التعريف هو المحبب إلى نفوسهم وهو المشرف لهم إلا أن بعض العوام كانوا يطلقون هذا التعريف على العلماء وشيوخ الزوايا ومجاوريها الدائمين وكانوا يجلونه عن غيره من التعاريف والأعلام والصفات . وقد جاء فى كتاب « صحراء ليبيا » لأحمد باشا حسنين قوله : (الاخوان هم الأعضاء العاملون فى هذه الطائفة ـ يقصد الطريقة السنوسية ـ وهم الذين ينشرون تعاليمها وأغراضها . والاخوان لفظ يطلق على المفرد والجمع فى اصطلاحهم)

هذا وقد قال فيهم العلامة السيد أبو سيف حدوث البرعصى وهو منهم وإليهم :

تلاميذ لا يعدون أمراً أراده ... بواد وأشراف تبيد الأعاديا
كتائب أمثال الجبال رزانة ... وإن حملت خلت الهضاب جواريا
أولئك أقوام على الموت بايعوا ... مبايعة أضحى بها الصبر راضيا
فكم جدلوا يوم الجدال أجادلا ... وكم أغمدوا فى الهام عضبا يمانيا

إذا حملوا تحت (العقاب) تخالهم　　صقورا على الأشلا توالى التهاويا(١)

وفيما يلى نذكر الأبيات التالية من قصيدة مماثلة للأديب السيد محمد عبد الله السنى مخاطبا بها الامام السيد محمد المهدى رضى الله عنه ويصف جنوده الاخوان فيقول :

إمام الهدى نافى الردى قاهر العدى　　فديتك عجل قد أضر بنا الجهل
تجد من بنى الاسلام أخلص عصبة　　جحاجيح أبطال إذا جاولوا جلوا
بهم من صناديد كماة عياهل　　لهم فى ميادين الحروب يد تبلوا
يسلون فى داجى الخطوب إذا دجت مهند أفكار صوارمها صقل
يقودونهم أشبالك الغر أنهم　　لهم فى ميادين الوغى نبأ يحلو
ليوث إذا ما أحجم القوم أقدموا　　تحل على الأعداء من بأسهم نكل
هم القوم إن قالوا فثق بمقالهم　　إذا سمحوا سحوا وإن قاتلوا فلوا
وإن حسروا يوم الوغى عن نصالهم　　تخال رجوماً للشياطين قد سلوا
وإن عطفوا بعد القراع إلى الحمى　　رأيت وجوه القوم بالبشر تنهل
بهم أصبح الدين الحنيفى راضيا　　وأضحت قباب المجد محكمة تعلوا
وأمست حياض الجود يورد فضلها　　وضلت رياض الأمن باليمن تخضل
وأبرزت الدنيا بديع جمالها　　وأبدت من الإحسان مالم يكن قبل
فأكرم بهم من سادة شيدوا لنا　　معالم يجرى فى جوانبها العدل

وقال أيضاً فى وصف الإخوان من قصيدة مماثلة :

باعوا النفيس وأنفاسا لنصرته　　وكل شيء سوى مرضاته هجروا

ومن قصيدة عصماء للعلامة سيدى عبد الرحيم بن أحمد المحبوب يقول فيها :

على حبه باعوا النفوس وأوجفوا　　إليه ضمار القود من كل فدفد

قلنا - كما هو الواقع - أن تسمية أتباع الإمام السنوسى بالاخوان هى

---

(١) العقاب : اسم لراية النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقد تنبأ الشاعر بأن تكون هذه الراية هى راية ليبيا فقد اتخذها سمو أمير ليبيا بمثابة العلم الوطنى منذ سنة ١٩١٤ م وأصبحت الآن هى العلم الملكى الخاص بجلالة ملك ليبيا إدريس الأول حفظه الله .

تسمية تشتمل جميع معتنق المبدأ السنوسى وأتباع الحركة وأنصارها فى كل قطر من الأقطار ، وإذا ما اعترفنا بعجزنا عن ذكر أسماء مشاهير الاخوان من تلاميذ الامامين (الأول والثانى) فى كتابنا هذا فليس معناه أن يقف هذا العجز حائلا دون أن نذكر بعض الأسماء التى تحضرنا من ذلك العدد الكبير الذى قام بنصرة وتأييد الحركة السنوسية فى مختلف مراحلها بكل قطر والتفانى فى حب قائديها الأول والثانى بأقصى معانى الصدق والاخلاص مستميتين فى سبيل إداء ماتمليه تلك الحركة المباركة كما علمهم قائدهم الأكبر طرق الأداء لخدمة الاسلام ولرفعة شأن المسلمين ، وفيما يلى نذكر أسماء بعض الإخوان من طبقة العلماء الأعلام والقادة الأفاضل :

(١) العلامة السيد محمد بن عبد الله التواتى وهو من أوائل رفاق الامام الأكبر وتلاميذه ، وقد قام بعدة أعمال أناطها به الامام الأكبر فى كل من الحجاز واليمن وليبيا وتوفى بالحجاز ودفن بزاوية بدر . وقد رثاه شعراء السنوسية كالسيد عبد الرحيم أحمد المحبوب والسيد أبو سيف مقرب .

(٢) العلامة الجليل السيد أحمد أبو القاسم التواتى ـ من توات بصحراء الجزائر ـ كان من أوائل رفاق الامام الأكبر وتلاميذه وقد تولى أعمالا كثيرة وشاقة عهد بها إليه إمامه من بينها مشيخة زوايا سيوة والزيتون وزوايا فزان والاشراف على زوايا أخـــرى ، والتفتيش على الزوايا ومراقبة أحوالها باسم الامام ، وجلس للتدريس فى الجغبوب ، ومما ورد فى حقه بلسان الامام الأكبر فى كتاب أرسله إلى أعيان واحة سيوة قوله رضى الله عنه .

(وولدنا الشيخ أحمد التواتى قد أقمناه مقامنا ، وما أرسلناه إلا لمنفعتكم خاصة . وإلاّ فغيره يقوم مقامه ، وأسمعوا لنصيحته فإنه نصوح أمين وقد هدى الله به أمما عديدة)

توفاه الله بزاوية الطيلمون وقد رثاه زميله العلامة السيد فالح الظاهرى بقصيدة عصماء مطلعها :

على مثل من أوقاته حلية الدهر بصالح أعمال ، دموعك فلتجرى

كما رثاه زميله السيد أبو سيف مقرب بقصيدة مماثلة جاء منها قوله :

سل الدهر هل يبقى سعيدا مخلداً ولو كان أبقاه لأبقى محمدا

يكر علينا ليله ونهاره شجاعين لا يثنيها من تجلدا

ومنها :

ألا ليت شعرى كيف صاروا بنعشه إلى القبر وهو الطود ذو المجد والندى

حوى نعشه علما وفخرا وسؤددا وحلماً وتقوى ما سواها تزودا

(٣) السيد على بن عبد المولى ، أحد أوائل رفاق الامام الأكبر ، صحبه من بلاده سفاقس ولم يتخلف عن مصاحبة الامام طول حياته ، ومن بين ما تولاه من الأعمال ، مشيخة زاوية الجغبوب ، وكان بمثابة وكيل خاصة الامام الأكبر واستمر كذلك فى عهد الامام (الثانى) السيد المهدى رضى الله عنه ، وكان مرهوب الجانب معروف بالصلاح والتقوى ، توفى بزاوية الجغبوب .

(٤) العلامة السيد أحمد بن فرج الله — من ساحل طرابلس — تعرف على الامام الاكبر فى طرابلس والتحق به سنة ١٢٥٨ ﻫ فى الزاوية البيضاء ، واعتنق المبدأ السنوسى ؛ وكان درقاوى الطريقة ، ونال شرف مصاهرة الامام الأكبر الذى تزوج من كريمته السيدة فاطمة التى أنجبت الامام (الثانى) السيد المهدى السنوسى وشقيقه السيد الشريف ، وقد توفاه الله بالزاوية البيضاء حيث دفن بمقبرة الصحابى الجليل رويفع بن ثابت الانصارى ، ولم يترك عقبا من الذكور .

(٥) العلامة السيد محمد بن الشفيع — من سنار السودان — كان من بين تلاميذ العلامة الجليل السيد أحمد بن إدريس الفاسى دفين (صبيا باليمن) وتعرف على الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى أثناء حضوره عند

السيد أحمد بن إدريس ، وسمع ما شهد به هذا السيد للإمام الأكبر فالتحق به فى مكة وانتسب إليه ، وقد تولى أعمالا كثيرة منها مشيخة زاوية المدينة والقيام بالتفتيش على الزوايا فى كل من الحجاز وليبيا وكانت آخر أعماله مشيخة زاوية سرت (خليج سدرى) حيث توفاه الله بها سنة ١٣٢٤ ﻫ وكان من أجل العلماء علماً وتقى وشدة فى الحق وشجاعة .

(٦) العلامة السيد أحمد المقرحى وقد أسماه الامام بالمفرحى إذ أبدل القاف فاء — من بادية طرابلس — التحق بالامام الأكبر فى مدينة طرابلس الغرب سنة ١٢٥٧ ﻫ وكان فى طليعة علمائها الذين يرجع إليهم على باشا اشقر الحاكم العثمانى ، وفى بعض الروايات أنه تولى الأفتاء فى ولاية طرابلس ، وهو أحد الذين كلفهم على باشا أشقر بمناقشة الامام الأكبر لمعرفة مدى ما نسبه إليه بعض المعارضين الحسدة من أنه جاء بجديد فى الدين إلى غير ذلك ، وما كاد السيد المقرحى يتصل بالامام حتى تعلق به وانتسب إليه وانخرط فى جملة أخوانه ، وقد توفاه الله بالزاوية البيضاء سنة ١٢٦٣ ﻫ ودفن بمقبرة الصحابى رويفع بن ثابت الأنصارى ، ولم يترك عقبا .

(٧) العلامة الجليل السيد عمران بن بركة الفيتور — من بلدة زليتن — تعرف على السيد الامام سنة ١٢٥٧ ﻫ ولحق به فى الزاوية البيضاء سنة ١٢٥٨ ﻫ حيث أتم تحصيله العالى تلميذا للإمام ، ومن بين الأعمال التى أسندت إليه مشيخة الزاوية البيضاء كما قام بالتدريس فيها وفى معهد الجغبوب وكان أيضا مدرسا للإمام السيد المهدى رضى الله عنه وكان يتمتع بمكانة مرموقة بين زملائه وتلاميذه العديدين كما كان محل إحترام وتقدير الأمامين . توفاه الله بالجغبوب سنة ١٣١٠ ﻫ ورثاه الكثير من شعراء الأخوان . ومما جاء فيه من قول السيد أبى سيف مقرب البرعصى قوله :

لقد سرت يامولاى للقبر نيرا ... ولا عجب فالنيرات تسير
وان جار دهر فى انتهابك واعتدى ... فما زال قدما يعتدى ويجور

له كلف بالاكرمين فكاسه تدر عليهم عاجلا وتدور
ويعتامهم بين الانام فنبله يصيب وأما خيله فتغير
الا أن للدنيا مصائب جمة ولكن مصابي بالكبير كبير
مصاب لهفاضت نفسيات أنفس ولان له (رضوى) ولان (ثبير)
فيا واحدا ضج الجميع لفقده وعج كبير بالبكا وصغير
قضيت حميدا وانقضى العلم والتقى وآض جناح الدين وهو كسير

إلى أن قال :

رثيتك عن حب بحث قريحة نزورا وذهنا قد علاه فتور
ليهنك قبر خطه لك (سيد) خبير بروضات الجنان بصير

ورثاه تلميذه العلامة السيد أحمد بن ادريس بقصيدة طويلة جاء منها قوله :

سأبكي على فقد العلوم وأندب وأن لم يجب هذا البكاء فيندب
(. . . .) وواسطة العقد الذى فيه يحسب

وقد جاء بتاريخ الوفاء فى البيتين التاليين فقال :

وارخ ثلاثا من مآبين الفهم ومن بعد عشرما من الموت مهرب
وكان انتقال الجود فى رجب كما تباشر سكان السماء ورحبوا

ولم يترك رحمه الله عقبا من الذكور .

(٨) العلامة الجليل السيد عبد الله بن محمد السنى ـ من سنار السودان ـ كان تلميذا للعلامة الجليل السيد أحمد بن ادريس ، وماكان يتعرف على الامام الاكبر ويسمع من شيخه ماحدث به عن الامام السنوسى حتى تعلق به وانتسب إليه منضما إلى تلاميذه واخوانه ؛ وكان التحاقه بالامام سنة ١٢٤٩هـ وتولى أعمالا كثيرة منها القاء الدروس فى مختلف العلوم . ثم تولى مشيخة زاوية مزدة حيث توفاه الله بها وحيث يوجد الآن بعض أولاده وحفدته .

(٩) العلامة الجليل السيد فالح الظاهرى ــ من الحمراء بالحجاز ــ ينتسب لبنى حرب التحق بالامام الأكبر سنة ١٢٤٣ هـ فى مكة وتفرس

فيه الامام نجابة وذكاء ، وتحققت هذه الفراسة فقد كان من أبرز العلماء علما وانطلاقة وسعة فهم ؛ وكان فى طليعة المدرسين بالمعهد الجغبوبى ، وقام بزيارة الآستانة مندوباً عن الامام الأكبر ، كما زارها فى عهد السلطان عبد الحميد ونزل فى ضيافته معززا مكرماً ، ثم زار الهند ، وجلس للتدريس فى جميع البلاد التى زارها .

وفيما يلى نذكر بعض ما ورد فى رسالة منه إلى العلامة السيد أحمد الريفى رحمهما الله :

وفى هذه السبع سنين ، بعد قدومى من البلاد الرومية حصل لى من إفادة العلوم غطوس ما أفقت منه إلا وأعضائى بها خلل من طول الجلوس ، لكننى ولله الحمد حصلت من تبليغ العلم إلى أهله غاية الأرب ؛ ولم يبق قطر من الأقطار إلا وحمل عنى إليه دفتر (مفالحه) شيخنا الأستاذ ، وهذا أقصى أمنيتى من كونى جعلت فى الخافقين لشيخنا المذكور أعلا صيت حتى فى الهند والسند . كان السيد فالح — إلى جانب تضلعه الواسع فى العلوم الدينية والفقهية والحديث واللغة والتاريخ والرياضات — أديباً يقرض الشعر الرقيق متنوعاً فى أساليبه ، وفيما يلى نذكر بعض الأبيات من شعره على سبيل الاستشهاد :

عندما كان فى أخريات أيام حياته قد عاد إلى الحجاز ومكث به إلى أن توفاه الله سنة ١٣٢٧ ﻫ وله هناك بعض الحفدة ، وقد أنشد القصائد الطوال حنيناً إلى الجغبوب وعهده الذى كان يمرح فيه بين أئمته وإخوانه ، ومما أنشده قوله من قصيدة عصماء طويلة :

سرى طيفكم وهنا فما تاه فى المسرى ... (على بعد ما بين الجغابيب) و(الحمراء)
عجبت له أنى اهتدى لى وبيننا ... مهامة ينبو الوهم عن جعلها مسرى
أأحبابنا والله ما غير النوى ... ودادى ولا أخلت خلاوى لكم ذكرى
أهش بريح الجربياء إذا سرت ... وإن أضرمت فى القلب من شوقكم جمرا

ومن أرق قوله فى الغزل :

قد بات والدمع فى الآماق منضوداً — من شادن أخلف الميعاد موعودا

ومنها :

وللغرام حريق فى جوانحه — أعيا العواذل إخفاء وتخميدا
ما للصبابة أمست لا تفارقه — والشوق عن غيره قد بات مطرودا

ومنها :

قصيدك الله يا من لست أذكره — إلا وصلت بنار الشوق مضمودا
خلت الهوى منك يدينني وما صدقت — تلك الظنون فقد أمسيت مجهوداً
حرمتنى منك حتى فى الخيال وما — تخش تلاقى ، أخلت الصب جلمودا
إن زرت أحببت نفساً حرة اتخذت — محمداً شافعاً والله معبوداً

وقد مدح أستاذه الامام الأكبر بقصيدة طويلة قال عنها :

« ومما كان رعف به قلم الفقير فى مديحه على أسلوب العلماء قولى » :

ما عيب شيء غيب مطل عنى — لديون صفر الراحتين شجى
والظلم ياذا الظلم يخشى غيه — والهجر هجر عند كل حيى
وأنا وصى الراشين ياحكم الهوى — لا تمض قولهم بدون وصى
وإذا هم نطقوا بمنع الجمع بى — عاند فما هم غير كل خلى
وإذا هم ابتدءوا الكلام فرده — ليقين ودى نسخ كل فرى
وزن الكلام يشر عليك بصرفهم — لم يظفروا من حقهم بدنى
فسما محياها المحيل لناظرى — والطرف ميال لكل بهى
لو لم يكن قمر الدجى ما غرنى — عن منهج نحو السلو سوى
لى نسبة فيها تحرر منظرى — يهدى إليها فهم كل ذكى
جسمى السقيم لجفنها ونحوله — لنحول خصر كالصريم مضى
أعملت بيض صوارمى فى قوامها — لوصالها من كف كل كمى
ولدغتهم بأراقم سمر القنا — ولسعتهم بعقارب الحرمى
فاستأثرت منى لهم بلواحظ — وسوالف وحواجب كقسى

لم تخط عدل الحكم فى أمرامرىء عند الجزاء بفعله مجزى
شدت وثاقى فى الهوى من لى بأن ترثى لحال أسيرها العذرى
السعد ياسعدى لديك محبب والود ذو نفع إليك بكى
ماذا عليك وقد بخلت بزورة أن تبعثى طيف الخيال يحيي
إنى لأمنحك المودة قد صفت من كل مذق للعتاب بغى
وأظن ظن محقق إن الهوى إن شيب ليس من الهوى بنجى
عطفا على محروم لوم ذا حشا من حب ذى خفر سواك برى
كبراءة من كل لوم حازها شيخ الشيوخ محمد بن على
سامى المكان مكان كل فضيلة ظل الورى بالمجتدين حفى

وقال مضمنا :

ياابن السنوسى يازين الفضائل إن زانت سواك فسادالقوم ياابن على
لم يبق جودك لى شيئا أؤمله تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

(١٠) العلامة السيد عبد الرحيم بن أحمد المحبوب (البنغازى) كان لقبه المغبوب فأبدله الإمام بالمحبوب ، التحق بالإمام سنة ١٢٥٨ هـ وتتلمذ عليه فتخرج ككل تلاميذ الامام بأوفى نصيب فى مختلف العلوم ، وقد تولى مهاما كثيرة اسندت إليه منها مصاحبة الامام (الثانى) السيد المهدى من الحجاز إلى الجغبوب ، وكان مقربا لنفس الامامين محببا اليهما . وقد قام فيما كان يقوم به بالتفتيش على الزوايا ، وتولى مشيخة زاوية بنغازى ، وانتدب لزيارة الآستانة فى عهد الامام الأكبر كما زارها فى عهد الامام (الثانى) وقام أيضا بمهمة إلقاء الدروس العالية بمعهد الجغبوب ككل زملائه شيوخ الزوايا ، توفاه الله بزاوية بنغازى سنة ١٣٠٥ هـ ولم يترك عقبا من الذكور .

(١١) العلامة السيد حسين الغريانى كان من أوائل رفاق وتلاميذ الامام الأكبر ، وقد قام بأعمال كثيرة منها مشيخة زاوية البيضاء ، ثم زاوية جنزور المعروفة باسم (زاوية دفنه) حيث توفاه الله بها وحيث يوجد الآن عدد من أولاده وأحفاده هناك .

السيد محمد ادريس
جلالة ملك المملكة الليبية المتحدة
ولد حفظه الله
في شهر رجب سنة ١٣٠٧ هـ
١٢ مارس ١٨٩٠ م

الامام المعظم
السيد محمد المهدي
المولود سنة
١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م
والمنتقل ١٣٢٠ هـ
١٩٠٢ م

ابن محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن حم بن يوسف
ابن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن احمد المرابط بن منداس بن عبد القوي (امير امراء تاقدمت وتلمسان)
ابن عبد الرحمن (مؤسس امارة تاقدمت) بن يوسف بن زيان (أمير ملوك المغرب الأقصى) بن زين العابدين (أمير امراء تاقدمت)
ابن يوسف (عاشر ملوك الريف وباديس) بن حسن (تاسع الملوك المذكورين) بن ادريس (ثامن الملوك) بن عبد الله احمد
(سابع الملوك) بن محمد (سادس الملوك) بن عبد الله (خامس الملوك) بن حمزة (رابع الملوك) بن سعيد بن يعقوب
(ثالث الملوك) بن حمزة بن علي (ثاني الملوك) بن عمران (اول ملوك الريف وباديس) بن ادريس الاصغر (امير المسلمين ومؤسس مدينة فاس)
ابن ادريس الاكبر (اول الخلفاء الادارسة بالمغرب) بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى، بن الامام حسن السبط (وهو ممن تولوا الخلافة الاسلامية الكبرى)

بن علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) وأمه فاطمة الزهراء

شجرة النسب السنوسي نقلا عن كتابنا (المهدي السنوسي)



العلم الليبي يرفع على سارية القنصلية الليبية بالاسكندرية يوم افتتاحها
(إنه مأثرة من مآثر الحركة السنوسية)



العلامة الجليل السيد فالح الظاهرى
تلميذ الامام الاكبر السيد محمد بن
على السنوسى (أنظر صحيفة ٦١)



القائد السنوسى الكبير
شيخ الشهداء ورمز
التضحية والفداء السيد
عمر المختار ، وقد أخذ
الفاشيست صورته هذه
أثناء وقوعه فى الأسر ؛
وهو من تلاميذ الامام
(الثانى) السيد محمد
المهدى السنوسى وقد
اشترك فى الحرب
السنوسية الفرنسية
بالسودان

الى حضرة العارفين وعمدة المعترفين القطب الرباني والغوث الصمداني حضرة شيخنا ومولانا

واستاذنا محمد ابن علي ابن السنوسي الشريف الحسني [illegible] رضي الله عنه

اما بعد تقبيل الايدي التي امسى كل غبر الى حضرتها الشريفة مريدا وتقييد بجد منها [illegible] قد وردنا مشرفكم

الزمان منكم [illegible] ايامها [illegible] لنا اليه بعيدا [illegible] مطلعا له وجدناه

حاوي افادة لطائف فبادرت له بالقيام وقابلته بالاجلال والاكرام تكرارا وشكرنا

وعطفنا عليه لثما واستلاما وفضضناه وقراناه [illegible] وكررنا ذلك [illegible] وطوارق الليل والنهار ومسا

المولى عز وجل على صحة [illegible] منكم ودوام [illegible] عن الاعداء [illegible] فضلكم الامداد بصالح الدعوات في الخلوات

اسرتم به [illegible] فالامر كذلك وارجو من كريم [illegible] ولا تنسوا [illegible] هذه الاقطار

والخلوات [illegible] في بيت الله الحرام وبين زمزم والمقام [illegible] مولانا التوفيق

من [illegible] وصالح الدعاء عقب الاذكار والملاحظة [illegible] اناء الليل واطراف النهار [illegible] الفلاح

وان [illegible] في سلك سادتنا المهاجرين ثم ولا تنسونا من الاجوبة مع كل قادم [illegible]



والسلام عليكم ورحمة الله [illegible] سنة ١٣١٩

وقاله [illegible] عيسى [illegible] صالح [illegible]

(١٢) العلامة الجليل والبركة الصالح والمربى الفاضل السيد أحمد بن عبد القادر الريفى — من تلمسان — التحق بالامام الأكبر فى الحجاز سنة ١٢٦٧ هـ فلازمه ملازمة صادقة ، وقام بكثير من الأعمال الشاقة كما كان يقوم زملاؤه وتلقى عنه الامام (الثانى) السيد المهدى رضى الله عنه الكثير من العلوم ، ثم اتخذه هذا الامام بمثابة المستشار الخاص ، وكان معروفا بالحلم والورع ولين الجانب حتى أن بعض الاخوان يروى أن الامام السيد المهدى كان يتلو القرآن الكريم ، وعندما مر بقوله تعالى : «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما» قال رضى الله عنه : إن معنى هذه الآية ينطبق على فلان (يعنى السيد أحمد الريفى) . توفاه الله بزاوية التاج سنة ١٣٢٩هـ .

(١٣) السيد محمد بن الصادق — من الطائف — كان من أوائل رفاق وتلاميذ الامام الأكبر إذ التحق به فى الحجاز ، وقد تولى أعمالا كثيرة منها الشرط الأساسى لجميع تلاميذ الامام وهو إلقاء الدروس ، وقد أوفده الامام الأكبر إلى الجزائر أكثر من مرة بمهمات هامة تتعلق بتغذية الثورة ضد الاحتلال الفرنسى ، وإشعالها إذا ماخبت مؤقتا ، وقد تولى مشيخة زوايا الجريد بتونس إلى جانب قيامه كهمزة وصل بين الزوايا السنوسية والجزائر يومذاك وقـــد توفاه الله هناك ، ومن عقبه بعض أحفاده الموجودين الآن بليبيا .

(١٤) العلامة السيد محمد بن مصطفى حامد المدنى — من تلمسان — التحق بالامام الأكبر فى الحجاز سنة ١٢٦٧ مع زميله السيد أحمد عبد القادر الريفى وتتلمذ عليه وتولى أعمالا كثيرة منها تعليم القرآن وإلقاء الدروس ، والاشراف على شئون الطلبة والعمال فى الجغبوب ، ثم مشيخة زاوية تازريو حيث توفاه الله هناك وقد أبقى أولادا وأحفادا .

(١٥) العلامة السيد عمر محمد الأشهب — من زليتن — كان من أوائل وتلاميذ الإمام الأكبر إذ تعرف عليه مع زميله السيد عمران بن بركة

سنة ١٢٥٧ ﻫ والتحق به فى الزاوية البيضاء سنة ١٢٥٨ ﻫ حيث أتم تعليمه هناك وقد أسندت إليه أعمال كثيرة ككل زملائه منها إلقاء الدروس كما تولى مشيخة زاوية درنه والاشراف على بعض الزوايا ومشيخة زاوية ماره ، ثم مشيخة زاوية مسوس وقد توفاه الله بها فى أواخر القرن الماضى من الهجرة ، وقد ترك أربعة أولاد ثانيهم هو والد كاتب هذه النبذة كما ترك أربعة بنات .

(١٦) السيد مصطفى المحجوب — من مصراته — وقد تعرف على الإمام الاكبر سنة ١٢٥٧ والتحق به فى الزاوية البيضاء سنة ١٢٥٨ ﻫ ولذا فهو من أوائل رفاق وتلاميذ الإمام المبرزين وقد تولى — ككل زملائه الاخوان — مهاما كثيرة آخرها مشيخة زاوية الطيلمون حيث توفاه الله بها سنة ١٣٢٣ وقد أعقب ولدين وخمسة بنات .

(١٧) السيد احمد بن على أبوسيف — من بادية طرابلس — كان من أوائل رفاق وتلاميذ الامام الأكبر ، وقد تولى أعمالا كثيرة منها التدريس ومشيخة زاوية مسوس ، فزاوية ماره ، وقد توفاه الله بالحجاز سنة ١٢٩٤ تاركا ولدين وخمسة بنات وهو جد ملك ليبيا للأم .

(١٨) العلامة السيد ابو القاسم العيساوى — جبل طرابلس — كان من تلاميذ ورفاق الإمام الأوائل وقد تولى مشيخة زاوية الرجبان إلى جانب أعمال كثيرة أنيطت به منها إيفاده إلى دار الخلافة ، وقد أنجب عددا من الأولاد والبنات تولى أكثرهم مشيخة بعض الزوايا .

(١٩) العلامة السيد محمد بن ابراهيم الغمارى — مراكش — كان من أوائل رفاق الإمام الأكبر وقد تولى أعمالا كثيرة منها مشيخة الزاوية البيضاء والاشراف على صناعة تجليد الكتب الخاصة بمكتبة الجغبوب وتنظيمها .

(٢٠) العلامة السيد ابراهيم الغمارى — مراكش — كان من أوائل رفاق الامام ، وقد تولى مشيخة زاوية دريانه ضمن الأعمال المناطة به ، وقد توفاه الله عن عدد من الأنجال والأحفاد .

(٢١) العلامة السيد مصطفى الغمارى — مراكش — كان من رفاق

الإمام الأوائل، وقد تولى مشيخة أكثر من زاوية بالحجاز حيث توفاه الله هناك .

(٢٢) السيد محمد حسن البسكرى ، كان من رفاق الإمام الأوائل ، وكان بمنزلة الابن المتبنى للإمام الأكبر ، وكان يقوم بالسكرتيرية الخاصة للإمام (الثانى) السيد المهدى وقد تشرف بمصاهرة الإمام الأكبر الذى تزوج من شقيقته السيدة فاطمة البسكرية ، توفاه الله عن ولدين

(٢٣) السيد عمر أبو حواء الفضيل الأوجلى كان من أوائل رفاق الإمام الأكبر ، وقد اشتهر بالصلاح والتقوى والاستقامة ، وقد ندبه الإمام إلى أكثر من مهمة فى كل من الحجاز وليبيا والسودان وشمال أفريقيا ؛ وقد تولى مشيخة زاوية الجوف بواحة الكفرة التى توفاه الله بها ، وقد ترك عقبا منه ابنه الشهيد السيد الفضيل أبو عمر .

(٢٤) السيد مصطفى الدردفى ـ من مصراته ـ وكان من رفاق الأمام الأوائل إذالتحق به فى الزاوية البيضاء سنة ١٢٦٠ وتولى مشيخة زاوية شحات حيث يوجد عقبه الآن .

(٢٥) العلامة الأديب السيد أحمد الطائفى ، كان من رفاق الإمام الأوائل وكان أحد المدرسين بمعهد البيضاء أولا ثم بالمعهد الجغبوبى كما كان قبل ذلك مدرسا بزوايا الحجاز ، وتاريخ انتسابه للإمام كان سنة ١٢٤٩ هـ ولم يترك عقبا .

(٢٦) العلامة السيد حسين الموهوب ـ قبيلة الدرسا ـ كان من أوائل المنتسبين للإمام الأكبر ؛ وكان من بين المدرسين بالمعهد الجغبوبى ، كما تولى مشيخة زاوية الواحات الداخلة حيث يوجد قسم من عقبه هناك .

(٢٧) العلامة السيد محمد بن حمد الفيلالى ـ من المغرب ـ كان من رفاق الإمام الأوائل ، وقد انضم إليه فى الجزائر ، وتتلمذ عليه وتولى أعمالا كثيرة منها رئاسة مجلس الإخوان فى برقة ومشيخة الزوايا البيضاء والأشراف على كثير من الزوايا فى برقة ، وقد وصفه الامام رضى الله عنه بالرئاسة

إلا أن بعض الشذوذ فى معاملته للإخوان لم يرض عنه الإمام فنحاه عن منصبه . وتوفى رحمه الله بدون عقب .

(٢٨) العلامة السيد محمد أحمد السكورى — من صنهاجة بالمغرب — التحق بالامام الأكبر فى برقة وكان والده السيد أحمد من وجهائها وأغنيائها فتنازل عن ابنه المذكور لخدمة الامام ، وبعد تخرجه أصبح من المدرسين ، وتولى مشيخة زاوية الواحات البحرية وأوفده الامام فى مهمة إلى الحجاز ثم ولاه مشيخة زاوية المرج .

(٢٩) السيد المرتضى فركاش كان من أوائل الذين انضموا إلى الامام فى برقة منخرطا فى سلك الأخوان سنة ١٢٥٧ ﻫ وقد أسندت إليه اعمالا داخل برقة منها قيامه بوظيفة قاضى الصلح فى الأحياء البدوية ، وتولى مشيخة زاوية أم الرزم وتشرف بمصاحبة الامام إلى الحجاز ، وتوفى عن عدد من الأولاد انخرطوا جميعا فى خدمة الحركة السنوسية .

(٣٠) السيد اسماعيل الفزانى ، كان من أوائل المنتسبين على الامام والمنضمين لاخوانه وقد تولى مشيخة زاوية الفايدية حيث يوجد عقبه الآن

(٣١) العلامة السيد أبو سيف مقرب حدوث البرعصى — من أشراف بادية برقة — سلمه والده طفلا للإمام ، وكانت تبدو عليه أمارات الذكاء والنجابة ، وكان من بين العمال الذين قاموا ببناء زاوية العزيات ؛ ويروى أنه وقع من ساس عال وهو يحمل حجرا فشج رأسه بصورة مفجعة وجيء به إلى الامام الأكبر فضمد رأسه بقطعة من عمامته الشريفة قائلا هذا الرأس سيملؤه الله علما وحكمة ، وصدقت فراسة الامام إذ أصبح السيد أبو سيف من أبرز العلماء كما كان فى طليعة أدباء الأخوان ، وكان من كبار المدرسين فى المعهد الجغبوبى وأحد أعضاء مجلس الأخوان . توفاه الله بزاوية التاج سنة ١٣١٤ ولم يترك عقبا من الذكور .

(٣٢) السيد أحمد القسنطينى — من الجزائر — وهو من أوائل رفاق وتلاميذ الامام وفى طليعة المدرسين بالمعهد الجغبوبى .

(٣٣) السيد الحسين الحلافى ـ من المغرب ـ كان من أوائل رفاق وتلاميذ الامام وقد تولى فيما تولاه من الأعمال مشيخة زاوية المخيلى .

(٣٤) السيد المختار بن عمور ـ من أشراف الجزائر ـ كان من بين تلاميذ الامام ، ومن بين مانولاه من الأعمال مشيخة زاوية قفنطه .

(٣٥) السيد محمد حيدر الهونى كان من رفاق الإمام الأوائل وقد اشتهر باجادة تلاوة القرآن ترتيلا حتى روى عن السيد الامام أنه كان يقول : (ياهونى قراءتك للقرآن تقول اسمعونى) .

(٣٦) الشيخ عمر جلغاف حدوث ـ من زعماء القبائل ببرقة ـ انضم إلى الأمام فى الزاوية البيضاء سنة ١٢٥٧ ﻫ وأخلص كغيره من الزعماء فى خدمة الأمام فأصبح ضمن الأخوان ، وقد ذهب إلى الحجاز ملتمسا من الأمام عودته إلى برقة ، وقد ضمه الأمام إلى مجلس الأخوان فى البيضاء وأوفده لتفتيش الزوايا والقيام ببعض المهام فيها .

(٣٧) الشيخ الفضيل أبو خريص الكزة ـ أحد زعماء القبائل ببرقة ـ قد انضم إلى الأمام وانخرط فى سلك الأخوان ، وكان حظه من التعليم قليلا كحظ زميله الشيخ عمر جلغاف ، وقد أوفده الأمام إلى السودان والحجاز والجزائر .

(٣٨) العلامة السيد محمد الأزهرى الزنتانى ، كان من أوائل رفاق وتلاميذ الأمام الأكبر وقد قام بمهمة القاء الدروس فى المعهد الجغبوبى ، ثم تولى مشيخة زاوية طبقة إلى أن توفاه الله بها ، وقد أبقى عقبا .

هذا ما أمكننا ذكره من تلاميذ الأمام الذين تولوا أعمالا كثيرة فى ليبيا ولم نتمكن من ذكر الكثير منهم فى كتابنا هذا لضيق الوقت من جهة ، ولعدم تمكننا من إستكمال مايجب إستكماله من جهة أخرى .

التحرر الفكرى :

كررنا فى أكثر من مكان بهذا الكتاب صريح اعترافنا بالعجز عن إستقصاء ما قام به الإمام الأكبر من جلائل الأعمال التى تضيق عنها فسيح المجلدات ولا يتسع المقام لحصرها فى مثل هذه العجالة ولكن لا مانع من المحاولة لعرض هذه النبذة اليسيرة وإن كانت بالنسبة لتاريخ الإمام العظيم كالقطرة من المحيط المتلاطم الأمواج .

لقد كان الإمام السنوسى رضى الله عنه كبيراً فى شخصيته ؛ كبيراً فى عبقريته ، كبيراً فى نبوغه ، كبيراً فى تفكيره ، كبيراً فى عمله ، كبيراً فى كل شىء ، كان رضى الله عنه لا يعرف للراحة طعما ، ولا للإستكانة محلا ، ولا للإستسلام وطناً ، ولا للنوم لذة ، كان شعلة من نور فى الحق وللحق وشواظاً من نار على الباطل ولدفع الباطل ، كان قوى التأثير فى كل شىء وعلى كل شىء ، وكانت انطلاقته الإسلامية الحرة كالسهم النافذ فلا يقف فى طريقه حائل دون أن تصل هذه الإنطلاقة إلى ما استهدفه من الغايات السامية التى نظر إليها ببصره النافذ وحدد مكانها ، كان حراً فى رأيه ، مستقلا فى تفكيره جاداً فى عمله ، وكان فى كل ذلك لا يخرج قيد أنملة عن محيط العلم الصحيح المستمد من كتاب الله والمنبثق من سنة رسوله على أوسع وأصح ما يكون دراسة وفهماً .

كان الإمام السنوسى مالكى المذهب إلا أنه غير مقيد بقيود التقليد الأعمى ، وكان يبغض تعصب المتزمتين وسكون الجامدين فقد استظهر جوهر القرآن الكريم ، وفهم معانيه السامية ، وروحه ونصوصه الصريحة على حقيقتها كما حفظ آياته الكريمة بجميع الروايات وتدبرها ، وهكذا أخذ يعمل على تطبيق معانيها نصاً وروحاً ؛ وبذلك كان حرباً على الجمود والتواكل والتعصب والتزمت ، وكان ينادى بتطهير العقيدة مما ألصق بها من خرافات وأوهام وشوائب ، متمسكا بالدين الخالص الذى لا يتمكن المسلم بسواه

من تبوء مكانته اللائقة به فى الحياة الدنيا ، وهو إذن يضمن سعادة الأخرى وكان داعياً صريحاً لنبذ الخلافات المذهبية التى تحكم ضررها فى نفوس المتعصبين ، وكانت جميع أعماله مطبوعة بطابع الجدية ، فكان ثورة جامحة على الجهل ، وكان قوة صارمة لنصرة العلم والدين ، وكان يرى أن هناك قوة كامنة فى كل مسلم يمكن إستغلالها لمصلحة الإنسانية ولكن هذه القوة لا يظهرها إلا العلم والدين والتحرر من قيود الجهل والخمول والتعصب والجمود وإلا فإن تلك القوة الكامنة تتحول بهذه الصفات البغيضة إلى ضعف يقضى على صاحبه .

كان يؤلمه ما يراه من تأخر المسلمين وانقسام العرب الأمر الذى كون فى نفسه عاملا من تلك العوامل الكثيرة التى دفعته دفعاً إلى العمل فى غير تهيب أو وجل حتى أثمر جهاده وأينعت جهوده فى سرعة ما كان يعرفها تاريخ العاملين ، ومن ينعم النظر — كما يقول المؤرخ التركى السابق ذكره فى كتابه عن السنوسية — عظمة فى القصد وجلالته ، وفى قدرة الوسائط وفقدانها ، وفى جسامة المشكلات التى اقتحمها المؤسس وقاسها على الجمعيات الأوربية والشرقية لا يمكنه إلا أن يقف موقف الدهشة أمام عظمة هذا الرجل وبعد غور دهائه ، ويقول المؤرخ المذكور فى مكان آخر من كتابه : أن الطريقة السنوسية قد أسست على حكمة عملية وإجتماعية ، أن أساسها هو الأخوة والتعاون ، واستطرد المؤرخ فى حديثه عن السنوسية إلى أن قال : إن الطريقة السنوسية ما هى إلا جمعية سياسية أفكارها ومقاصدها معلومة لدى خواص الأخوان والخلفاء والمشايخ والزعماء . أما العوام فلا يعلمون منها إلا النذر اليسير .

هذا وقد ناصبه رضى الله عنه بعض الأدعياء العداء كما ناصبه نفر من العلماء الجاسدين عداءهم لا لأى سبب يدعو للذلك إلا الجمود الذى يمثلونه والتعصب الذى لم يجد مكانا يستقر فيه إمام إنطلاقته الإسلامية الحرة القوية

ومن بين المعارضين كان الشيخ عليش عفى الله عنه ؛ وقد ورد فى كتاب الإسلام والنصرانية بقلم حكيم الشرق الأستاذ محمد عبده ما يلى :

ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسى (والد السنوسى ساكن الجغبوب — هكذا —) كتب كتاباً فى أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول المالكية ، وجاء فى كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة . فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية — (رحمه الله) وكان المقدم فى علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسى بالحربة لو لقاه ، وجاء فى نفس الكتاب المذكور ؛ بل فى نفس الصفحة أن الشيخ المالكى الذى حمل الحربة هو : الشيخ عليش الذى كان ينكر على السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده أيضا طريقتهما فى تحقيق المسائل الشرعية على طريقة السلف .

لم ندر أى كتاب هذا الذى أشار إليه الشيخ محمد عبده ؛ وقد ذكرنا أسماء كتب الامام السنوسى فى غير هذا المكان من كتابنا هذا ، والمعروف هو أن الامام السيد محمد بن على السنوسى ألف عدداً من الكتب ، وكتب عدداً من الرسائل ضمنها بحوثه العلمية ، ومواضيع شتى منها ، الإجتهاد والتقليد فقد بحثهما بحثاً مستفيضاً وأورد فى بحثه حججه البالغة وأقواله الصحيحة الصريحة المدعمة بنصوص القرآن الكريم وأحاديث سيد المرسلين ؛ كما أورد آراء أعلام المسلمين وأئمة الدين ، وقد استوفى بحوثه بدرجة لم تترك لقائل مكاناً للتقول وإن كان التعصب والجمود لا تفيد فيهما حجة ، ومن بين تلك الرسائل الكثيرة التى كتبها الإمام السنوسى رسالته المسماة (هداية الوسيلة فى إتباع صاحب الوسيلة) تناول بحثه فيها حالة المتبع وذى التقليد ، وما يحتاجه المتبع من العلم وكيفية سلوكه ، وكيفية العمل بالحديث ، وأدلة القول ، والدلائل الفعلية ، وتعارض الأقوال ، وتعارض الأفعال ، وتعارض الأقوال والأفعال معاً ، وتعريف الأجتهاد ، والمجتهد وصفاته ، وشروط الإجتهاد ، والمجتهد المطلق ، والمجتهد المقيد ، ومجتهد المذهب ، والتقليد والمقلد ، واتباع

المذاهب ، والسلوك وأقسامه ، وموقف الرياضة والتهذيب ، وموقف التقريب ، وبيان عقيدة السلف رضى الله عنهم إلى غير ذلك .

هذا وقد تناول عليه رضوان الله مسألة الإجتهاد فى رسالته الخاصة بمسألتى القبض والتقليد . ولعل هذه البحوث العلمية القيمة التى استنبطها من كتاب الله وسنة رسوله والتى كانت من صميم الدين وقد جاءت كنتيجة لإنطلاقه وتضلعه فى العلوم وسعة مداركه وتفهمه للحقيقة ، لعلها هى التى جعلته مستهدفا لحسد المتعصبين الجامدين من العلماء كما كان قد استهدف رضى الله عنه لكيد الحكام فى ذلك العصر من أولئك الذين فرضوا أنفسهم وفرضتهم ظروف انحلال المسلمين على حكم البلاد الإسلامية ، ولكن الامام السنوسى الذى كان يستمد قوته من إيمانه بالله ومن عقيدته الإسلامية الصحيحة — ولن تنهض الأمم كما هو معروف إلا بالعقيدة السليمة — لم يضعف أمام هذه الزوابع التى أثارها نفر استحوذت عليه الأهواء ، وسيطرت على نفسيته الجهالة ، وفيما يلى نسوق بعض ماورد فى بحث للإمام السنوسى عما كان يلاقيه ، قال رضى الله عنه : (وقد صار الحق والحمد لله فى المسألة شمس النهار واضمحل ما ليس به على أمثال هؤلاء الأغيار ، وتبين أن لا مستند لهم فى ذلك الانكار (. . . . . . .) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله .

« ومن قال أن الشهب أكبرها السها   بغير دليل كذبته ذكاء »

والعجيب (. .) من هو مصر على أكبر الموبقات وأكبر الكبائر على وجه يكاد أن يكون كفرا بواحاً وارتداداً صراحاً ، كيف ينكر مثل هذا الأمر ، ويبالغ فى التشنيع على فاعله بمقتضى الجهل الفاحش والعقل الخسيس ، وأى نسبة بينه وبين ماهو ملطخ به ومنغمس فيه إلى جمجمته من تلك القذرات والعظائم التى تؤذن بانحلال أربقة الدين ، وتشعر بالخروج عن ملة الإسلام وزمرة المسلمين ، وغاية هذا الفعل والبناء على القول الشاذ (. .. . .) التحريم وإن احتمل الكراهة أن يكون من الصغائر التى لا توجب تفسيقا

لفاعلها ولا تبديعا ، ولا تقضى تهويلا فى الانكار ولا تشنيعاً ، كيف وذلك القول كما سبق من الشذوذ بحيث لايلتفت إليه (. . . . .) لمخالفة الأحاديث الصريحة السالمة من الطعن ، ولما اتصل به العمل من جمهور السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين وقد أصاب القائل :

(ولن تبصرا شخصا يسمى محمداً ـ من الناس الا مبتلى بأبى جهل) وما (. . . . . إليه) كلامهم عن هذا المغرب طهره الله من البدع المنكرة والأهواء المضللة فنقول : كان ذلك قبل أن يوسد أمره إليهم ، وتجرى أحكامه على أيديهم إذ الناس ناس والزمان زمان ، وأما اليوم فقد استحال حاله إلى فساد ، وسلب من طهارة ماهو فيه معتاد إذ قد أحدثوا فى هذه الملة المحمدية من التبديل والتغيير مالم تحدثه فى دينها أمة من الأمم ، وانتهكوا من حرماتها مالم تنتهكه (. . . .) ولا فاجر من تقدم ، ومزقوا أديمها كل ممزق ، واستحلوا من محرماتها ماعلم من الدين تحريمه بالضرورة وتحقق ، وصاروا أضر عليها من بنى عبيد ، وأشأم على أهلها من حادى النجم (. . . .) الصيد ، ولقد أعلنوها بالنبىء خصومة إلى الله أغنت عن يمين وشاهد .

وأما نحن فلم نحدث والحمد لله حدثا فى الدين ، ولا ابتدعنا فيه بدعة ينكرها أحد من أئمة المسلمين ، فعلم الله ذلك وملائكته وصالح المؤمنين .

ورب جهول عابنى بمحاسن ويقبح ضوء الشمس فى الأعين الرمد

ويستطرد رضى الله عنه فى حديثه هذا باسهاب إلى أن يقول :

على أن المقصود إنما هو إفادة الحق لأهله دون الاحتجاج على من أنكر ذلك (. . . . . .) ما تقدم بمقتضى جهله ، فان تلك الفئة الخاسرة ممن لا يفهم الخطاب ولا يحسن الجواب ، وممن لا يطمع فى رجوعه إلى الحق إذا تبين ولا يرجى منه المثاب « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » فالكلام إذن مع مثلهم ضائع ، وتبيين الحق لهم غير نافع ، (. . . . . . .)

والله المسؤول أن يتدارك بالخـــير ما أحدثوه بهذا الدين المحمدى من الانصداع ، ويطهر من حدثهم البقاع . فهو المرجو فى الإعانة والتأييد ، نسأله أن يرينا الحق حقا ويعيننا على اتباعه ، ويرينا الباطل باطلا ويعيننا على اجتنابه بمنه وكرمه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين) .

يلاحظ القارىء الكريم أننا تركنا بعض الأماكن بيضاء ، وذلك لأننا لم نستطع قراءة الكلمات ، ولم يكن من حقنا أن نأولها حسب مايظهر لنا ظننا ، ولذلك تركنا محلها بياضا ، هذا وقد نقل الأستاذ محمود كامل المحامى فى كتابه (العرب تاريخهم بين الوحدة والفرقة) قائلا : (كانت الدعوة السنوسية هى الخطوة الثانية نحو إخراج مذهب التحرر الإسلامى إلى حيز التنفيذ . وقد شرح المستشرقون هذه الطريقة الإسلامية من الزاوية السياسية الدولية التى تخصهم فقرروا : أن برامج السنوسية هى جمع صفوف المسلمين فى أفريقيا أولا ، ثم بعد ذلك فى مختلف أنحاء العالم تحت لواء أمامة الإسلام فى نقاوته الأولى ليضم إلى أعطافه المؤمنين عن عقيدة صافية باسم الجمعية الإسلامية وترى السنوسية أن تحرير الإسلام سياسيا من النشاط المسيحى يجب أن يسبقه إنعاش روحى ومعنوى عميق لشعوبه ، ولتحقيق هذه الغاية يتعين تحسين أحوال وخلق الذين يتبعون المذهب ، وكذلك يجب بذل الجهود الجديدة لرفع مستواهم المادى بتشجيع وسائل زراعتهم للواحات فى ظروف أفضل وحفر آبار جديدة . وبناء مساكن لايوائهم على طول خطوط القوافل وتشجيع التجارة وإنماء حركتها) .

أن هذا هو واقع الحال الذى أثبتته الحركة السنوسية فى المرحلة الأولى من التأسيس فى كل من صحراء ليبيا وصحراء مصر الغربية ، وفى الطريق المؤدية إلى السودان (تشاد) هذا من جهة حفر الآبار وإصلاح الصهاريج التى كانت مدمرة ومجهولة ، ففى سنة ١٢٧٠ هـ قام الإمام السنوسى بحملة قوية لإصلاح الآبار الواقعة على (طريق العبد) جنوب ساحل برقه ، وكذلك الواقعة فى الصحراء بين العزيات والجغبوب . ومن هذه الآبار

(بئر حكيم) السابق ذكره ، وفى سنة ١٢٨٦ ﻫ قام العلامة السيد محمد بن الشفيع بحفر بئر جديدة جنوب الكفرة على مسافة أربعة مراحل فى طريق السودان ، وذلك بأمر الإمام (الثانى) السيد محمد المهدى السنوسى الذى اسمى هذه البئر (بشرى) كما حفرت بعد هذا البئر بئر اخرى اسماها الإمام با (السارة) وهى الأخرى فى طريق السودان . وهكذا أصبحت جميع أجزاء ليبيا المترامية الأطراف مرتبطة بعضها البعض بالعمران الممثل فى وجود المراكز الإصلاحية (الزوايا) والآبار الجوفية والصهاريج سواء على الطريق الساحلية أوفى دواخل البلاد وفى شرقها وغربها ، وفى جنوبها حيث يبدو جبروت الصحراء القاهر هذا وقد اتفق رواة تاريخ السنوسية أن الأمام السنوسى رأى أن العلوم العقلية والنقلية لم تكن كافية للنهوض بالمسلمين وإذن فلا بد للنهوض المرجو من تعلم الصناعات التى أخذت أوربا بموجبها تتقدم تقدما ظاهراً . وعلى المسلمين إذا ما أرادوا أن ينهضوا وأن يجددوا مجدهم المندرس فعليهم بالإضافة إلى العلوم العقلية والنقلية أن ينتهجوا طريق العلوم الأخرى وأهمها علوم الصناعة ولعل هذه النظرية ضمن ما أخذه عليه الجامدون من علماء المسلمين .

أثر الحركة السنوسية ومآثرها :

إتفق مؤرخوا السنوسية من غربيين وشرقيين على أن الإمام محمد بن على السنوسى كان نسيج وحده ، وكان أمة — كما يقولون — فى رجل ، ويرى الكثير من مؤرخى السنوسية ان الإمام السنوسى قد سبق الزمن الذى يلائم نهضته إلا أنه استطاع أن يجعل من الزمن الذى جاء فيه قادرا على هضم نهضته التطورية التى اندفعت متقدمة بالسرعة التى تعجز عنها ضخامة الوسائل الحديثة فتغلبت وسائله الروحية على مقاومة جميع التيارات بصورة تقف أمامها الوسائل المادية ، كانت أعماله مدعمة بالإخلاص والصدق والجرأة والتفانى ونكران الذات والعفة والورع والنزاهة والشرف والترفع عن سفاسف الأمور ، ولذلك فإن المؤرخين يعتبرون أن الإمام السنوسى فى طليعة المجددين الذين عرفهم تاريخ الإسلام بالإصلاح والاستقامة ، وكان تجديده الحازم يتفق تماما مع روح الدين وجوهر الشريعة السمحاء إذ أنه انبثق منهما وعنهما ، وكان يأخذ على متعصبى المذاهب الاسلامية تعصبهم الذى يراه من العوامل الفعالة فى تأخير سير القافلة عن ركب التقدم الذى تنشده الأمم التى عرفت حقها فى الحياة ولم يكن ذلك التقدم المنشود مقتصراً على أمة دون أخرى من البشر فما بالك بأمة الاسلام التى كانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، فالاسلام يجارى جميع التطورات ، ويأخذ مكانه الأول من كل تقدم تقتضيه سنن الطبيعة ، وهكذا فقد كان شغل السنوسى الشاغل هو النهوض بالمسلمين الذين يعتبرهم مسؤلين عن أداء رسالة الاسلام لخير البشرية ولصالح الانسانية ، وهكذا فلم يستسلم عليه رضوان الله لعوامل الجهل ومعاول الانحطاط وإن كانت هذه العوامل وهذه المعاول قد استفحلت فى كل قطر من الأقطار الاسلامية إلا أنه لم ييأس من النصر الذى وعد الله به من ينصره ، وأذن فليس من العجيب ولا من الغريب أن يتوفق الامام فى عمله ويتفوق على أقرانه وأن يحالفه

النجاح بصورة حيرت الألباب وأدهشت متتبعي سيرته الطاهرة وجهاده الصادق الذى ظهرت نتائجه على مسرح التاريخ تبين بوضوح وجلاء كل ماقام به فى جميع مراحل إصلاحاته العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية وهذا هو محل الإعجاز فى الحركة السنوسية ، ترك رضى الله عنه فى كل بقعة حل بها أثراً مادياً ناطقاً لا يمحوه الزمن ، ومن هذه الآثار والمآثر تلك الزوايا السنوسية التى نعبر عنها بالمراكز الإصلاحية ، فقد رصعت بها أماكن كثيرة فى مختلف أنحاء المشرق والمغرب العربيين ، ولم تخل منها بعض البلاد غير العربية كتركيا وأندونسيا والهند والنجيريا والسودان (تشاد) وإيران وكانت جزءاً من برامجه الواسعة فأصبحت بمثابة المدن التى يختلف اليها سكان الصحارى لقضاء حاجاتهم ، وفض خصوماتهم وتثقيف أولادهم وتنوير عقولهم وتهذيب أخلاقهم ، وكانت أيضاً بمثابة المراكز ذات السلطة المسؤلة عن سلامة الأمن والنظام ، وعن المحافظة على الأرواح والأموال ، كما كانت خير محاكم للنظر فى الأحوال الخاصة والمعاملات العامة . وكان إنشاؤها فى الوقت الذى كانت فيه البلاد أمس ماتكون حاجة إليها إذ ليس هناك سلطان مهاب أو ظاهر لحكومة ذلك العهد ، ولذلك فإنها ملأت المكان الشاغر وسدت الفراغ بصورة لم تتوفر يومنا هذا فى كثير من البلاد مع وجود الحكومات المسيطرة وسعة سلطانها وكثرة وسائلها .

وليبيا التى أصبحت تعتز بعروبتها وبمكانة دينها الإسلامى وباستقلالها الذى انتزعته من بين أنياب الزمن انتزاعاً وبذاتيتها المرموقة وبمكانتها الدولية لم تكن فى الواقع قبل مائة سنة تحلم بتلمس طريق هذا الشرف والعزة وذلك لما كانت فيه وعليه من الجهل المتأصل ومن سلطان القوى الغاشم على الضعيف المستسلم ، ومن الفوضى الضاربة أطنابها ، ولولا الحركة السنوسية التى انجابت أمام سناء برقها الوضاء ظلمات الجهل الذى سيطر على النفوس قروناً طويلة فلولا هذه الدعوة المباركة لصارت ليبيا فى خبر كان ، ولقيل عنها ما يقال الآن ، عن السودان (تشاد) وما يقال عن سشيليا الإيطالية التى يقال

عنها أنها كانت عربية ، ولأصبحت الأندلس الثانية لأن الجهل بلا شك هو ألد الأعداء وأقواها فتكا بالشعوب ، فليبيا اليوم هى أثر من صنع الإمام ومأثرة من مآثره الخالدة .

وما كانت الحرب السنوسية الفرنسية فى السودان (تشاد) سنة ١٣١٧ ﻫ إلا من ثمرات البذور التى غرسها فأينعت وقد سجلت تلك الوقائع التى جرت بين القوتين غير المتكافئتين فى السودان وذلك الصراع الدموى مشروعية حق العرب والمسلمين فى الدفاع عن السودان عندما تحين الفرصة ، ويستيقظ الضمير الإنسانى ، وسوف يأتى ذلك اليوم الذى تتحفز فيه الهمم للمطالبة بحقوق تلك البلاد التى ابتلاها الله بنوع من الاستعمار لم تعرف نظيره القرون الوسطى ، وسوف لن تنطفىء تلك الشعلة التى ألهبها السنوسى فى نفوس أتباعه الكثيرين الذين لا يخلو منهم مكان فى أفريقيا وآسيا ، ثم إن الحرب الليبية الإيطالية لم تكن إلا ثمرة من ثمرات التعاليم والتوجيهات السنوسية ، وقد أسفرت عن استقلال بلاد عربى إسلامى يتمتع الآن بكامل سيادته تحت قيادة مليكه الادريس الأول حفيد الامام الأكبر ونجل الامام (الثانى) إن الشعب الليبى الأبى الحر ما كان — لضعف إمكانياته ولعدم وعيه — يومذاك بقادر على أن يصمد أمام ثلاثة حروب قاسية ، ضد فرنسا فى الجنوب والغرب ، وضد الانجليز فى صحراء مصر الغربية وواحاتها ، وضد إيطاليا المعتدية فى الداخل لولا الروح السنوسية المنبثقة عن تعاليم الدين ونور العلم والتى أججت فى نفوس الليبيين ناراً ونوراً ، وهذا أيضاً أثر من آثار الامام الأكبر ، ومأثرة من مآثره الخالدة .

ولم تكن هذه الثورة الجامحة فى الجزائر ضد المستعمر وليدة الساعة ، أو نتيجة لتفكير حديث ، ولكنها جذوة من لهيب مستعر أوقده الإمام الأكبر يوم أن احتلت فرنسا بلد الجزائر ، وقد عمل الإمام على إشعال هذه الثورة منذ أكثر من مائة سنة ، وعمل من أجلها ، وحث عليها ووجه لها . وهكذا نرى



المرحوم صاحب السمو الملكى الأمير السيد محمد رضا المهدى السنوسى وهو يتحدث إلى فقيد ليبيا الكبير رمز الوفاء والاخلاص والوطنية السيد ابراهيم أحمد الشلحى أحد الاخوان السنوسيين



تجمع هذه الصورة عددا من الاخوان السنوسيين الذين تشكلت منهم أول لجنة لتنظيم المقاومة ضد إيطاليا سنة ١٩١١ وهم من اليمين إلى الشمال السادة : عمران السكورى ، الأمين الغمارى ، عبد الله الجيلانى . الحسن الغمارى ، عبد الله الأشهب وكلهم من تلاميذ الامام (الثانى) السيد محمد المهدى السنوسى

أن الرحالة الفرنسى المسيو (دوفرير) مؤلف كتاب (سيدى محمد بن على السنوسى) يقول أن السنوسية هى المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التى قامت ضد فرنسا فى الجزائر ، ويتهم السنوسية بأنها اليد المدبرة لجميع نكبات فرنسا فى الشمال الأفريقى وفى السنغال ، ويحاول الكاتب الفرنسى أن يثير حفيظة المستعمرين لمساعدة فرنسا ويستدر عطفهم فيقول : إن فرنسا وحدها هى التى تجابه السنوسية وتلاقى منها الصعوبات الكثيرة كثورة محمد عبد الله فى تلمسان وصحراء الجزائر سنة ١٨٤٨ م و ١٨٦١ م وعصيان محمد بن تكوك فى (الظهرا) سنة ١٨٥١ وما قام به عزت باشا فى وجه قناصل فرنسا فى طرابلس المسيو بلبزيه والمسيو بوتا سنة ١٨٥٣ و ١٨٦٠م وثورة الصادق بجبال الأوراس سنة ١٨٧٩ ، وكانت للسنوسية بكل تأكيد اليد الكبرى فى ثورات أولاد سيدى الشيخ سنة ١٨٧٩ و ١٨٨١م كما كانت لها اليد فى حبك الدسائس التى وقعت سنة ١٨٨٢ م فى حاشية باى تونس ، وفى المظاهرات المعادية لفرنسا التى قامت فى طرابلس سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٣ م وكذلك فى طرد نائب قنصل فرنسا فى بنغازى المسيو ريكارد ، واستطرد الرحالة الفرنسى - فى كتابه المذكور - إلى أن قال : أن الحقيقة التى يجب أن لا نغفل عنها أو نتغافلها هى أن الطريقة السنوسية أخطر أعداء نفوذنا (نحن الفرنسيين) فى شمالى أفريقيا وفى السنغال وأنها العقبة الكأداء فى سبيل توسعنا السياسى والأقتصادى داخل أفريقيا . وهى فى الوقت نفسه عائق فى طريق أهدافنا فى القارة الواقعة شمالى خط الأستواء . ويواصل الكاتب الفرنسى حديثه إلى أن يقول : لقد بلغ نظام التحرى والأستقصاء للأخبار عند السنوسية من حيث الدقة درجة الكمال ففى سنة ١٨٧٨ م و ١٨٨١ أبلغ السنوسى وكيله فى طرابلس عن معلومات دقيقة بالثورات فى جبال الأوراس وأولاد سيدى الشيخ قبل أن تصل أخبار تلك الثورات إلى مدينة الجزائر نفسها فى حين أن طرابلس تبعد عن الجزائر حوالى ٧٠٠ ك م وحوالى ١٢٠٠ ك م من مواقع أولاد سيدى الشيخ ، ويضيف المؤرخ الفرنسى قوله بأن السنوسية هى القوة المحركة



العلامة المرحوم
السيد محمد على
عمــــر الاشهب
شيخ زاوية واو
وهو من الذين
قادوا حركة
الجهاد فى منطقة
فزان كما أنه تلميذ
الامام (الثانى)
السيد محمد المهدى
السنوسى



العلامة المرحوم السيد على
مصطفى المحجوب شيخ
زاوية اللهعون وهو من
تلاميذ الامام (الثانى) السيد
محمد المهدى السنوسى



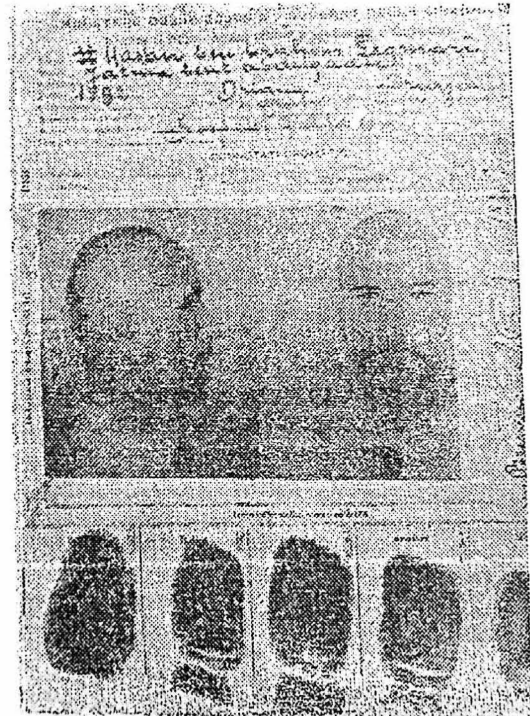
المرحوم السيد عمران السكورى شيخ زاوية المرج وعضو لجنة تنظيم المقاومة
ضد إيطاليا ، وهو من تلاميذ الامام السيد محمد المهدى السنوسى ،
وقد أخذ الفاشيست صورته أثناء اعتقاله سنة ١٩٣٠



العلامة الفاضل السيد أحمد بن أحمد أبوسيف تلميذ الامام (الثانى) السيد
محمد المهدى ، وقد اشترك رحمه الله فى الحرب السنوسية الفرنسية بالسودان



العلامة المرحوم السيد عبد القادر
الامين الزنتانى وهو من تلاميذ الامام
الثانى السيد محمد المهدى السنوسى وقد
اشترك فى الحرب السنوسية الفرنسية
بالسودان ، توفاه الله سنة ١٩٤٣



المرحوم السيد الحسن الغمارى
شيخ زاوية دريانة وعضو لجنة
تنظيم المقاومة ضد إيطاليا وقد
أخذ الفاشيست صورته هذه
أثناء اعتقاله سنة ١٩٣٠

لجميع الحوادث التى وقعت فى البلاد الإسلامية ، وذلك للحيلولة دون إنتشار النفوذ الأروبى ، ويحدد المؤرخ الفرنسى من هذه الحوادث حادثة ثورة المهدى فى السودان ، وثورات الصومال وتونس والجزائر والسنغال وأفريقيا . هذا بعض ماسجله لنا دوفرير فى كتابه . وكان يقصد بذلك التشهير بالسنوسية فى حين أن ما سجله لنا لم يكن إلا مأثرة من مآثر الحركة السنوسية وأثراً خالداً من آثارها وقد جاء الوقت الذى أصبح فيه العالم الإسلامى والعربى يقدر تلك الجهود ويحتذيها للوصول إلى الغاية التى كان الإمام السنوسى يستهدفها لإسعاد المسلمين والعرب أينما كانوا .

هذا ومع أن مشاغل الامام السنوسى ببعث مكارم الأخلاق وتجديد معالم الدين الحنيف وبالتأسيس وبالانشاء والتعمير والتعليم كانت لاتترك له متسعاً من الوقت يمكنه من التأليف الذى يعد من وسائل نشر العلم والفكرة . ولكنه مع هذه المشاغل الشاغلة أصر على أن لا يكون مجال التأليف خاليا من أثره ومآثره فألف فى الدين والتاريخ والفقه والاجتماع وما إلى ذلك من مختلف العلوم الحية مما يدلنا على أن ضيق وقته لم يقف حائلا دون أن يجعل لهذه الناحية نصيبا من اهتمامه الذى لم يقف عند حد ، وفيما يلى نذكر أسماء بعض مؤلفاته التى حفظت من العبث بها قدر المستطاع وهى قليل من كثير فالمفقود من تآليفه هو الأكثر .

(١) بغية القاصد وخلاصة المراصد .

(٢) ايقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن .

(٣) السلسبيل المعين فى الطرايق الأربعين .

(٤) الدرر السنية فى أخبار السلالة الادريسية .

(٥) شفاء الصدر فى أرى المسائل العشر .

(٦) مقدمة على موطأ الإمام مالك .

(٧) المنهل الروى الرائق فى أسانيد العلوم وأصول الحقائق .

(٨) المسلسلات العشرة فى الأحاديث النبوية .

وقد قام بطبع هذه الكتب المذكورة حفيده المعظم السيد محمد ادريس المهدى السنوسى ملك المملكة الليبية المتحدة حفظه الله ذخرا للبلاد وموئلا للأمة وحاميا لتراث أسلافه الغر الميامين .

أما الكتب التى لم تطبع حتى الآن فهى :

(١) الشموس الشارقة فى معرفة أسانيدنا من المغاربة والمشارقة .

(٢) البدور السافرة . هذا الكتاب والذى قبله هما كتبت فى العلوم التى درسها الامام وفى شيوخه الذين تلقى عنهم مختلف العلوم ، وكذلك شيوخ الطرائق الصوفية التى درسها ، وهما على غرار كتابه المطبوع « السلسبيل المعين فى الطرائق الأربعين » .

(٣) مفاتيح الأيدى فى مرويات أبى زيد ، وهذا الكتاب لم نقف عليه ولكننى علمت عنه من كتاب بعث به المجاهد الكبير المرحوم السيد أحمد الشريف وهو بالمدينة المنورة إلى شقيقه السيد محمد عابد يرجوه أن يزوده بنسخة من كتاب مفاتيح الأيد فى مرويات أبى زيد تأليف الامام رضى الله عنه ويقول السيد أحمد الشريف فى رسالته هذه الموجودة عند السيد أحمد بن ادريس عابد السنوسى وقد أطلعنى عليها « أن النسخة التى كانت بيده قد ضاعت » .

(٤) رسالة جامعة فى أقوال السنن وأفعالها ، وهى منظومة وتوجد الآن بمكتبة الملك المعظم كتبها بخطه العلامة السيد محمد المبخوت النواتى رحمه الله .

(٥) « هداية الوسيلة فى اتباع صاحب الوسيلة » منظومة شاملة وقد سبق أن ذكرنا فى محل آخر من كتابنا هذا عن بعض المواضيع التى بحثها الامام وضمنها فى هذه المنظومة ، وهى توجد بمكتبة جلالة ملك ليبيا ، وقد كتبها بخطه العلامة السيد محمد المبخوت التواتى رحمه الله .

(٦) « طواعن الأسنة فى طاعنى أهل السنة »

وهذا الكتاب لم نقف عليه إلا أنى وقفت على اسمه مقيداً فى أكثر

من موضع ، وعند أكثر من واحد من الاخوان السنوسيين ، وقد سمعت بذكره من الكثيرين الذين وقفوا عليه ، هذا وقد وقفت أيضاً على اسمه مكتوباً بخط مؤلفه الامام رضى الله عنه .

(٧) رسالة شاملة تبحث باسهاب فى مسألتى القبض والتقليد وتوجد هذه الرسالة المخطوطة بمكتبة جلالة الملك المعظم .

(٨) رسالة السلوك ، وهى أيضاً مخطوطة وتوجد بمكتبة الملك .

(٩) شذور الذهب فى محض محقق النسب ، ضمنه تاريخ أسلافه رضى الله عنهم .

وقد علمنا بأن جلالة ملك ليبيا المعظم يبذل جهوداً جبارة للحصول على ما فقد من تآليف جده الامام ويحرص على طبعها ، وحبذا لو يتكرم كل مواطن فى حوزه شىء منها بتقديمه على أى لون كان حتى يتسنى حفظها وبالتالى طبعها فإنها ثروة علمية وتاريخية لا يستهان بها .

ومن مآثر الحركة السنوسية أيضاً وجود معهد السيد محمد بن على السنوسى الدينى بالبيضا الذى أحياه وجدده ونهض به ملك ليبيا الأدريس العظيم منذ أربع سنوات ويضم الآن أكثر من ثلاثمائة وخمسين طالبا وأكثر من (١٥) مدرس من كبار علماء الأزهر .

هذه هى بعض آثار ومآثر إمامنا العظيم غفر الله له وأسكنه أعلا الفراديس .

يقول العلامة الأديب السيد محمد عبد الله السنى :

وغادر فى كل البـــلاد مآثراً بها كل ناد فيه ألسنة تتلوا
وعمت أياديه فنادت بأنه هو الغيث لا يبقى بساحته المحل

وقد حاول أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله أن يلخص أعمال الدعوة السنوسية فى قصيدته العصماء التى امتدح بها الإمام السيد المهدى السنوسى ومما جاء فيها قوله :

لايرى العلم فى سوى العمل الصـ ـالح فالعلم آلة ووعاء
فلهذا نرى الطريق السنوسى على الفعل قام منه البناء
بانت، فيلا هدى مريد السـ ـنوسى وأن ليس بالكلام اكتفاء
كلهم عالم لذلك فيهم تتبارى العقول والأعضاء
كم تولى بالكف سكة حرث حبر علم حظت به القراء
حققوا سنة المعلم للـ خير الرسول الذى به الأقتداء
بث ما بين مطلع الشمس والغـ ـرب رشدا ضاءت به الأرجاء
« وزوايا » فى كل غور ونجد ليس يسطيع حصرها الأحصاء
وبدا بالبناء فى الجبل الأخضر حيث البنية (البيضاء)

إلى أن قال :

فى مجال الطعان أسد محار يب ولكن عند (المحاريب) شاء
يعمرون الأرض التى أورث اللـ ـه عباداً له هم الصلحاء
لم يخلوا قفراً من الأرض إلا اهتز منه حديقة غناء
فأسأل(القرو)و(الجغابيب)و(الكـ ـفرة ينطق عمرانها والنماء
وأسأل(الواح)كلها كيف عاشت بالسنوسى تلكم الصحراء

ومنها :

كم غدت من سلطاه ترجف رعباً دولة ملأ أنفها الكبرياء
رد أزر الإسلام صلباً سوياً بعد أن كان شفه الأنحاء
وأعاد الإسلام غضاً كما كا ن عليه أسلافه القدماء
لم يقم مثله لإرشاد خلق ذلك الحق ليس فيه مراء

ومن قصيدة للأديب المرحوم أحمد بك المنتصر يمدح الإمام السيد المهدى فيقول :

جاءنا مرشد ومهد وهاد مفرد فى قواعد التلقين
فاستنارت به البلاد مشيداً حوزة الشرع والكتاب المبين
وترقت قبائل قبل كانت لا تفرق حصباءها من لجين

فيه اليوم أصبحت تتهادى في مروط البهاء والتحسين
ولها أسست مدارس علم لا تقاس بأزهر المشرقين
فتراها تموج كالبحر ليلا بمناجات أمزجت بحنين
تسلب اللب من أسارى غرام أرشدتهم. فطاحل التمكين
وصباحاً ترى الفحول إستقامت فوق عرش الدروس والتبيين
منهم خائض بحور معان عقدتها بلاغة الأعرجين
وسواه يفض في فتح ختم طلسته رموز محيي الدين
وقضايا مقاصد التفتزاني حار فيها (....) والقزوين
وعلوم دقيقة ليس تحصى قذفتها بحور ليث العرين

ومن قصيدة عصماء للعلامة الأديب الأستاذ مصطفى بن ذكرى يمدح الإمام المذكور فقال :

رتب تقاصر عن بلوغ مرامها فهم البليغ فلن يمد لها يداً
والعجز عن تلك المراتب شاهد أن المقام أجل من أن يحمدا

ومن قصيدة للأديب الشيخ محمد عبد المتعال الصعيدي يمدح بها الامام فقال :

تقلد من نظم الكمال قلائدا فرائدها من معدن الحلم والزهد
وحاكت له أيد المفاخر حلة مطرزة الأطراف بالعز والمجد
أقام لطلاب الهداية والتقى من العلم أعلاماً على سبل الرشد

التعاليم القويمة :

نسق الإمام السيد محمد على السنوسى عليه رضوان الله العمل لصالح الدين والدنيا فى آن واحد ، إذ أنه لم يكن يفرق بينهما ، وذلك عملا بتعاليم القرآن والسنة فجعل كلا منهما متمما للآخر ، ولم يجزأ بين الدين والدولة كما هو الحال عندما انبثق فجر النبوة ، وفى عهد الخلفاء الراشدين .

أن الإمام السنوسى كان — كما سجله التاريخ — أوسع علماً ومعرفة وإدراكا لروح الشريعة الغراء — نصاً وروحاً — من معاصريه والكثيرين ممن سبقوه فى هذه الحياة ، والذين جاءوا من بعده ، وكانوا لا يعرفون من سماحة الدين وجوهر العلوم إلا القشور فانطووا على أنفسهم بحجة العبادة السطحية دون أن يفيدوا أو يستفيدوا فكانوا بذلك عالة على المجتمع فى مأكلهم وملبسهم وضروريات حياتهم أن لم يكونوا ضررا عليه ، وأصبحوا قدوة فى الخمول والكسل والتواكل ، ومن نشط منهم وفك عقاله يتكالب على الدنيا وزخرفها ومغرياتها دون أن يستهدف المثل العليا ودون أن يجعل للحياة الأخرى نصيبا من عمله ، وهذا النوع من المسلمين لهو ألد أعداء المجتمع الذى لا تربطه به رابطة الدين والعلم ، والفرق بين هذا النوع وبين الداعية الاسلامى الكبير محمد بن على السنوسى جد شاسع ، فالسنوسى جاء يدعو لنصرة دين الحق والإنسانية ، ويحمل إلى جانب مشعل الدين والعلم مشعل الحضارة الذى حمله قبله أبطال الاسلام المبرزين من فلسفة وعلم وفن . وكان شعاره فى هذه الحياة وللحياة الأخرى قوله تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض) .

وإلى جانب هذا النص القرآنى الصريح كان يتمثل قول النبى صلى الله عليه وسلم : (إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) .

كان الامام السنوسى رضى الله عنه غاية فى التواضع ، وفى إتخاذ وسائله من الحكمة والموعظة الحسنة ومن المساواة ، ولعلنا نجد فى كتابه الكريم الذى بعث به إلى إخوانه ماينير السبيل لمعرفة هذا البطل الاسلامى الكبير. قال رضى الله عنه :

(والذى أوصى به نفسى وإخوانى هو تقوى الله — وصية الله فى الذين خلوا من قبل — (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) باتباع أوامره ، وإجتناب نواهيه ، والوقوف عند حدوده بأعمار الظواهر بالمجاهدات ، وأعمار البواطن بالمشاهدات ، فعليكم إخوانى بأتباع السنة على سنن رسول خير أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وبه يحيون وعليه يموتون ، فان مراتب السلوك غالبا يمكن رقيها بأنواع المجاهدات وإرتكاب مشاق المعانات ،إلا أن أعلاها وأكملها وأنهاها ، وهو تجلى الذات فلا طمع لطامع فيه إلا بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجليل والحقير والكبير والصغير بوقوع القدم على القدم والحافر على الحافر، فشدوا إخوانى حيازمكم عليها صابرين ، والمرجو من ذى الفضل الكريم أن يسلك بنا وإياكم سننها على الصراط المستقيم أنه بر رحيم عفو كريم . وأن سألتم عن الاخوان هنا فهم ولله الحمد بخير جزيل . وإقبال على الله وإنحياش إليه ، ولقد هذبهم السفر ، وأزاح عنهم كل شين وضرر فلم يبق لهم لغير الله مأوى ولا لسواه شكوى)

أن هذه الرسالة تعطينا فكرة واضحة عن سمو روح المربى ، وعن سلامة الطرق التربوية التى يسلكها مع إخوانه ؛ إنه يريد أن يشعرهم بمساواتهم أياه مع علمهم الأكيد بالفروق الشاسعة بينهم وبينه ؛ ولكنه أبى رضى الله عنه إلا أن يحقق المساواة فيوصى نفسه مقرونة بهم فى قوله والذى أوصى به نفسى وإخوانى الخ) إلى جانب ما اشتملت عليه هذه الرسالة من دروس تهذيبية لامناص للإفلات منها .

وفى رسالة أخرى بعث بها رضى الله عنه إلى أحد إخوانه قائلا :
(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وتحيته ورضوانه وبعد أخى ، فالمطلوب منا جميعاً إقامة ما خلقنا لأجله من العكوف على التزام محققات العبودية ، واجتناب دواهى منازعات الربوبية ، بتعمير ظواهرنا بالأدب على متابعة أفعال وأقوال عبده وصفيه الأنور صلى الله عليه وسلم ، وذلك بتعمير بواطننا بمراقبته تعالى فى جميع حركاتنا وسكناتنا بحيث لا نفعل ولا نقول إلا ما نعلم أنه يرضيه عنا وندع كل ما سواه ، ونخلص ذينك من شوائب الأكدار وملاحظات الأغيار بحيث يكون نصب العين فى كل مشهد بكل مايرى ويشهد ، ونشهده فى ذلك الشهود إلى أن يغيب الشاهد فى المشهود ما لم تشهد المكون ، فإذا شهدته كانت الأكوان معك ، وسبيل ذلك التزام الطاعات ، والمسارعة إلى نوافل الخيرات على السنن النبوى والمنهج المصطفوى من باب لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وفؤاده الذى يعقل به ولئن سألنى لأجيبنه ، ولا سبيل إلى ذلك السبيل إلا بالدخول من باب العلم الشرعى من حديث وتفسير وفقه على الوجه الأكمل الذى كان عليه السلف ، وورثه عنهم الخلف ، وهى طريقة الكمل من البرهان والعيان ، وهى أفضل الطريقتين وأكمل المنزلتين وبالدخول من باب المجاهدة ، وارتكاب مشاق المكابرة بمخالفة النفوس وإذاقة البؤس ، وملازمة الأذكار آناء الليل وأطراف النهار حتى تنقدح الأنوار فى قلب الذاكر فيستنير به الباطن والظاهر ، من باب أن النور إذا دخل القلب انشرح وانفسح ، قيل وهل لذلك علامة يارسول الله ؟ قال : التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد إلى الموت قبل نزول الفوت فيستفيد العلوم منه به إليه ، ويستغنى عن العالم فى كل ما يؤول أمره إليه ، من باب اتقوا الله ويعلمكم الله ، وما اتخذ الله ولياً جاهلا إلا علمه ، وليس العلم بكثرة الرواية ، إنما هو

نور يضعه الله في قلب من يشاء ، وهى طريقة الإشراق فاختر لنفسك أى السبيلين تريد الدخول إليه به ، فإنه سبيل حق ، وإياك والخروج عنهما وسلوك غيرهما بالانهماك مع الغافلين (. . . . . . . لم نستطع تفهم هذه الجملة التي نترك مكانها بياضاً) فقد ورد من سجد وقلبه ينازعه فى أمر فإنما يجوده لما كان فى قلبه ، وورد من أحب شيئاً كان له عبداً ، تعس عبد الدينار ، وتعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميلة ، تعس عبد الخميصة . تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتعش . وفى الحكم ما أحببت شيئاً إلا وكنت له عبداً . وهو لا يحب أن تكون لغيره عبداً . وإياك أن تطلب على عملك جزاء آجلا أو عاجلا . فيكون درى يقينك فى الله آفلا . أو تشهد أن لك فى ذلك العمل أثر . فتشرك بخالق القوى والقدر فإن الإخلاص له مراتب . فرتبة إخلاص العوام عدم طلب الثناء والسمعة . ورتبة إخلاص الخواص عدم طلب الجزاء الأجل أو المقامات المرتفعة ، ورتبة إخلاص خواص الخواص التبرى من الحول والقوة . وهى رتبة الكمل من أهل الفتوح . وأعلاه رتبة كمال الموحدين (. . . . . . لم نتبين الجملة التالية فتركنا محلها بياضا . . . . .) باضمحلالهم فى مشهودهم مع وجودهم وافتقادهم . يعطون كل ذى حق حقه . على الوجه المحمدى بطريق الارث الحالى المشهدى . من الله علينا وإياك بالارث النبوى والعرفان الأحمدى المصطفوى إنه على ما يشاء قدير . وبالاجابة جدير) .

فى هذه الرسالة الجامعة لمعانى خير الدنيا والآخرة يتجلى بوضوح ما كان يرمى إليه الإمام السيد محمد بن على السنوسى من الترغيب فى تعلم العلم على أنواعه والدعوة للسعى وراءه لأن العلم سياج حصين يقى صاحبه من الانحطاط والعثرات وحياة الذل وسوء التصرف وسوء المنقلب ؛ وإن الدخول من باب العلم الشرعى من حديث وتفسير وفقه على الوجه الأكمل هو الباب الذى يدخل منه المسلم إلى دار الأمن والأمان والسلامة والإسلام وأنه الطريق المؤدى إلى تعلم العلوم الحية من سياسة وصناعة وفلسفة وفن

فالعلم باب السعادة فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى . كما نراه عليه رضوان الله يدعو لمخالفة النفس الأمارة بالسوء ، وهكذا يتضح أيضاً ما كان يرمى إليه من خلق العزة الإسلامية فى النفوس والشمم العربى فتراه يحذر من الانكسار فى حب الدرهم والدينار ، ويريد أن يشعر المسلم بأنه لم يكن عبدا لأحد على أى نوع من أنواع العبودية مهما تكن أسبابها ومسبباتها ، فعليه أن لايكون عبدا لغير خالقه الذى يطعمه ويسقيه وإذا مرض فهو الذى يشفيه . وهو الذى يغفر خطيئته يوم الدين . ولننظر الآن لهذه الرسالة الكريمة التى بعث بها إلى إبنه السيد محمد المهدى رضى الله عنه الذى لم يتجاوز وقتذاك الخامسة عشر من عمره . قال عليه رضوان الله :

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه وبعد

فعليك ببذل الوسع فى تمام التوجه إلى الله ، والانحياش إليه بالكلية قلبا وقالبا حتى لاترى ولاتسمع ولاتشهد سواه ، وافن عنك فيه ، وافن عن فنائك فى إبقائه ، معطيا كل ذى حق حقه جليله ودقه ، على حجاب منهاجه الأعظم ورسوله الأكرم ، مكسياً ظاهرك بمجاهدته ، محليا باطنك بمشاهدته ، محواً فى حقيقته ، ذابا عن شريعته ، مستعينا به على طاعته ، جعلك الله هاديا مهديا ، ووارثا كليا أنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير) .

ولقد حقق الله سبحانه وتعالى دعاءه لإبنه فجعله هاديا مهديا وكان خير خلف لخير سلف ، إن المتـــأمل فى روحانية هذه الرسائل ، والمتجول فى رياض معانيهـــا الفسيحة تأخذه الدهشة بما اشتملت عليه من السمو والشرف الدالين على سعة الإدراك وعلى هذا المحيط الدافق من ينابيع المعرفة التى لا تنضب فهى بمثابة التشريع الشامل المبسط لمعرفة خير الحياتين (الحيـاة الدنيا والحياة الأخرى) وهى أيضاً غاية فى علاج الروح باسمى درجات العبادة ، وعلاج البدن بأنجح الوسائل ، كما وأنها تعطينا فكرة واضحة عما كان يتحلى به الإمام السنوسى من الأدب الرائع . والتواضع الكريم ، ونكران الذات . ألم تره — وهو على ماهو فيه وعليه

من أقصى درجات الكمال المستطاع — لا يفرق — وهو يسدى النصح — بين شخصه الكريم وبين إخوانه وتلاميذه ، فنجده يوصى نفسه بما أوصاهم به فى تواضع بحيث لا يترك مجالا لاحراج ضعاف العقول ممن يستمعون إلى نصحه ووصاياه بحقيقة ضعفهم ، وقد أراد أن يتذوق الجميع طعم لذة المساواة ، وهكذا لم يشأ رضى الله عنه أن يجعل هذه المساواة — فى إسداء النصح — بين مرؤسيه بعضهم البعض وفيهم المبتدى والمتوسط والمنتهى ، ولكنه جعل نفسه كأى واحد منهم ومقامه منهم أظهر من شمس رائعة النهار ، ومع ذلك أبى أن يوجه النصح لهم دون أن يقرن نفسه بهم قائلا : فالمطلوب منا جميعا إقامة ما خلقنا من أجله ، ويقول : والذى أوصى به نفسى وإخوانى ، وهكذا فإن العلم نور ينبعث من قلوب أهل الكمال . إن الاسلام الذى تملك على الامام السنوسى حواسه ومشاعره ، وحتم عليه أن يقوم لنصرته هو فى الحقيقة دين المساواة كما وأنه (ثروة فكرية قامت على مبادئ سامية تضمن للبشرية وللإنسانية خير الدنيا وسعادة الآخرة) .

لقد كانت ثورة الامام السنوسى الاسلامية نتيجة لما يشعر به من الفساد الشامل الذى كان هو أيضا نتيجة حتمية لما تعانيه الدول الاسلامية والشعوب العربية والحكومات المحلية الضعيفة من الذل والاستعباد ، وكان الزعماء خونة ضعافا ، وكان العلماء أما أدعياء ، وأما جبناء مما جعل الحال يتطلب علاجا روحيا وبدنيا حاسماً سريعاً قوياً شاملا ، وما كان غير الامام السنوسى يستطيع ذلك ففكر وقدر ثم عمل فانتصر ، وفى رسائله الثلاثة المذكورة تشريعاً دينيـــاً جامعاً أما تشريعاته الدنيوية فقد كانت تتمثل فى الآية الكريمة التى اتخذها نبراساً فى سيره وشعارا لعمله وهى قوله تعالى (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة القليلة مستشهدين بوقائعها :

كان الإمام السيد السنوسى يساهم فى عمل من الأعمال مع بعض العمال الاميين وشعر بمايحز فى نفوسهم من عدم التعلم فحثهم على عملهم قائلا : والله لن يسبقنا أهل هذه الوريقات على الله ، ويقصد بأهل الوريقات أهل الكتب وتقدم أحد الكسالى يسأل الإمام السيد محمد بن على السنوسى عن طريقة تعلم الكيمياء وقد كان بعض أدعياء الدين يغرر البسطاء من العوام بقوله لهم أن علم الكيمياء يحول التراب والحجر والحديد إلى فضة وذهب وجواهر ، ويخرج الكنوز المخبأة تحت الأرض منذ العصور القديمة ، وذلك لمجرد قراءة بعض الأدعية وعمل بعض التمائم التى يدعى أولئك الأدعياء أنهم يستطيعون القيام بها فى خلوات خاصة وأوقات محددة مقابل أجور معينة يتقاضاها المدعون المشعوذون ويغتر البسطاء الخاملون بهذه الأسطورة فيقضون جل حياتهم على أمل الحصول على هذا النوع من العلم ، فكان جواب الإمام رضى الله عنه أن الكيمياء تحت سكة المحراث ، وان الذهب والفضة ومختلف كنوز الأرض لايخرجها إلا المحراث ، ولم يكن غرض الإمام خافيا اذ كان يقصد تشجيع الزراعة كان رضى الله عنه لايرى مايفرق بين الصغير والكبير والجليل والحقير فى ميدان العمل فالجميع فى هذا المجال الحيوى سواسية ، وبهذه المناسبة نسوق الواقعة التالية كمثل من أمثالها الكثيرة : كان العلامة السيد عبدالله التواتى — هو أحد كبار الأخوان الأعلام ومن المقربين إلى نفس وقلب الامام : وكان يتقدم جميع زملائه نظرا لمكانته العلمية واستاذيته على أغلبهم ونظرا لتقدم سنه على الكثير منهم ومع هذه الصفات المميزة — يقوم بنصيبه فى العمل العادى ككل فرد من الاتباع ، وكان ذات مرة يقوم بـ (عجن) الطين أثناء القيام بعملية بناء فى زاوية مكة ، وكان يرتدى لهذا العمل لبوساً خاص ، وفى هذه الحالة كان الامام رضى الله عنه يتولى عملا فى مجلسه يحف به بعض الزوار فدخل شخص أجنبى له مظهره الملفت للنظر ، وحيا الحاضرين ثم وجه سؤالا علميا شائكا إلى الامام — قد يكون القصد منه تعجيزا ، وكان الامام مشغولا بعمل باشره ، وطلب السائل سرعة الاجابة بصورة لفتت نظر

الحاضرين ففهم الامام موقف السائل وطمأنه بسرعة الاجابة واستدعى فى الحال تلميذه السيد عبد الله التواتى من العمل الذى أشرنا إليه ، وجاء مسرعاً بملابس العمل وقد علق الطين الذى كان يقوم بعجنه فى رجليه وهندامه فقال له الامام أجب سائلنا هذا عن سؤاله كذا وكذا ، واسترسل السيد عبد الله فى الاجابة الشاملة من ذاكرته ، ولم يترك ثغرة فى السؤال كما جاء بمختلف الأقوال فى المسألة ثم ردها إلى حقيقتها ، فاندهش الحاضرون وابدى السائل اقتناعه وتعجبه بعد أن ناقش المجيب فى بعض ماورد فى المسألة وقال : لا يصح أن يكون مثل هذا الرجل الفاضل عاملا وبهذه الصورة فمن حقه أن يتصدر المجالس ، فاجابه الامام بقوله ان جماعتنا كلهم على هذا الغرار ، ومن لم يصل منهم إلى هذا المستوى فهو فى طريقه إليه وهذا العمل الذى تعيبه عليهم لم يكن معيباً لهم أو لينقص من قيمتهم انهم يعملون كما يأمر الاسلام لرفعة شأن المسلمين ، وإننا نعمل لبناء مجد الاسلام ولرفعة شأنه ، فاعتذر السائل على مابدر منه ، وهكذا فقد أعاد الامام بسيرته الصالحة ومثله العليا وبسمو جهاده وبذل جهوده ، وبنبل قصده وشرف غايته ذكر العصر الأول من عصور الاسلام حيث كان جده الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم رأس الدولة الاسلامية الكبرى وصاحبيه أبو بكر وعمر فأخذ يرسم الخطط بالأساليب التى تمكن من العمل النافع وتنير الطريق للكسب والسعادة بأشرف وأكرم الوسائل للوصول إلى الهدف الاسمى فى حياة حرة كريمة وبمثل هذه الأساليب تسنمت بلاده فى عصره الاسلامى الذهبى أقصى درجات العلى ، وتمتعت بحياة دينية علمية تقدمية قوامها الاصلاح ، ودعامتها النظام . دستوها القرآن وعنوانها التعاون والتسامح .

ومن الأمثلة الكثيرة لترويض النفوس على التخلق بالعفة وبالنزاهة وبالترفع عما بأيدى الغير نسوق المثل التالى :

كان الإمام السنوسى — بعد أن أتم إنشاء الزاوية البيضاء ورأى أن

كثيرا من البدو يبعدون عن موقعها لمسافات شاسعة — قد أخذ يوفد بعثات الوعظ والأرشاد إلى الاحياء البدوية النائية ، ريثما يتم إنشاء زوايا أخرى يتمكن البدو من أرتيادها ، وكانت مهمة هذه البعثات هى تنوير الأذهان والتعريف بقواعد الدين الأولية ، كالصلاة ومستلزماتها ، والطهر وعقدالنكاح، والعلائق الزوجية . والصيام والزكاة وما إلى ذلك من ضروريات الدين، وكانت إحدى هذه البعثات مؤلفة من العلامة السيد حسين الغريانى والسيد المرتضى فركاش ، ونالت هذه البعثة — كغيرها — من البدو احترامهم لها مما جعلهم يتسابقون على إكرامها وعلى تقديم الهدايا من المواشى (البقر والإبل والغنم) ومن القمح والشعير والسمن ، وهذه الأشياء هى التى تتألف منها ثروة البدو يومذاك وقد تجمع الشيء الكثير من هذه الهدايا للبعثة التى قررت أن تعود بها إلى البيضاء قبل موعد تغييرها ببعثة أخرى كما هو النظام المتبع . لتقوم بتقديم هذه الهدايا إلى الامام لكى ينفقها على مشاريعه الخيرية الواسعة . وما كادت البعثة تقابل الأمام وتعرض عليه الواقع حتى أبدى دهشته واستياءه لهذا التصرف ، وأمر بأن تعود البعثة بجميع هذه الهدايا وترجيعها لأصحابها بالتمام والكمال قائلا : أن مهمة بعثاتنا تنحصر فى تلقين قواعد الدين ، والتعريف به ، لا لأن تقبل الهدايا والهبات والتبرعات وأنى أوصى جميع أخواننا الذين يقومون بواجب الوعظ والأرشاد بأن لا يقبلوا أى شيء من هذا النوع ، وبأن لا يرهقوا البدو بتكاليف الضيافة ، فنحن نزود بعثاتنا بجميع ما يلزم لها ، وعلى أخواننا أن لا يقبلوا من الأهالى إلا الأشياء التالية عندما يكونون فى حاجة لها وهى : (اللبن الممخوض والزبدة قبل أن تتحول إلى سمن) هذا مثل بسيط من أمثال الدعوة إلى العفة والنزاهة والترفع عما بأيدى الغير ، ونبذ الطمع المشين مع العلم بأن الأهالى على كامل الأستعداد لتقديم كل ما يملكون فى سبيل تعزيز الحركة السنوسية الصالحة .

من أقوال بعض المؤرخين :

(٦)

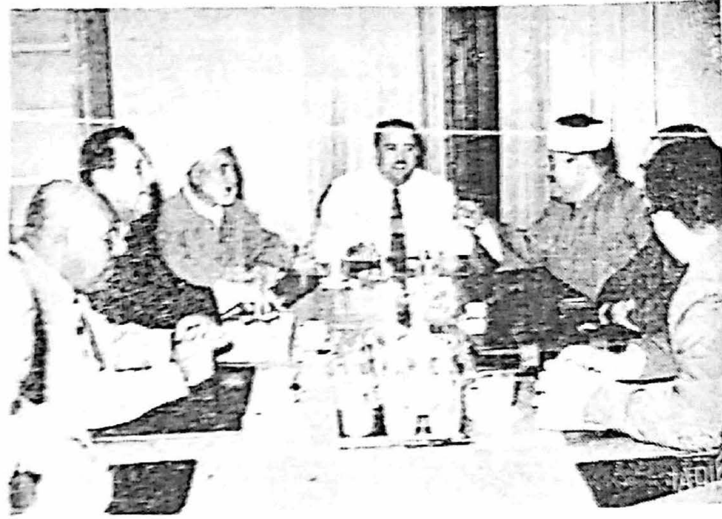
يقول الدكتور نيقولا زياده أستاذ علم التاريخ بالجامعة الأمريكية فى بيروت . فى كتابه (برقة الدولة العربية الثامنة) ما يلى :

« قد اهتم الكثيرون من الباحثين فى درس الصلات المختلفة بين السنوسية والطرق الصوفية الأخرى . وخاصة تلك التى نشأت فى شمال أفريقيا . والذى لفت النظر فى ذلك هو أن السنوسى الكبير نفسه درس عددا كبيرا من هذه الطرق الصوفية . وتتلمذ على شيوخها من التيجانية والشاذلية والادريسية والقادرية . وبعض هؤلاء الباحثين من الأجانب كان يهتم بالأمر من حيث قيمته العلمية فحسب . لكن كثيرا منهم وفى مقدمتهم الباحثون الايطاليون كانوا يرمون من وراء ذلك إلى التقليل من شأن السنوسية على أساس اعتبارها دينية صوفية لا تهتم بغير العبادة والزهد والتقشف . وهذا فى نظرهم يبرر تصرفهم فى الاستيلاء على ليبيا مثلا إذ ليس هناك سياسة مدنية خاصة . ويستطرد المؤرخ المذكور فى حديثه هذا باسهاب إلى أن يقول : ولكن الذى وصل إليه الباحثون المنصفون . والذى يتفق مع الواقع والحقيقة والتاريخ هو أن السنوسية كانت من أول الأمر دعوة دينية مدنية ، فالحقيقة كانت السنوسية دعوة إلى الناس ليعودوا إلى الدين الصحيح . وإلى الاسلام الصحيح كما عرفه المسلمون فى أول عهده . فالاسلام مبدئياً لم يفرق بين الدين والدولة . ولم يعتبر نفسه أنه جاء يضمن للناس الحياة الأخرى دون العناية بالحياة الدنيا الصالحة . وإذن فمن الطبيعى أن تكون دعوة الداعى إلى مبادىء الاسلام قوامها الايمان الصحيح والعمل الصالح . والانتاج والتنظيم السياسى داخل هذا الاطار الذى عرفه الاسلام وقبل به المسلمون الصالحون فى جميع أطوار تاريخه . وإذا كان السنوسى الكبير وخلفائه

يدعون الناس لأن يتخذوا من حياة الرسول الكريم مثلا يحتذونه . ونموذجاً أسمى يحاولون الوصول إليه فجدير بهم أن يدعوا الناس إلى كل ما اهتم به الرسول الكريم وحياته كانت خير ما يصح أن يقتدى به في النظر إلى الحياتين نظرة مثلى . وبذلك فقد كانت الدعوة السنوسية هي العمل للآخرة كأن المرء مائت غداً والعمل للدنيا كأنه عائش أبداً . وإذا كان السنوسى يدعو الناس إلى تنقية الإسلام مما علق به من البدع والضلالات فلا شك أنه ما كان يرضى لمن يقبل دعوته أن يسمح لشيء من هذه البدع فى أن تساور حياته وأن تمازجها ، وهذه السنوسية تخلو أذكارها من كثير مما تسمح به بعض الطرق الصوفية كالغناء والرقص ، فإذا كان أولئك المغرضون يريدون أن يضعوا السنوسية فى مصاف بعض الطرق الصوفية التى يعيش أتباعها عيشة الزهد المفرق والكسل والخمول ، وصرف الوقت فى العبادة فقط ، والعيش على ما يتصدق به الناس فليتقوا الله فى هذا الأمر ، فالسنوسية دعوة بريئة صادقة قوية عنيفة للسير على سبل الإسلام القويمة ، والاغتراف من منابعه الأصلية ، وفهم روحه وحقيقته ، والعيش بموجب هذه القواعد الإلهية والسنن النبوية التى تكفى لهدى الناس إن هم وعوها . وقد وجد السنوسى الكبير أن الناس تركوها وأغضوا عيونهم عنها فجاء إليهم ينفخ فيهم من روحه وينشر لهم الإسلام ويقوى ما خار من عزائمهم . ويزيل الغشاوة من بصائرهم . فكان النار التى تأكل الهشيم وتنقى الذهب . فخرج الناس الذين اتصلوا به وقد صفت منهم النفوس وصقلت منهم الضمائر وصدقت منهم العزائم وشحذت منهم الهمم وصاروا أمة يدعون إلى الخير وكانوا من قبل أعواناً للشر ، إن السنوسية يهمها أن يكون الرجل مسلماً صالحاً لا أن يكون صوفياً فحسب » .

* * *

نقول نحن : أن السنوسية كما عرفناها قد فصلنا عنها بقدر الأمكان ،وهى



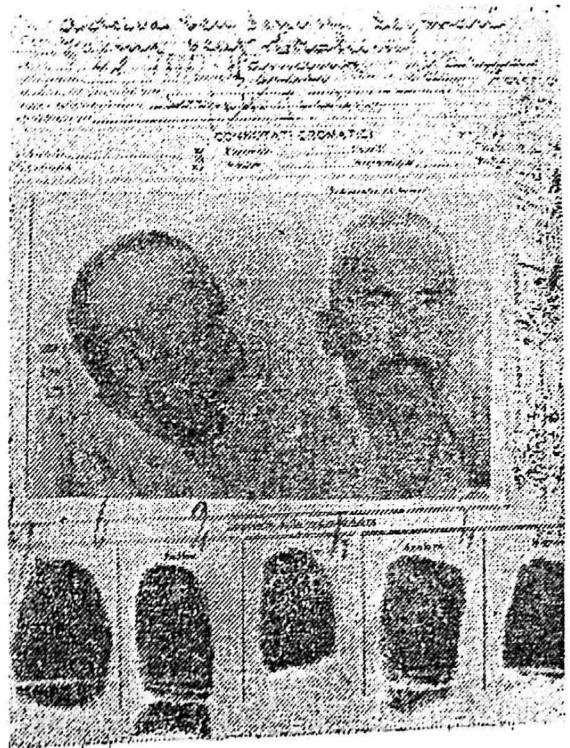
بعض أعضاء اللجنة العليا لتنظيم مهرجان إحياء الذكرى المئوية لوفاة الامام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى وقد عقدت اللجنة هذا الاجتماع بمجلس الوزراء وبرئاسة رئيس وزراء ليبيا ووزير خارجيتها السيد مصطفى بن حليم وقد جلس عن يمينه السادة : سماحة مفتى ليبيا الشيخ محمد أبو الأسعاد العالم ، فوزير الدولة خليل القلال ، فالمستشار الصحفى للسفارة الليبية بمصر الطيب الأشهب ، وجلس عن يساره السادة : وزير العدل عبدالرحمن القلهود ، فالشيخ عبد الجواد الفريطيس ناظر الاشغال بولاية برقة فالسيد عبد اللطيف الكخيا مدير المراسم بوزارة الخارجية .



المرحوم السيد عبد القادر بن محمد العربى من شيوخ الزوايا السنوسية وقد أخذ الفاشيست صورته هذه أثناء اعتقالهم إياه سنة ١٩٣٠



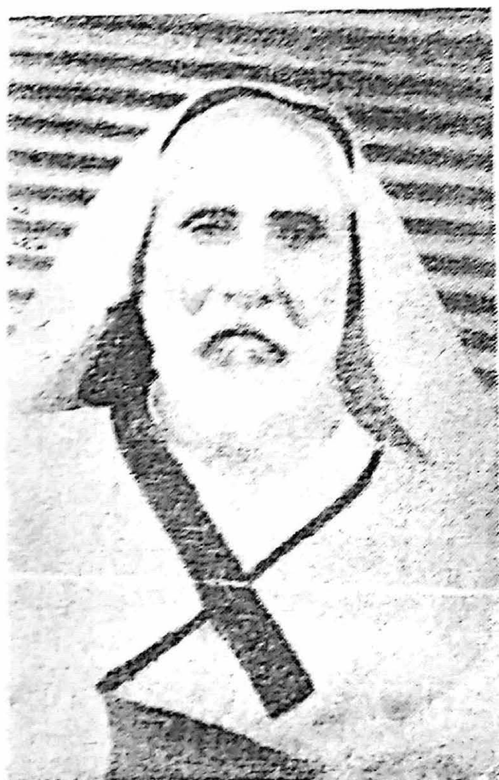
المرحوم صالح باشا الأطيوش
أحد قادة الجهاد السنوسيين
وزعيم قبائل المغاربة



المرحوم السيد هديوه الغماري
وقد أخذ الفاشيست صورته
هذه أثناء اعتقاله سنة ١٩٣٠



المرحوم السيد الشارف حامد شيخ
زاوية أبي قبيس بمكة المكرمة



المرحوم عبد السلام باشا الكزة
وهو من قادة الجهاد السنوسيين
وزعيم قبائل العواقير



المرحوم عبد الجليل بك سيف النصر وهو من قادة الجهاد السنوسيين وزعيم قبائل أولاد سليمان



مؤلف هذا الكتاب أثناء زيارته للزاوية السنوسية بمكة وقد جلس عن يساره السيد الصادق بن السنوسى حامد شيخ الزاوية .

كما ذكر المؤرخون لاتفرق بين الدين والدولة ، وأنها دعوة متماسكة للعمل على أساس أن الدين والدولة كل لايتجزأ ، فلو كانت السنوسية كما يقول المؤرخون الإيطاليون دعوة دينية قابعة على التقشف والزهد دون أن تنظر إلى الحياة نظرة نافذة لما هاجر مؤسسها من بلاد أجداده (فاس) ومن مسقط رأسه الجزائر ، ومن مصر والحجاز فيما بعد ، ولما قام بهذه الأسفار الطويلة وبهذا التجوال الذى طاف به البلاد العربية فى المشرق والمغرب ، ولما حاربته حكومة السلطان مولاى سليمان فى مراكش ، ولما ناصبه العداء حاكم الجزائر وقت ذلك حسن بك ولمـــا أوجس منه حاكم مكة خيفة ، ولما تحرش به بعض علماء مصر ولما قامت وقعدت لشأنه دولة الخلافة ولما فزعت منه دول الأستعمار رعبا وفى مقدمتها فرنسا . فلو كان السنوسى فى دعوته ككل مشايخ الطرق الذين عرفهم هو ، وعرفتهم الحكومات يومذاك لبقى مثلهم معززا محترما مرموقا تجبى إليه ثمرات كل شىء ، ولعاش عيشة الخنوع والأستسلام يغدق عليه من نعم الدنيا وخيراتها الزائلة ، وبهذه المناسبة نسوق الحادثة التالية وقد رويتها عن فقيد ليبيا فضيلة قاضى درنة الشيخ عبد الكريم عزوز سنة ١٩٣٨ قال : كان قد تقرر أن يزور برقة فى أول عهد الفاشيست وزير المستعمرات الايطالية ؛ وكان المستشرق البروفسكور كمبانى موجودا بدرنة فاستدعى أعيانها ومشايخ الطرق وفى مقدمتهم قاضى درنه (راوى الحكاية) وحدد لنا موعد زيارة الوزير وطلب منا أن نستعد لاستقباله ، وأن نضع برامج الأحتفالات الشعبية ونطلعه عليها ، وأن متصرفية درنة ستقدم لنا مانحتاجه من المساعدات الفنية والمادية ، وقال محدثنا أردنا أن نجتمع بصورة خاصة لنتشاور فى الأمر ونبحث موضوع الأحتفالات ، ورأيت أن نوجه النصح إلى مشايخ الطرق ليجنبوا أتباعهم من الأتيان بمايشين سمعة المسلمين ويظهرهم فى أعين أعدائهم بمظهر السقوط والجهل فيجب أن يمنع المشايخ أتباعهم من الأتيان بالأشياء المضحكة المخزية كالرقص واللعب بالحديد وبالنار ، وأكل الزجاج والأشواك ، وغير ذلك مما يشاهد عادة بين إتباع الزوايا الصوفية والدين منه بريئا . ولـكن ما كدت

انتهى من نصحى هذا حتى ذهب الشيخ (فلان) سامحه الله إلى كمبانى ونقل إليه قولى بالحرف الواحد وأضاف من عنده قائلا : أن الشيخ عبد الكريم سنوسى العقيدة . وكانت هذه التهمة وحدها كافية للقضاء المبرم على كل من ألصقت به . وبعد يوم واحد من نقل هذه القصة إلى كمبانى استدعانى . ومع أنه يتكلم العربية بطلاقة أبى إلا أن يوسط ترجماناً ينقل لى تأنيبه القاسى . ثم أمر الترجمان بالانصراف واستبقانى هنيهة وقال لى : ياحضرة القاضى إننا نعرف عن سنوسيتك ولا يمكننا أن ننتزع منك عقيدة رسخت فى نفسك . وأننا لا نكره السنوسية كطريقة دينية ولكننا نكرهها كفكرة سياسية أوجدت لنا فى اتباعها ألد الأعداء . ولولا السنوسية لما قاست إيطاليا كل هذه الاتعاب فى احتلال ليبيا الجرداء وقد جئنا من أجل تمدينها وبعث الحضارة الرومانية التى كانت فى يوم من الأيام تتوج تاريخ ليبيا بالفخار . فلو كانت السنوسية ككل الطرق التى عرفناها لبذلنا اليها جميع المساعدات وجعلناها زعيمة الطرق بل وأكثر من هذا فإننا لا نعترف بطريقة غيرها من أمثال هذه الطرق التى أخذت ياحضرة القاضى بالأمس فى انتقادها . إنى كشخص حر فى رأيه تجدنى أضم صوتى اليك . وأقر بأن السنوسية هى الطريقة الوحيدة التى لم تخرج عن الفكرة الاسلامية . ولكننى كشخص مسئول يقدر المسؤلية نحارب السنوسية ونرجو منك أن تكون هكذا فستقع فى أيدى الكربنيير (البوليس) وسوف لن يفيدك كمبانى إن لم أكن خصمك العنيد . هذا ما حدثنى به المرحوم الشيخ عبدالكريم عزوز وقد سجلته يومذاك . ولم أعثر على الورقة التى دونت بها هذه الحادثة إلا صدفة فى هذه الأيام بمنزل أحد أقاربى فى جدابيه .

لم تكن للطريقة السنوسية طقوسا خاصة تقوم بها . أو تطلب من إتباعها القيام بها عدا العبادات المطلوبة من كل فرد مسلم بنص القرآن والسنة كالصلاة والصوم والحج والزكاة . وإتباع الأوامر الشرعية فى المعاملات

والاتصالات، واجتناب النواهى وما يدخل تحت ذلك . وتعليم القرآن وتدبر معانيه لأنه دستور الحياة ونظام المجتمع . وكل ماهنالك من الاضافات على هذه العبادات عند السنوسية هو قراءة حزب واحد من القرآن عقب صلاة الصبح فى المسجد ومثله عقب صلاة المغرب وتكون القراءة من جماعة بترتيل منظم إلا أن ذلك لم يكن شرطا يؤديه الاتباع السنوسيون . وعندهم أيضا قراءة بعض الأدعية التى تحمل فى طياتها معانى التوسل والتضرع إلى الله وحمده جل جلاله وتسبيحه والاستغفار، والتصلية على نبيه الكريم بصورة تتفق مع القرآن والسنة وأكثرها مأثورا؛ وذلك إلى جانب القيام بالعمل المطلوب من كل مخلوق فى هذه الحياة كعنصر أساسى لمقوماتها ، فالطريقة السنوسية تدعو إلى العلم وإلى العمل الصالح ، وتحارب فى قسوة جميع أنواع الكسل والتسول والتواكل ، والخمول ، والجمود والتعصب والاعتماد على الصدقات والهبات فى غير ما يأمر به الشرع الشريف والسنة الغراء .

(٢)

وجاء فى كتاب حاضر العالم الإسلامى تأليف المستشرق الأمريكى لوثروب وتعليق الأمير شكيب أرسلان ما يلى : (لقد كان السيد محمد بن على السنوسى رجلا شديد الهيبة ، عظيم الأقتدار على التنظيم والأصلاح ، فقصده الناس من كل صقع من الأصقاع الأفريقية الشمالية ، بيد أنه لم يمض غير القصير من الزمن حتى كانت الحكومة التركية فى طرابلس تخشى أمره ، وتقوم وتقعد لشأنه .

(٣)

وتحدث إلينا أحمد حسنين باشا فى كتابه (صحراء ليبيا) عن التعاليم السنوسية فقال : وأحسن وصفاً لهم أنهم رابطة دينية زعامتها وراثية ، ونفوذها قوى فى إدارة شؤن سكان صحراء ليبيا . . . إلى أن قال . . . رأى

مؤسس الطائفة أن مسلمى برقة سادرين فى غيابات الضلال معرضين لخطر الاضمحلال السريع من الوجهتين الدينية والخلقية فأراد أن ينتشلهم من وهدة السقوط ، واستطرد حسنين باشا قائلا فى حديثه عن أختيار الإمام السنوسى لموقع الجغبوب . ولم يكن أختياره للجغبوب اعتباطاً وإتفاقاً ، وإنما نظر فى اختياره هذا بعين الحكمة والروية فقد قصد بأنتخابها أن تكون مركزا للتوفيق بين قبائل الصحراء المختلفة ونشر راية السلام بينهم جميعا . إلى أن قال : وكانت الجغبوب مركزاً أحسن إختياره ، وصالحاً لأغراضه فى وسط قبائل فى الشرق والغرب ، وكان النزاع بينهما مستمراً ، ومن ثم أمكن السنوسى الكبير أن يبسط نفوذه فى المتنازعين ، وأن يصلح ذات بينهم كما أمر بذلك الرسول ، وقد انقطعت فعلا بعد إقامته هناك تلك الأغارات التى كانت مستمرة بين قبائل الشرق والغرب وكان له الفضل فى إيقافها ، ولم يقتصر نفوذه على تلك النواحى ، بل تعداها إلى قبائل برقة فقضى على ما كان بينهما من قديم الزمان .

ويقول حسنين باشا فى مكان آخر بكتابه المذكور : وكانت تعاليم شيخ السنوسية الدعوة إلى الدين الإسلامى الحق ، والتمسك الشديد بأوامر الله سبحانه وتعالى ، ونبيه الكريم ، وليس أدل على تعاليمه من ذكر فقرة من كتابه إلى أهل (واجنجه (١)) فى واداى ، وقد رأيت أصله فى الكفرة ، وفيه يقول : « أسألكم بأسم الأسلام أن تطيعوا الله ورسوله . فقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ويقول : من يطع الرسول فقد أطاع الله . ويقول : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

أسألكم بأن تطيعوا أوامر الله ورسوله فتؤتوا الصلوات الخمس وتصوموا رمضان وتأتوا الزكاة ، وتؤدوا فريضة الحج إلى بيت الله الحرام وتجتنبوا

---

(١) يجد القارىء صورة هذا الكتاب فى محل آخر من كتابنا هذا .

مانهى الله عنه من قول الكذب والغيبة ، وإبتزاز أموال الناس وشرب الخمر وتأدية شهادة الزور ، وغير ذلك مما أمر الله بإجتنابه . فإذا فعلتم ما أمر الله به ، ورجعتم عما نهى عنه أسبل الله عليكم نعمته الأبدية ومنحكم الخير والرزق الدائمين . وكان أهم ماعنى به مؤسس الطائفة السنوسية هو الدعوة إلى الحياة الدينية الطاهرة . فلم يعمل لأن يكون زعيما سياسياً . أو صاحب قوة زمنية وكان فى كل أعماله مثالا صالحاً للتقوى التى دعا الناس إلى التحلى بها . ولم تكن له تعاليم خاصة فى الفقه أو آراء شخصية فى تفسير قواعد الدين . وكان أكبر همه هو إتباع رجاله لقواعد الاسلام . لا الأكثار من مراسم العقائد . والشىء الوحيد الذى أضافه إلى العبادات الدينية (دعاء) وضعه وردده السنوسيون بعد ذلك . وهو (حزب) على نحو الأحزاب المعروفة بين طوائف الطرق الصوفية وليس فيها ماينافض تعاليم أئمة الفقه السابقين أو يزيد عمانزل به القرآن . وإنما هو تفسير موافق لما جاء فى محكم التنزيل) .



نظر الامام السنوسى إلى ناحية هامة ما كانت تعزب على باله . تلك هى أبواب الصحراء المترامية الأطراف من نواحى الغرب والجنوب والشرق . فاوجد زوايا : الجغبوب . والكفرة وواو حريرة بفزان . وطبقة ومزدة . وهذه الزوايا المذكورة تحتل المكان الأول من الأهتمام بسلامة الأمن فى الصحراء . وضمان المحافظة على سبل التجارة إذ كانت طرق القوافل تربط بين الجزائر وطرابلس والسودان (تشاد) وبرقة ومصر . يضاف إلى ذلك أن البدو فى ليبيا كانوا يضطرون أحيانا إلى ترك دواخل ليبيا بسبب خلاف يقع بين قبيلة وأخرى . أو بين إحدى القبائل وبين الحكومة . فتكون وجهة النازحين هى الصحراء التى لاترحم للابتعاد عمايحدثه الخلاف من سوء ، وإذن فلابد من وجود من يفكر فى مثل هذه الحالة ويقدر ضرورة النازحين إلى عناية خاصة بهم . وكان هذا المفكر هو الإمام السيد محمد بن على السنوسى

الذى اهتم بالأمر ونظر إليه ببصيرة نافذه فأوجد هذه الزوايا فى المواقع النائية ليأوى إليها النازحون عن دواخل البلاد فيجدوا أمنا وأماناً . ويجدوا من يحميهم ويمنعهم فى نفس الوقت من إستئناف الأغارات والسلب والنهب ويجدوا بتلك الزوايا وسائل لحل مشاكلهم وتعليم أطفالهم وضم شتاتهم . ومنع الشغب بغرض الانتقام أو التعدى . هذا من جهة . ومن جهة أخرى كانت مهمة هذه الزوايا أيضاً هو تأمين السابلة . وقد سبق أن أشرنا إلى مهمة الزوايا بصورة عامة كما يقول المؤسس نفسه وفصلنا بعض الشئ الذى اكتفينا به الآن :

(٤)

جاء فى كتاب الأستاذ كامل محمود المحامى فى كتابه (العرب — تاريخهم بين الوحدة والفرقة —) مايلى : وقد إنتهى محمد على السنوسى بعد أعمال الفكر إلى نتيجتين هامتين أولاهما أنه فى حاجة إلى تحصيل علوم أخرى غير العلوم العقلية والنقلية التى تلقاها فى الجزائر . وغيرها من بلاد المغرب العربى . وثانيهما : أن العوامل التى عاقت نهضة الاسلام إنما كانت فى إختلاف المذاهب وكثرة الطرق والحكم الفردى . ولذلك انحصرت آماله فى العمل على تحقيق وحدة الشعوب الأسلامية . وجاء فى الكتاب المذكور قصة إنتقال الأمام السنوسى من الشمال الأفريقى إلى الحجاز ومصر وليبيا . وذكر بعض كبار الشيوخ الذين أخذ عنهم وتلقى منهم علومه . ثم جاء ذكر محاولة الفرنسيين القبض عليه فى قابس ومجيئه إلى برقة حيث إستقر به المقام .



نقول نحن : أن الامام السيد محمد بن على السنوسى وصل إلى طرابلس من الحجاز فى طريقه إلى الجزائر . وكان مزوداً ببعض ما يمكنه من تقوية الثورة ضد الفرنسيين ، وقد ترك بعض اخوانه فى طرابلس وواصل سيره إلى زوارة حيث مكث بها أياما فى انتظار بعض الأشياء التى لحقت

به هناك ثم واصل سيره إلى قابس وكانت أخباره قد وصلت إلى فرنسا فبثت عيونها وأذنابهـــا على طول الحدود التى تربط بين ليبيا وتونس والجزائر ، وجاءته الأخبار بذلك . وتقرر أن لايواصل شخصيا سيره فندب العلامة السيد محمد بن صادق أحد تلاميذه وحمله بعض الأموال والأسلحة لتوصيلها خفية إلى الجزائر . وعاد السيد الامام إلى طرابلس وذلك فى أوائل ١٢٥٧ هـ وكان حاكم طرابلس العثمانى يؤمئذ هو على باشا أشقر الذى وصلته أنباء مشوهة عن دعوة السنوسى وحركته التى قيل على لسان رواة الحاكم العثمانى إنها ترمى إلى مايبعث على قلق السلطات العثمانية وكان راوية هذه الاتهامات هو أحد شيوخ الطرق الصوفية سامحه الله . فأمر على أشقر بالقاء القبض على رفاق الامام السنوسى المرجردين بمنزل الحاج أحمد باشا المنتصر ريثما يتسنى القبض على شخص الامام . وتقدم المنتصر بوساطته فى أن يبقى الاخوان السنوسيون فى منزله وقدم بذلك ضمانا شخصيا متعهدا بأنه يخبر الحكومة عن الامام السنوسى حينما يعود . وشاء الله أن يصل الامام فجأة . وما كان يعلم عما حدث واستقبله أحمد المنتصر والاخوان فى شىء من الاستياء محاولين اخفاءه إلا أن هذا الأستياء لم يطل فقد بدده الامام بابداء رغبته فى مقابلة الوالى العثمانى فاندهش الاخوان كما اندهش أحمد المنتصر لهذه الرغبة التى أبداها الامام وإن كان فيها مايبرىء ذمة المنتصر من تعهده الذى لا يتخلص منه إلا بتسليم الامام . أو إعطاء الخبر عن وصوله وفى كلا الحالتين يكون قد جاء بشىء لا يشرف أما هذا الحل الذى ظهر سليما فى رغبة الإمام فأنه يحفظ على المنتصر كرامة تعهده للوالى وكرامة واجبه نحو الإمام وإخوانه . وفى الوقت نفسه سيكون حجة على الوالى العثمانى دون أن تكون له الحجة ، وبادر المنتصر بإخبار أشقر باشا عن رغبة الامام السنوسى فى شىء من الأطمئنان ، وتمت المقابلة وأفضى أشقر باشا للإمام بما وصله من معلومات قد تسىء إلى السلطان

العثمانى فيما لو كانت صحيحة ، وبدد الامام جميع الاتهـــامات وطلب من الحاكم العثمانى أن يجمعه مع العلماء ليبدد لهم مايساورهم من شك وليدحض الباطل بالحجة العلمية ، وتألف مجلس من كبار العلماء وكان من بينهم شيخ الطريقة الصوفية التى أكل الحسد قلبه والسيد أحمد المقرحى — تقدم ذكره بين الاخوان السنوسيين — وكان من أبرز العلماء وأقربهم مكانة عند الحاكم العثمانى ، والشيخ على القزيرى البنغازى ، وأخذ أعضاء المجلس العلمى يناقشون الامام وكان رده رضى الله عنه حاسماً وشاملا بل ومحرجا لبعض العلماء فأيقنوا أنهم أمام محيط من العلوم الراسخة لاقبل لهم بها . وتأكد الوالى من مكانة الامام العلمية . وقوة حجته . وجلالة قدره . فاعتذر للامام مبديا ضرورة إتخاذ مثل هذا الأجراء الذى كان حدا فاصلا بين الحقيقة الممثلة فى شخص الامام ، والأفتراء الممثل فى رواته نتيجة الحقد والحسد . ومنذ ذلك الحين انضم كل من السيدين أحمد المقرحى وعلى القاضى القزيرى إلى إخوان السنوسى وتجردا لخدمته . ومن هناك واصل الامام سيره إلى برقة مارا بمصراته فسرت فالعقيلة فبنغازى حيث صام بها شهر رمضان . أما أثقاله وبعض أخوانه وزوجته السيدة خديجة الحبشية فقد كان سفرهم إلى بنغازى بطريق البحر .

هذا : وفى موضع آخر من كتاب الأستاذ محمود كامل المحامى جاء ما يلى ؛ وقد قرر بعض المؤرخين الذين توافروا على دراسة السنوسية فى تلك الفترة بعد أن انتشرت تعاليمها فى برقة وطرابلس اللتين كانتا تابعتين لتركيا منذ منتصف القرن السادس عشر أن سلطان العثمانيين ما كان يتعدى داخل البلاد . وما كان لأحد غير السيد الكبير بما ظهر من تعلق العرب به وأصغائهم لنصحه وأرشاده أن يتمكن من أسداء هذا المعروف لمصلحة السلم والطمأنينة . واجتماع الكلمة . ونبذ التنافر والخصام بين المسلمين وشعبهم ولم يكن السيد إلا داعية عظيما للأتحاد ويقظة العالم الاسلامى . وقد أثمر أعتراف الدولة العثمانية عن طريق واليها فى طرابلس بالإمارة الواقعية للسيد السنوسى

الكبير خير ثمرة . فكان العرب يحترمون أوامره ويطيعون الأتراك بناء على نصائحه والسيد كان يرى فى هذه الطاعة فائدة وقوة للمسلمين . ومن جهة أخرى ترك العثمانيون من ذلك الحين حكومه داخل البلاد فى يد السادة السنوسيه . وهكذا شهد تاريخ السيد الكبير بداية هذه الحركة العظيمة تنتقل من مجرد دعوة إلى الدين الصحيح وإرشاد إلى أتباع أثر السلف الصالح إلى دعامات الحكم فى العالم الاسلامى . وأمارة منضوية تحت لواء الخلافة العثمانية ؛ .... وفى إيجاز نستطيع أن نقرر مع مؤرخى السنوسية أن هذه الأمارة العربية قد قامت على ثلاثة أصول : أولها الأصل الدينى وقد لخصناه . وثانيهما الأصل الأجتماعى وكان أهم مظهر له أنشاء الزوايا . وثالثها الأصل السياسى وكان يهدف إلى جمع كلمة المسلمين فى إفريقيا داخل نطاق وحدة سياسية كبرى وقد أصدر محمد بن على السنوسى — وهو مالكى المذاهب — عدة كتب منها بغية المقاصد وخلاصة المراصد . وأيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن . والدرر السنية فى أخبار السلالة الادريسية . وقد أجتهد فى هذه الكتب وفى الدروس التى القاها أن يخرج بين المذاهب السنية المعروفة أى المذاهب الأربعة بما صح وكمل من أقوالها . ثم أضاف إليها ما استنبطه من السنة والمذاهب التى لم يعد هناك أتباع لها . وأستطاع أن يجعل منها مذهبا واحدا هو مرآة المذاهب الأربعة السنية وزبدتها ويواصل المؤلف نقله إلينا من مختلف مصادره فيقول : وقد خلفه بعد الوفاة أبنه السيد محمد المهدى فزاد فى عهده عدد الزوايا السنوسية إذ بلغ هذا العام (١٨٨٤) نحو المائة منتشرة بين برقة وطرابلس وفزان . وطريق مصر وطريق واداى . وشبه الجزيرة العربية والجريد بتونس . ومراكش وقوى نفوذ السنوسية فى أفريقيا الغربية ، ودعم ذلك النفوذ فى عهد محمد المهدى السنوسى تعليم السنوسيين إستعمال الأسلحة التى كانت تهرب من ميناء طبرق (١) وأخذ

(١) وقفت على رسالة بتاريخ ١٠ جمادى الثانية سنة ١٢٨٣ بعث بها الإمام الثانى السيد محمد المهدى السنوسى إلى السيد حامد محمد خيره — أحد أخوانه — يخبره بوصول الاسلحة من الحجاز إلى الجغبوب .

نجاح السنوسية وتغلغلها فى أفريقيا العربية يقض مضاجع السياسة الاستعمارية الأوربية ، وخاصة السياسة الفرنسية التى كان سباقها الاستعمارى مع بريطانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قد بلغ أقصى حدته ، ولذلك نبه المؤرخون الفرنسيون إلى أن فى السنوسية خطر عظيم يهدد المسيحية فى القارة الأفريقية ويعطل مصالح الدول الأوربية التى تريد إستعمار شعوب هذه القارة المظلمة وتحرض الأهليين فى الممتلكات الفرنسية وفى بلاد الجزائر خصوصا على القيام بالثورة ، وأهم ما عنى هؤلاء الكتاب باظهاره وتصويره هو أن السنوسية هى أكبر وأنشط الوسائل التى يستطيع من طريقها دعاة الجامعة الإسلامية تحقيق أهدافهم ، وهذه الفكرة هى التى دعت هذا الفريق من الكتاب الفرنسيين إلى الأعتقاد بأن أحمد عرابى لم يقدم على الثورة عام ١٨٨١ م إلا بإتفاق مع السنوسيين ، وقد كتب (دوفريز) Duveyrier بهذا المعنى إلى برودلى المحامى البريطانى الذى دافع عن عرابى ، وكانت ثورة محمد أحمد المهدى فى السودان معاصرة للثورة العربية فى مصر) .

(٥)

ذكر الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتابه (السنوسية دين ودولة) قائلا : وقرر بعض المؤرخين العرب المحدثين أن هذه الطريقة تختلف عن الطرائق السابقة فى أن أتباعها كانوا ينشدون العزلة فقط لكى يتفرغوا للعبادة وذكر الله . وأحياء الدين والملة بالدعوة والأرشاد ، بل أنهم كانوا يحرصون على العناية بأمر دنياهم أيضا على أعتبار أن الحياة الدنيا الرشيدة وفق تعاليم القرآن وهديه وإرشاده والسنة واقتفاء أثر السلف الصالح من شأنها التمهيد لحياة باقية سعيدة ، ولذلك فقد عنى السنوسيون لصالح إحياء العالم الإسلامى وعلى الخصوص فى المجاهل الأفريقية العربية بإنشاء الأمارة وتدعيم أركانها إلى جانب نشر الدعوة إلى الدين الصحيح على أساس العمل بالسنة والشريعة بدون شرط ولا قصور .

☆ ☆ ☆

نقول نحن : أن الإمام السيد محمد بن على السنوسى قد أتخذ شعاره فى العمل قول الله تعالى (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض) وكان رضى الله عنه فى جميع أقواله وأفعاله ،طبقاً لمعانى هذه الآية الشريفة . وكان يكثر من سردها وتفسيرها بين تلاميذه وأخوانه وجلسائه . وكان يأمرهم بتدبر سرها وتطبيق معانيها عمليا . فإنها الأمر الإلهى لإصلاح البشرية فى الدارين .

(٦)

قال (لويس رين Lovis Reinn) أن هدف السنوسية كان الأمامة أو تشييد صرح الدولة التيوقراطية التى يدبر شؤنها رجال الدين فى العالم الإسلامى ، ويعلق الدكتور فؤاد شكرى صاحب كتاب (السنوسية دين ودولة على ذلك فيقول : أن لويس رين يرى أن السنوسية ما كانت تريد الوصول إلى ذلك عن طريق العنف وإشعال الثورات . أو بالأتفاق مع الدول المسيحية ، أو الأخرى الإسلامية التى كانت تبغى إزالتها من الوجود حتى يتسنى لها إنشاء هذه (الإمامة) لأن كل الأمرين كان يضعف مركز السنوسية . ويمنعها من تحقيق غايتها فى النهاية . ومع ذلك فإن الباحث لايجد دليلا ما على أن الأمامة كانت هدفاً للسنوسية فى مختلف أدوارها سواء فى عهد مؤسس الطريقة نفسه السيد محمد بن على السنوسى الكبير أو فى عهد خلفائه ويستطرد المؤلف فيقول : بل أنه كان من الواضح أن منشأ نقد السيد السنوسى لدولة الخلافة فى عصره كان رغبته فى أن تظل الدولة العثمانية — ما دامت قائمة وما دامت دولة الخلافة — على ذلك السياج الذى ينبغى أن يحيط العالم الإسلامى ويدفع عنه عدوان المعتدين . كما أن كل ما أحدثه أخفاقها فى تحقيق هذه الرغبة وكونها — دولة الخلافة — لا تستند إلى أساس وشروط صحيحة فى تأليفها وقيامها هو أن صار مبتعدا عنها . ولم يكن من سياسة السيد وخطته مناصبة دولة الخلافة القائمة العداء أو الخروج عليها .

* * *

نقول نحن : أن الإمام السنوسى لم يترك فرصة تمر إلا واتخذها لتعزيز مركز دولة الخلافة والأخذ بيدها . وهذا دليل واضح على أن هدفه الذى يرمى إليه هو إصلاح شأن المسلمين والعرب . وأعادة مجدهم الغابر الذى لا ولن يعود بدون تصحيح العقيدة وإصلاح الحال وتعميم التعليم وتقويم ما أعوج من الأخلاق والرجوع إلى حقيقة الدين الخالص . وسيان عنده إذا كان رئيساً أو مرؤساً . وقد بذل فى ذلك نصحه إلى الحكام والعلماء ولفت نظرهم جميعاً فى أكثر من مناسبة . وأرشدهم إلى طرق الصواب ووسائل العلاج التى تنحصر فى تعلم العلم . وكل الدلائل كانت تدل على أنه لم يفكر فى الخروج على الخلافة فى حين أنه لو فكر فى ذلك لم يكن مخطئاً ولا يستطيع التاريخ أن يأخذ عليه هذا النوع من التفكير فجده الأكبر محمد صلى الله عليه وسلم رسول الحق كان رئيساً للدولة الإسلامية الكبرى وهى دولة الإنسانية . وكان عدد كبير من أجداده قد تبوأوا عرش الخلافة والملك والسلطنة والإمارة والامامة . فما هو الشىء الجديد على الإمام السنوسى لو فكر فى شىء من ذلك . ومع هذا كله لم يفكر أو يشغل تفكيره بمثل هذا الأمر . إن الإمام السنوسى وقتذاك كان أمامه أمراً لامفر منه وهو خدمة المسلمين . وكان عليه واجباً وله غاية لا يختلف اثنان فى شدة تأثره بهما ذلك هو الإصلاح الذى يهدم فى طريقه جميع عوامل الفساد ومشتقاتها سواء أكان ذلك الواجب وتلك الغاية يرضيان دولة الخلافة أو يغضبانها .

وكانت من وسائل إصلاحاته التى انتواها : الدعوة إلى الحق بالحق وبالحكمة والموعظة الحسنة . وبنشر التعليم وتعميمه . وتهذيب النفوس وإيقاظها من سباتها . وبعث عقول صالحة ورؤوس مفكرة . وكان يعمل على تعمير ما يمكن تعميره من الصحراء فأغضب ذلك بعض العاطلين من الحكام والجامدين من العلماء كما أبغض المفكرين من دهاة الاستعمار ودعاته ، وكانت دعوته إلى الإصلاح لا تعرف العنف أو الشدة . ولم تتخذ ما اتخذه غيرها من الوسائل الداعية إلى إشعال الثورات . بل إن حركته كانت تنظر إلى هذا النوع من الوسائل التى تتخذ فى البلاد الإسلامية

أو العربية بين الجماعات والأفراد . أو بين هؤلاء وحكوماتهم بعين الحذر واليقظة . وكان يرى أن طرق الاقناع هي خير الوسائل لبلوغ الأهداف السامية . ولم يسبق للإمام السنوسى أن استعان بدولة أجنبية . أو تعاون مع أى منها أو ترامى فى أحضانها ، أو قام بتشجيع الثورات التى لا تأتى بالفائدة المرجوة للمسلمين والعرب . بل كان يرى فى كثير من الأحيان أن مثل هذه الثورات الارتجالية . والتى لم تكن إلا من أجل منافع ذاتية لا تؤول بالفائدة وقد يكون فى مثل هذه الثورات انتكاسة قد لا تعالج . ودليلنا على ما ذهبنا إليه بعد تتبع مراحل الحركة السنوسية ثابت فى برامج الدعوة السنوسية الإصلاحية ولم يكن التاريخ فى حاجة إلى دليل على ذلك . ومع ذلك فإننا نتمثل بالآتى : فى سنة ١٨٧٢ طلبت ألمانيا من السنوسية مساعدتها ضد فرنسا فى أفريقيا ولكن المرقف السنوسى لم يلتفت لهذا الطلب ، وفى سنة ١٨٧٦ م طلبت تركيا من السنوسية مد يد العون فى حربها ضد الروسيا ومع أن السنوسية كانت ترى وجوب مساعدة تركيا باعتبارها دولة الخلافة لو كان ذلك فى وسعها إلا أنها لا تريد أن تغامر بنفسها وتقامر بمستقبلها وهى فى المرحلة الأولى من النمو فتنهار دعوتها التى أخذت تعدها للإصلاح المنتظر . وفى سنة ١٨٨١ م طلبت إيطاليا من السنوسية مساعدتها ضد تقدم فرنسا فى تونس . وكانت السنوسية تضمر لفرنسا التى احتلت الجزائر أشد العداء والخصام وقد عملت السنوسية ما يمكن عمله لمقاومة هذا الاحتلال وعرقلته . ومع ذلك أهملت الطلب الإيطالى لأن السنوسية لا تريد أن تحارب فرنسا من أجل أن تحل إيطاليا محلها . وفى سنة ١٨٨٢ م التجأ الزعيم المصرى الكبير أحمد عرابى باشا إلى السنوسية يطلب منها الدخول معه فيما يقوم به ، كما أن الزعيم السودانى السيد محمد أحمد المهدى تقدم إلى السنوسية بطلب مماثل . ورأت السنوسية الناشئة يومذاك أن لا تزج نفسها مغامرة فى أعمال لا تؤمن نتائجها من جهة . ومن جهة أخرى فإن دعوة الإصلاح الشامل التى كانت ضمن مبادئها تحتم العمل بالحكمة والتريث

وتأبى الدخول فى ثورات يكون طعمها أبناء الوطن الواحد بانقسامهم على أنفسهم فيقاتل بعضهم البعض ويكون الرابح هو العدو الدخيل يضاف إلى ذالك أن سلطان الخلافة لا يزال قائما وإن كان قيامه إسمياً أكثر منه عملياً . وما دام هذا السلطان على قيد الحياة ولو شكلا فإن مثل هذه الثورات يكون قسما منها فى جانبه والقسم الآخر عليه . والسنوسية لا تريد أن تكون وقتذاك خارجة على الخلافة ما دام هناك امل فى إصلاح شأنها . ولا تريد وهى ناشئة وفى مرحلة التكوين أن تزج بنفسها فى حروب أهلية قد يكون ضررها على الوطن أكثر من نفعها . ومع ذلك فقد أظهرت السنوسية عطفها الكبير على الحركة العرابية وقد قدمت لها المساعدات بطرق غير مباشرة . وكل ما عجزت عن تقديمه لعرابى باشا هو الدخول معه عسكرياً والسنوسية لا تزال كما قلنا فى دور الإنشاء .

(٦)

يقول (هنرى دى كاسترى Casteries) وهو يتحدث عن الإمام (الثانى) السيد المهدى السنوسى : (وأكبر الطوائف وأشدها تمسكا بمبادئها هى الطريقة السنوسية . وهى التى يخشى منها أكثر من غيرها . ولها شيخ ذو دهاء ينظر اليه البعض كجامع لوحدة الإسلام) .

☆ ☆ ☆

قلنا نحن فى كتاب (المهدى السنوسى) . لقد انتشرت هذه الدعوة بصفة خارقة للعادة فى الاصقاع التى كان القسم الأكبر منهما وثنيا . وكان قسم آخر لايعرف من الاسلام إلا إسمه . ودان بالخضوع إلى هذه الدعوة أهالى وداى وبرنو وبرقو وكانم وادامو والداهومى وأخذ الاسلام بفضل هذه الدعوة يتغلغل فى كل بقعة من المعمورة تسربت إليها هذه الرسالة السنوسية التى اعتمدت على العلم والعمل وعلى الدين والنظام) .

إن التعاليم السنوسية المستمدة من روح القرآن ونصوصه . ومن سنة النبي الكريم . كانت تمثل المعرفة الصحيحة . وبذلك أصبحت منارا يهتدى

به . وطريقا معبدا لمن يريد سلوكه نحو الخير والمجد والسعادة والعزة والفضيلة . وما كانت هذه الصفات بالأمر السهل حتى ينالها الخاملون . أو يطمع فيها الجامدون ولم تكن فى يوم من الأيام نصيبا مفروضا ينال دون إتخاذ الوسائل لنيله . ودون سلوك السبل المؤدية إليه ، والذى لاشك فيه أن التعاليم السنوسية كانت أوضح طريق للوصول إلى تلك الصفات . ومن بين وسائل التعاليم السنوسية للوصول إلى مجموعة هذه الصفات تلك الحرب الدفاعية الوطنية التى أشعلتها السنوسية من أجل الحرية والاستقلال ضد فرنسا فى السودان والغرب . وضد إيطاليا فى ليبيا . وكان وقودها هم الليبيون وكانت هذه الحروب هى الشعلة الأولى لايقاظ الشعب العربى فى مختلف دياره للمطالبة بحقوقه وللمحافظة عليها . وكانت النفير الأول الذى ملأ الأسماع فاهتز له المسلمون وأعداؤهم معاً . وكانت اهتزازة المسلمين اهتزازة من قام ينفض ماعلق به من الأوساخ وغبار الخمول . وكانت اهتزازة العدو هزة من نهض فزعا ورعبا على صيحات مدوية تنذر بالويل والثبور .

وبالمناسبة نسوق هذه الكلمة التالية التى ألقاها حضرة اللواء السيد محمد صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين أثناء إحتفاء مركز الجمعية بوفد ليبيا الصحافى الذى زار مصر بدعوة من حكومتها فى شهر فبراير ١٩٥٥ ، قال حفظه الله :

« وهل نحتفل بليبيا فى هذا النطاق الضيق ؟ أن الواجب أن تحتفل مصر بها من أقصاها إلى أقصاها . أن ليبيا علمت العرب والمسلمين الجهاد فى القرن الحالى ، وقد بدأت هذا الجهاد يوم أن نسى المسلمون الجهاد ، وطالت رقدتهم وصاروا نهباً مقسما للمستعمرين الذين اقتسموا التراث من بعد الدولة العثمانية ، وأشار الخطيب إلى نوايا الإستعمار ، وما بيته للبلاد العربية بأن يستعمر كل شبر فى شمال أفريقيا فقال : ولكن أبى الله إلى أن يرد كيد المستعمرين فى نحرهم فكانت أول شرارة أيقظت العالم الإسلامى ، وكانت الوحى الذى أشعل ثورة سنة ١٩١٩ فى مصر ، وكانت الوحى الذى نزل على الأمير عبد الكريم

وأشعل ثورة مراكش ، وكانت الوحى الذى نزل على مصطفى كمال أتاتورك بثورته فى تركيا ، وكذلك الشريف حسين « الملك حسين ») .

هذا ماذكره اللواء محمد صالح وقد نشرته الصحافة يومذاك .

كانت هذه الحروب التى إشتعلت من أجل الحرية والإستقلال قبسا من التعاليم السنوسية المنبثقة عن العلم الصحيح ، والمستمدة من جوهر العقل والمنطق . لقد كان الإمام الأكبر منذ أكثر من مابة سنة يزود الثوار بالجزائر ضد الإحتلال الفرنسى بجميع مايستطيع جمعه من المال والسلاح والرجال ، وكان إهتمامه بالجزائر وتونس يفوق كل إهتمام ، كما أنه كان قلقا من تصرفات حكام مصر من أمثال محمد على وخلفائه وكان هذا القلق الذى يساوره لايعلمه إلا الخواص من شيعته وفى ذلك يقول العلامة السيد السنى من قصيدة له عصماء تناول فيها تطورات التاريخ منذ فجر الإسلام تتجاوز أبياتها المابة وقد تناول فيها ضمن ماتناوله حركة الجهاد التحريرى فى مختلف البلاد العربية ، وبهذه المناسبة نسوق منها الأبيات التالية :

هو المرتجى للدين ينصر حزبه ... فتعضده الأنصار والنصر والنصل
تخوفت الأعداء من أمره الذى ... به خص دون الناسكين وأن جلوا
إذا بسطت يمناه للبيعة التى ... بها تصلح الدنيا وينتظم الشمل
يصول عليهم صولة هاشمية ... تهشم آكام الضلال ومن ضلوا
يجر بحورا من بنى العرب ترتمى ... بأمواج آفات هى الضرب والقتل
ومن أرض سودان جيوشا خضارما ... يضيق إذا وافت لها الوعر والسهل
إذا صففت تحت السلاح جنوده ... تخال خيالا فوقها شعل شعل
وأن زحفوا يوم اللقاء حسبتهم ... سيول خيول برقها بيرق يعلو
كأن مثار النقع فى حومة الوغى ... غيوم بها برق الصوارم ينهل
وما رعدها إلا زلازل غارة ... وما وبلها الا الجماجم تنهل
له النصر معقود بأعلامه التى ... إذا خفقت خلت العدا مسهم خبل
رويدكم اهل الضلال فانه ... سيبدو لكم منه الذى كان من قبل



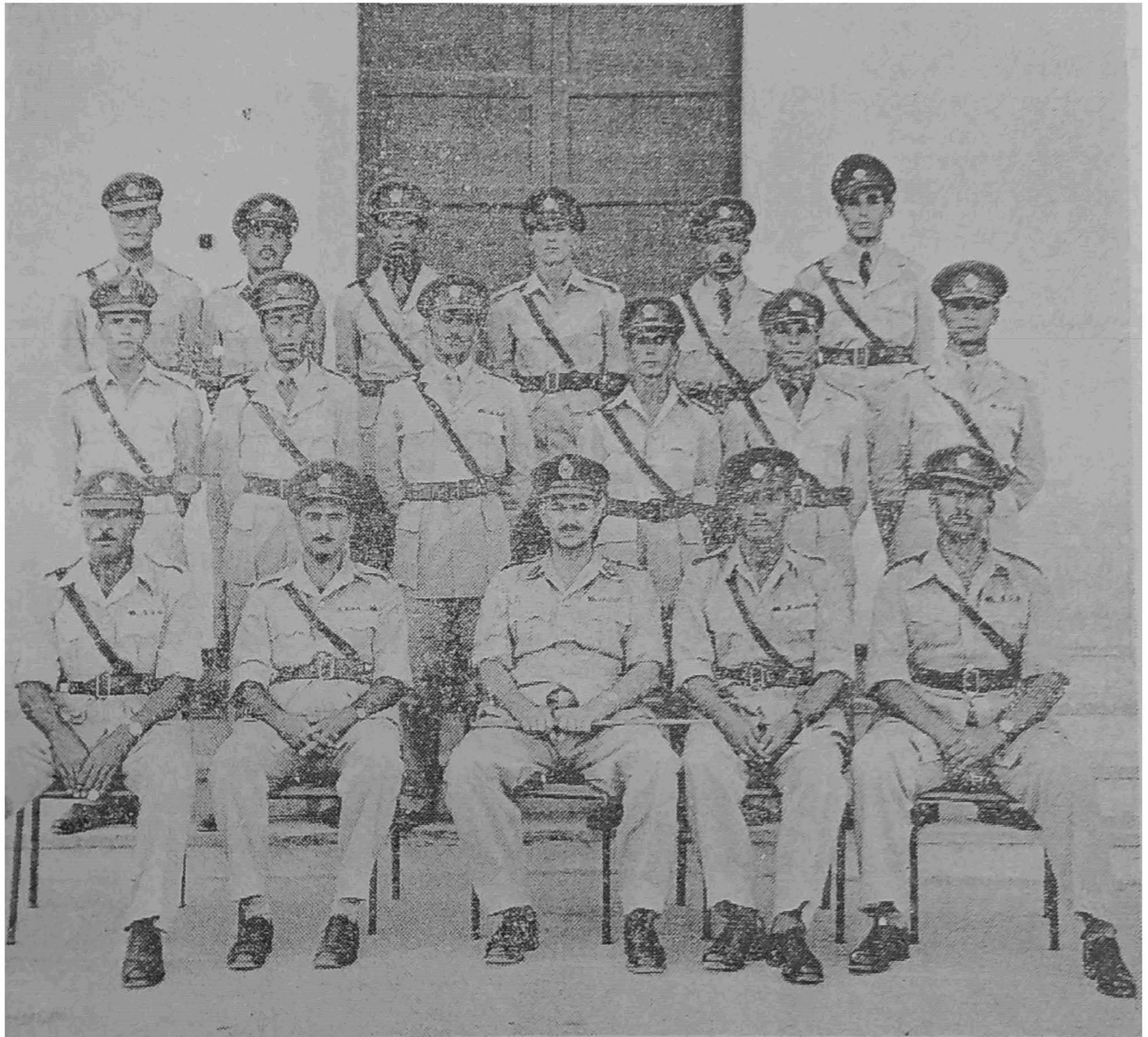
بعض الاخوان السنوسيين فى زاوية أبي قبيس بمكة المكرمة
ويرى من بينهم شيخ الزاوية ومؤلف هذا الكتاب



فريق من الجيش السنوسى (اللبنة الأولى للجيش الليبي) فى عملية حربية
بالصحراء الغربية أثناء معركة العلمين سنة ١٩٤٢

« بيد أن الكرام آل السنوسى نبهوا الشرق فاستفاق رهيبا »
« علم الناس أنهم أول الناس جهاداً وما عرفنا ضريبا »

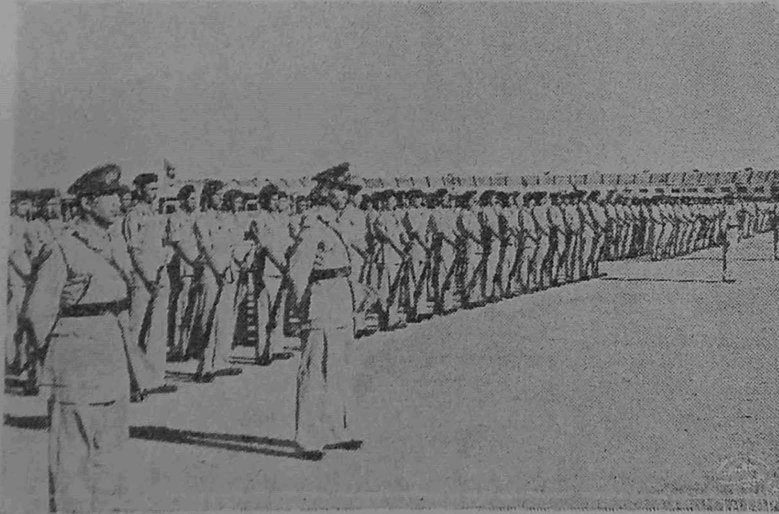
حسيب علي حسيب



ضباط كتيبة إدريس الأول (الجيش الليبى) وهو مأثرة من مآثر الحركة السنوسية



فريق من الجيش السنوسى وقد تحول بعد تطهير ليبيا من قوات المحور إلى تسميته الجديدة قوة الدفاع البرقاوية (إحدى مآثر الحركة السنوسية)



منظر من مناظر العرض العسكرى للجيش الليبى (من مآثر الحركة السنوسية)

فينسى فرنسيسا بتونس أنسه ... ويزجر كفراً بالجزائر قد حلوا
ويفتح مصر بل وشرقا ومغرباً ... وشاما وروما فتحهن له سهل
فتطهر أرض طالما قد تنجست ... بأفعالهم سيل الدماء لها غسل
وتلبس من نسج الهدى حلة الرضا ... يعطرها من أمره القسط والعدل
ويخفى ظلام الشر أشراق نوره ... وتنهمر الخيرات ليس لها مهل

كان رضى الله عنه منذ أكثر من قرن وربع القرن ينبه الليبيين إلى الغزو الإيطالى تصريحا وتلميحا حسبما يقتضى المقام ، وذات مرة قال للشيخ الكاسح ديهوم أحد زعماء العشائر ، ماذا أعددت ياشيخ الكاسح (للنابولتان) — يقصد الطليان — إذا ماغزوا بلادك ليأخذوها ؟ وأجاب الشيخ المذكور بقوله : أعددت لهم جرابا من البارود وشيئا من الرصاص فقال الإمام : إذا كنت وأنت شيخ القبيلة ولم يوجد عندك إلا هذا المقدار القليل من وسائل الدفاع فماذا إذن يوجد عند أفراد القبيلة ؟ ثم أردف قائلا : أن النابرلتان آت لا محالة للوطن وسيصيبكم منهم أذى كثيراً وأن الله مع الصابرين ، واستشهد رضى الله عنه بقوله تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وذات مرة قال لأحد شيوخ القبائل ، أن النابولتان سيغزوا هذا البلد وسيقف أهلها للدفاع عنها موقفا مشرفا ، وسيتخذ النابولتان جميع الوسائل لاخضاعهم ومن بين هذه الوسائل سيقدمون الأموال للأغراء فماذا أنتم فاعلون فى هذه الحالة ؟ فقال الشيخ : أننا سنأخذ المال ونثنى عليهم نقاتلهم ، وهنا كان جواب الإمام رضى الله عنه هو : من يقبل هديتهم لا يقاتلهم ، وقد صح ذلك فعلا . كان رضى الله عنه يلقى أمثال هذه الدروس على كل من جالسه لاسيما الأخوان وشيوخ العشائر ومعلمى الصبيان ، ويأمرهم بإلقاء مثل هذه الدروس على مسامع الأتباع والنشأ ، كما كان يأمر بالاستعداد ، ويحذر وينذر ، ويلفت النظر إلى الغزو الايطالى الذى ما كان فى الحسبان وكان يأمر باقتناء الأسلحة ويوصى خلفاءه بالاحتفاظ بها فى مخازن الزوايا استعداداً للمفاجأة ، وقد وقع كل ما كان يقول عنه بعد مرور أكثر من سبعين سنة من حديثه عن الغزو الإيطالى .

ومن بين الدورس التي كان يلقيها في هذا الشأن ويتصيد لها الفرص هو أنه عند ما وصل إلى العزيات سنة ١٢٦٩ قادماً من الحجاز وأخذت وفود القبائل تتوافد على زيارته من جميع أنحاء برقة وطرابلس زرافات ووحدانا ، وكان من تقاليد البدو في مثل هذه الحالة أنهم يطلقون الأعيرة النارية من بنادقهم دليلا على فرحهم وابتهاجهم ، وفي ليلة من الليالي كان رضي الله عنه يتصدر مجلسا من الأخوان وشيوخ الزوايا وزعماء العشائر وذلك بعد صلاة العشاء فسمع طلقا متواصلا من البارود ، وسأل عن السبب فقيل له أن (مزاراً) من قبائل العواقير قد وصل الآن ، وكلمة مزار تطلق عند البادية على الزائرين فقال رضي الله عنه : لقد نبهنا أكثر من مرة المحافظة على الرصاص والبارود ، والعناية بإدخار الأسلحة كي لا تستعمل إلا عند الحاجة ، وأن الوقت الذي ندخر له السلاح لآت ، ونود من إخواننا وشيوخ العشائر أن يواصلوا أسداء النصح بذلك ، فأجابه السيد محمد بن الشفيع بقوله : انتظر غزواً خارجياً قريباً ؟ فالتفت الإمام رضي الله عنه إلى الشمال — وكان يستقبل القبلة — وقال : وقد تقطب وجهه أكاد أقول لكم أنى أرى العدو رأى العين ، ومن مد الله في عمره منكم سوف يقاتله وهو آت من هنا وأشار إلى جهة البحر ، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، ثم سرد الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الآية .

وختم الإمام جلسته ، وقد قيد السيد محمد بن الشفيع بخط يده هـــذا الحديث وأرخه بغرة شعبان سنة ١٢٧٠ هـ وذكـر عدداً من الأخوان الحاضرين يومذاك وهم السـادة : على عبد المولى . عمران بن برقه . عمر الأشهب . مصطفى المحجوب . محمد حيدره ، وهبه . المرتضى فركاش . أحمد الطائفي . عمر جلغاف . محمد بلو . وقد أطلعت على هذه الوثيقة بمكتبة المرحوم الشارف باشا الغرياني ونقلتها بحرفيتها ، وقد أضاف السيد بن الشفيع بنفس الوثيقة قائلا : انتشر الطاعون بجهات برقة الحمراء والجبل

الأخضر فى هذه السنة . وكتب أيضا بنفس الورقة يقول : سمعت الأستاذ الأكبر رضى الله عنه ذات يوم يستشهد بالبيتين التاليين :

يمر السحاب ببلدتنا بماء غزير وعذب فرات
يريد النزول فيمنعه جفاء الأمير وظلم القضاة

أخذ الأخوان السنوسيون يترقبون غزو العدو من لحظة إلى أخرى وليس أدل على ذلك من الواقعة التالية :

إعتاد شيوخ الزوايا وشيوخ القبائل أن يقوموا بزيارة الإمام (الثانى) السيد محمد المهدى فى الكفرة كما كانوا يقومون بزيارته وبزيارة والده الإمام الأكبر فى الجغبوب سنوياً أو على الأكثر كل سنتين مرة ، واعتادوا أن تكون الزيارة فى وقت معين يجتمع الزائرون فى محل واحد من ثلاث هو زاوية مسوس أو زاوية دفنه أو جالو فى أحد هذه الأماكن الثلاث يجتمع الكل ويستأنفوا التوجه جماعة ، وصادف أن العلامة السيد محمد المبخوت النواتى شيخ زاوية القصور كان ضمن الأخوان الذين قاموا بزيارة الكفرة سنة ١٣١٣ ﻫ وبينما كانت القافلة تسير تخلف الأخوان لأداء صلاة العصر وكان قد وضع سلاحه داخل صندوق مقفول مبالغة فى المحافظة على سلاحه وعلماً بأنه لا يحتاجه فى هذا الطريق الخالى من جميع الكائنات الحية ، وقبل أن يصطف الأخوان للصلاة قال السيد السنوسى الأشهب شيخ زاوية مسوس مازحاً : إننا جميعاً مجردون من السلاح أليس من العبث أن نترك سلاحنا مع القوافل فما ضرنا لو كان سلاحنا معنا ، وما كاد السيد المبخوت يسمع هذه الكلمات حتى ترك الصلاة وهرول نحو القافلة صائحا فى سائقيها أن يقفوا مع ماهو عليه من بدنة وبسطة فى الجسم لا يمكننانه من السير السريع الذى قام به وأمر بإنزال الصندوق وفى هذه الحالة فقد المفتاح فأكسر الصندوق وأخرج السلاح واتشح به وأمر القافلة بالسير فلحق به زملاؤه وأخذوا فى لومه على تركه الصلاة معهم لا سيما وأن السيد السنوسى الأشهب لا يخرج عن كونه يمزح فأجابهم بقوله : ماكدت أسمع كلام سيدى السنوسى الأشهب حتى تمثل

أمامى قول الأستاذ الأكبر رضى الله عنه عن غزو النابولتان ، وما يدرينا أن يفاجئنا العدو الآن . أن سيدى السنوسى الأشهب ابن حلال وموفق فى تنبيهه لنا على أن لا نترك سلاحنا .

(٧)

كتبت جريدة (الماتين الفرنسية) عام ١٩١٢ تقول : لم يكن مجىء السنوسيين إلى طرابلس وتوطنهم فيها من قبيل المصادفات والاتفاق ، فهؤلاء أدركوا من زمن طويل أن الأوربيين سيستولون على طرابلس الغرب بعد استيلائهم على الجزائر ومراكش ، فأرادوا أن يقفوا وراء ساحل طرابلس كالبنيان المرصوص ليدافعوا عن بيضة الاسلام عندما تطلق أوربا أساطيلها بسهولة على تلك السواحل) .

لقد كان الإمام الأكبر عليه رضوان الله مفخرة من مفاخر المسلمين ، وجذوة من جذوات الإسلام المشتعلة ، والتى لايستطيع أن يقف فى طريقها واقف ، وكان درة من درر التاريخ العربى الناصع البياض ، ونور وضاء يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، وكان قائدا من قادة الإصلاح الإنسانى ، وزعيما من زعماء النهضة الوطنية الدينية العلمية الحديثة التى خدمها بصدق وعزيمة وإخلاص .

إن المدة التى مكثها الإمام فى ليبيا لم تكن فى الواقع بالزمن الكافى لاتمام برامجه التى أراد القيام بها ، ومع ذلك فقد قدم من الإصلاحات الشاملة العظيمة مالم يمكن تقديمه فى قرن من الزمن ، أن مدة بقائه فى ليبيا جد قليلة ، وأن الكثير من الناس لايعلمون إنها لاتتجاوز أحد عشر سنة لم تكن متصـــلة ، فقد مكث حوالى خمس سنوات فى برقه وقليل منها فى طرابلس متنقلا وباحثا وواعظا وداعيا وهى من منتصف ١٢٥٧ هـ إلى أواخر ١٢٦٣ ، ثم سافر إلى الحجاز ولم يعد منه إلا فى أواخر ١٢٦٩ وقيل فى أوائل ١٢٧٠ ونزل بموقع العزيات حيث أنشأبه زاوية ولم يغادرها إلا فى شهر صفر من سنة ١٢٧٣ حيث تحول إلى الجغبوب ، وهناك استقر به

المقام إلى أن توفاه الله فى صباح يوم الأربعاء ٩ صفر عام ١٢٧٦ ، ولولم يلحق بالرفيق الأعلى لواصل الأسفار إلى بلاد أخرى ، وذلك فى سبيل تعزيز حركته الإسلامية الكبرى ، والعمل على إيجاد جميع وسائل هذا التعزيز فقد ورد فى كتاب بعث به إلى شيوخ وأهالى بلدة سيوة (الغربيين والشرقيين) جاء منه قوله : وها نحن وجهنا أولادنا الإخوان ليقيموا بالخطية المذكورة (الزيتون) ويهيئوا لنا محل النزول ، ويصلحوا العين التى سيكون منها شربنا . إلى أن يقول : والوجهة اليكم إن شاء الله عن قريب . والوصية لكم هى وصية الله فى الذين خلوا من قبلكم « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) . ولقد اطلعت على رسالة بعث بها إلى خليفته بزاوية مسوس السيد عمر الأشهب (الجد الأدنى للمؤلف) يأمره فيها بتحضير بعض الجمال وأدوات السفر الذى سيكون لمجرد وصول الإبل إلى الجغبوب . واطلعت أيضاً على رسالة مماثلة إلى خليفته بزاوية الطيلمون السيد مصطفى المحجوب . ومن هذه الأخيرة يفهم أن الاتجاه سيكون أولا إلى سيوة . ولكن أدركته الوفاة قبل أن يقوم بالسفر الذى أراده . وهكذا فقد كانت جميع مدة إقامته بليبيا لا تتجاوز كما قلنا إحدى عشر سنة تمكن أثناءها من تحقيق الشىء الكثير وجاء بما يصفونه بالمعجزات وخرق العوائد . إذ لا يخفى انه جمع بين التفكير العميق والإرادة القوية والتصميم الأكيد والتنفيذ السريع وذلك فى وقت واحد . ولم تكن هناك فترة للتردد أو التريث أو الاستجمام أو التجربة وكانت النتيجة أن أصبحت بلاده فى عهده الزاهر القصير تتمتع بحياة كريمة هى أقرب إلى الحلم منها إلى الحقيقة . وكان عصره من أعظم العصور أزدهاراً وأخلدها ذكراً . وهذا ليس بالغريب على رجل لا مكان لكلمة المستحيل فى قاموسه . فكان يقول لاخوانه ليس هناك على همة العاملين مايسمونه مستحيلا إذا ما أخلصوا فى عملهم وصدقت عزيمتهم . واتخذوا من القرآن الكريم دليلهم . وعرفوا معانيه وتدبروها كما يجب أن يتدبروها .

زواج الامام :

لم يستقر الإمام الأكبر رضى الله عنه فى حياته الخاصة بصورة تمكنه من التفكير فى أمر الزواج ، والنظر اليه من الزاوية التى ينظر منها إلى الزواج غيره من أمثاله الذين يرونه تكملة ابناء الأسرة بشطريها ؛ وتنظيم الحياة الزوجية بصورة تمكن الزوجين مجابهتها وواجباتها الدينية والدنيوية ولم يكن الإمام — إذا ما نظر إلى الزواج — أن ينظر إلى ضرورته بغير هذه النظرة إلا أن وقته الثمين المليئ بالحركة والأسفار ، والمستعد لمجابهة الأحداث والطوارىء لايمكنه من التفكير فى الزواج ، وهو الأنسان الذى فتح عينيه على ما كان يعانيه الإسلام والمسلمون من حالة التدهور والانحلال المخيفين الأمر الذى أثر فى نفسه منذ عهد الطفولة فتأثر به فى سن شبابه وفى سن الرجولة مما جعله لايفكر فى غير الأستعداد لمواجهة المستقبل ، وكان حاضره لايسمح بشىء من هذا النوع وهو خلو من القرار والأستقرار ، فعقد عزمه مصمماً على بداية الجهاد ، ومواصلته باستمرار مهما كلفه الأمر ؛ ومهما كانت وتكون التضحية حتى يهبه الله النصر من عنده أو يلقى وجه الله راضيا مرضيا عنه ، وهكذا فلم يكن الأمام فى عداد أولئك الذين يستصغرون الواجبات ويستهينون بها لاسيما إذا كانت تتعلق بشئون المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إذا ما كان هناك مسلمون يقدرون مسئولياتهم ويعملون على أداء واجباتهم ولهذه الأسباب القاسية منفردة ومتجمعة لم يوطد الامام — على مايظهر — نفسه للزواج ؛ ولم يفكر فيه ، فى حين أنه وسيلة أساسية لكل شاب يترقب حياة الدعة والأستقرار الفاصلة بين حياة الشباب المضطربة وحياة الرجولة المستقرة وعملت عمته الفاضلة والمربية الكبيرة السيدة فاطمة الزهراء على ترغيبه فى الزواج ، وكان قصدها من ذلك هو الأستقرار الذى تنشده لأبن أخيها ومحط آمالها ، خصوصاً وأنها لاحظت عليه القلق الذى استولى على مشاعره . والتفكير العميق الذى ملك عليه لبه وجعله يميل للأنزواء ؛ وكان يقضى الليالى

الطوال دون أن يركن للنوم ، كما أنه كان يقضى جل أيامه صائما أومضربا على الطعام فلا يتناول منه إلا النزر اليسير الذى لايكفى تنمية جسمه لمقاومة الأعباء الثقيلة الملقاة على كاهله ، وكان يشعر بوجوب تحملها ، وبعد جهد جهيد نجحت محاولة هذه السيدة الفاضلة فتزوج الامام من إحدى قريباته ورزق منها بمولود ولكن لم تطل الحياة الزوجية فقد توفى المولود صغيرا ولحقت به على اثرِ والدته ، وعاد الامام إلى حياة الانفراد وإن كان لم يفارقها طيلة أيام الحياة الزوجية القصيرة ، واستمر هكذا إلى أن بدأ أسفاره وتنقلاته بين الجزائر ومراكش ، وبين هذه والصحراء الكبرى ، وبينها وبين الحجاز على نحو ماتقدم ذكره ، وعندما التقى بآخر شيوخه العلامة الجليل السيد أحمد بن أدريس الفاسى الذى كان يعبر عنه الامام الأكبر بقوله : (شيخنا أبى العباس العرائشى ؛ فأبى العباس هى كنيته ، والعرائشى نسبة لبلده المولود بها) زوجه من السيدة خديجة الحبشية وتولى بنفسه قراءة خطبة العقد وقد اشتهرت هذه السيدة الفاضلة بالتقوى والصلاح ، وبالورع والإستقامة . فكان الامام رضى الله عنه يجلها ويهبها تقديره واحترامه . وكانت تبادله ذلك وتقاسمه آلامه وآماله وتصحبه فى كثير من رحلاته التى كان يقوم بها فى الديار الحجازية وفى اليمن وفى ليبيا كما كانت تتولى تمريضه متحملة مشاق السفر وعناء التنقل . ولكنها لم تنجب له مولوداً وفى سنة ١٢٥٩ تزوج من زوجته الثالثة السيدة فاطمة كريمة العلامة السيد أحمد بن فرج الله الطرابلسى ، وذلك عندما كان فى الزاوية البيضاء رأى الأخوان وجوب زواج الامام أملا فى أن يرزقه الله تعالى بمولود يطمئن نفوسهم إلا أنهم عجزوا عن مفاتحته فى ذلك نظرا للجدية التى كان يتصف بها الامام فى قوله وفعله . إذ ربما تكون حائلا دون مايريده الاخوان ومما جرت به العادة — إن كان خطئا أو صواب — هو أن الحديث عن الزواج يتبادر منه أول ما يتبادر إلى الذهن الميول إلى المتعة وإدخال البهجة على النفس البشرية هذا هو ماكان يقف حائلا دون مفاتحة الامام . خصوصا وأن الأخوان أعرف

من غيرهم بانكبابه على العمل وانصرافه الكلى إلى الإصلاحات التى استحوذت على تفكيره . وهكذا أخذ الأخوان يجتمعون من أجل موضوع الزواج ويتباحثون فيه . ثم يجمعوا على مفاتحته . وعند مقابلته يقفوا صامتين رغم تصميمهم ، وذات مرة تجرأ العلامة السيد محمد بن الشفيع مغتنما إحدى الفرص التى يبدو أنها سنحت ، وصارح الإمام برغبة الاخوان الأكيدة ، ولم يكن السيد بن الشفيع ينتظر من الإمام أن يمازحه ضاحكا بقوله : (إنك يأخينا بن الشفيع تريد أن نفتح لك الباب ، فابتهج الإخوان لذلك وتفاءلوا خيراً وعدوه نصراً وإن كانوا فى هذا الإجتماع وقفوا عند هذا الحد ولم يتعدوه إلى مواصلة الحديث عن الموضوع ، وسنحت الفرصة مرة أخرى فاستأنف السيد بن الشفيع حديثه عن الموضوع ومازحه الإمام مرة أخرى بقوله ما معناه إذا كنت متعبا فعليك بالصيام . ولم يمض وقت حتى شاء الله تعالى أن تتحقق رغبة الإخوان إذ عقد الامام الأكبر زواجه على السيدة فاطمة المذكورة . وابتهج الاخوان لذلك . وشاطرتهم أفراحهم زوجة الامام الثانية السيدة خديجة الحبشية وتولت بنفسها أعداد وليمة الزواج وقضى الإمام ليلتئذ شطراً طويلا من الليل مع إخوانه يقرأ لهم قسما من الحديث النبوى . وامتلأت نفس كل واحد منهم بالآمال الكبار . وشعر الجميع بأن هناك تجليات تبشر بالفوز والسعادة .

هذا : وقد حقق الله الآمال فانجب الإمام الأكبر من زوجته الثالثة خليفته الأجل المصلح السيد محمد المهدى رضى الله عنه وذلك فى ليلة الأربعاء غرة ذى القعدة من سنة ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م . ومنذ ذلك الحين أصبح الاخوان يطلقون على هذه السيدة كلمة (أمنا) وفى سنة ١٢٦٢ أنجبت له ابنه الثانى السيد محمد الشريف رضى الله عنه : وفى هذه السنة نفسها سافر الإمام الأكبر إلى الحجاز وقد ترك زوجته هذه وابنيه فى الزاوية البيضاء مصطحبا معه (أمنا) الحبشية وأمر تلميذه السيد عمران بن بركة الفيتورى بالاشراف على شؤن العائلة الكريمة وفى سنة ١٣٠٨ لحقت

(أمنا الكبيرة) بالرفيق الأعلى فى زاوية الجغبوب وكانت تتمتع بتقدير واحترام جميع الإخوان فرثاها الشعراء . وأبنها العلماء . وبكاها الجميع ونثبت هنا مطلعا لرثاء العلامة السيد أحمد بن أدريس الأشهب .

« بكيت على شمس نأت وتباعدت وما لت عن الدنيا وعنها تقاعدت »

أما السيدة خديجة الحبشية — وهى الزوجة الثانية — فقد توفيت هى الأخرى بالجغبوب سنة ١٢٩٦ هـ .

هذا وقد تزوج الامام رضى الله عنه فى الحجاز من زوجته الرابعة والأخيرة . وهى السيدة فاطمة كريمة السيد حسن البسكرى فولد منها ابنا أسماه علياً . وقد توفى بالحجاز طفلا ودفن بقرب مسجد الخيف . وتوفيت هذه السيدة بالجغبوب . وكانت رحمها الله تتمتع بتقدير واحترام الامام الأكبر وتتولى خدمته الخاصة وتمريضه كالسيدة الحبشية . وكانت راوية موثوقا بها فى أخبار وأحوال وأقوال الامام الأكبر الخاصة . وكانت تتمتع باجلال واحترام الإمام (الثانى) السيد المهدى رضى الله عنه وكثيراً ما كانت الرسول الأمين بينه وبين والده رضى الله عنهما . وكانت تحضر غالبا جلسات الخلوة بين الامامين .

عقد النسب السنوسى منظوماً :

أشرنا فى حديثنا عن نسب الإمام إلى منظومتين للعلامتين السيد عبد الرحيم المحبوب والسيد أحمد بن إدريس الأشهب ، وتتميما للفائدة أردنا أن نذكر المنظومتين فيما يلى :

قال العلامة السيد عبد الرحيم أحمد المحبوب رحمه الله :

حمدا لربى باسط النعماء مجرى السحاب وكاشف الأواء
وكذاك شكرى لايزال مسرمداً متجددا بتجدد الآلاء
وصلاته تغشى النبىّ محمد نور الظلام مزيل كل عناء
والآل والصحب الألى قدأعلنوا دين النبىّ بغارة شعواء
وبعد . ربى أننى لك ضارع متضرع فى نيل حسن رجاء
متوسل فى حل كل عويصة قد أعضلت ، بالصفوة النجباء
(بمحمد) بحر الحقيقة غوثنا مأوى العلوم وناصر الضعفاء
وبأصله المولى (على) كم له من همة تسمو على الجوزاء
وبأصله البحر (السنوسى) الذى أضحت معارفه كنور ذكاء
وبأصله (العربى) كم شهدت له أقرانه بالسيف فى الهيجاء
وبأصله المولى (محمد) الذى حمد السرى فأرتاح بالأضواء
وبأصله (عبد القدير) فياله من ضيغم ذى رتبة شماء
وبأصله المولى (شهيدة) أنه لشهيدة فاقت بطيب شذاء
وبأصله (حمّ) الذى بحمائه حم المرابع مع ربى الفقراء
و (بيوسف)الشبل السميذع أصله من قد ربى فى مربع العلياء
وبأصله (عبد الإله) أمامهم قطب الورى متواتر الأنباء
وبأصله(الخطاب)كم خطب عدى فأزاحه رغما على الأعداء
وبذى العلا المولى (على) أصله حاوى المكارم منجد الفرقاء
وبأصله (يحيى) الذى أحيا الذى قد مات ، من كرم وحسن ثناء

وبأصله ذي الرشد (راشد) عصره ... كم قد شفا من مقلة عمياء
وبأصله المولى المرابط (أحمد) ... أكرم به من ناسك بكاء
وبأصله (منداس) ذي الفضل الذي ... لم يحوه طور على الغبراء
وبأصله (عبد القوى) ألذ سما ... بين الأنام بسيرة سمحاء
و (بعابد الرحمن) دوما أصله ... عطر الشذى ذى الراحة الشماء
و (بيوسف) القضب المهند أصله ... حامى الذمار وذائد البأساء
وبأصله (زيان) من زان الفلا ... بعد المحول بدعوة غراء
وبأصله (زين العبادة) من إذا ... يتلو المثانى لان ذو الصماء
و (بيوسف) الشهم الغضنفر أصله ... غمر الندى ذى الحلم والأغضاء
وبأصله (الحسن) الذى ماشأنه ... إلا إقتفاء محاسن الآباء
وبأصله (إدريس) من درست به ... رغم الحسود معالم الشقواء
(. . . . .(١))
(. . . . .)
وبأصله (عبد الإله) من اهتدى ... بسنا هداه شواسع الأنداء
وبأصله سامى المكانة (أحمد) ... بدر العلا ذو القامة الهيفاء
وبأصله المولى (محمد) الذى ... تشدوا ثناه سواجع الورقاء
وبأصله (عبد الإله) من امتطى ... صهوات نجب من سنا وسناء
و (بحمزة) النامى العوارف أصله ... أنف الرياض بزهر كل علاء
(. . . . .)
(. . . . .(٢))
(. . . . .)
وبأصله المولى (على) كم إلى ... أوج المكارم قد علا بولاء

(١) فقد بيتان تركنا محلهما بياضا .
(٢) فقدت ثلاث أبيات فتركنا محلهما بياضا .

وبأصله (عمران) عامر غربنا ... بأولئك الأقمار فى الظلماء
وبأصله (إدريس) شمس الغرب هو ... لا نا السرى مناط كل بهاء
وبأصله (إدريس) مولانا الذى ... أضحى مقيم الملة العوجاء
وبأصله (عبد الإله الكامل) الأ ... خلاق مولى القادة الفضلاء
وبأصله (الحسن المثنى) من بدت ... أنواره فمحت دجى الأهواء
وبأكبر السبطين أيمن طالع ... (. . . . (١))
وبأكرمى زوجين (حيدرة العلا ... ثم البتول) البرة الزهراء
وبمنبع الشريف الأثيل محمد ... ملجأ الأنام وناصر الضعفاء
مصباح أهل الحق خير من اصطـ ... فاه الله من عجم ومن عرباء
بر رؤف راحم متفضـل ... صلى عليه الله بالآناء
فبحق ذى العقد النفيس تكرماً ... أرجوك ربى كشف كل عناء
ورضاك سؤلى ثم تشرح صدرنا ... وتميتنا جمعاً على الحسناء
فنساق يوم العرض تحت لوائهم ... نحو المنابر مركز السعداء
ونصان عن كرب هناك فلا نرى ... بأساً ولا نخشى لحوق شقاء
ثم الختام بأن يكون مقامنا ... أعلا الجنان بسيد الرحماء
صلى الإله عليه فى ملأ الرضا ... ما حن شوقاً مغرم الأحشاء
والآل والأصحاب ثمت من بدا ... يتلوهم بالخير للإنهاء

ويقول العلامة السيد أحمد بن إدريس الأشهب :

حمداً لماجد كريم أكرم ... وواحد فرد قديم أعظم
ثم صلاتنا على خير البشر ... وآله وصحبه ذوى الأثر
وبعد أن معدن السلوك ... وقادة الزهاد والملوك
له انتساب واصل إلى الحسن ... فهاك فى أجداده نظماً حسن
ليسهل الحفظ على من طلبه ... ويحفظونه جميع الطلبه
وقد أتى منتظماً فى السلك ... وجاء فى نظم بديع السبك

---

(١) فقد هذا الشطر من البيت فتركنا محله بياض .

ذاك الذى قد جدد العلوما وبين المنطوق والمفهوما
(محمد) نجل (على) الإمام الفاضل المشهور بالأقدام
ثم (السنوسى) للامام (العربى) (الأطرش) المشهور سر العرب
ثم (محمد) لعبد القادر ذى الفضل والعرفان والمآثر
(. . . . . (١))
(و يوسف) نجل (لعبد الله) وهو لخطاب بلا تناه
ثم (على) وهو نجل (يحيى) و (راشد) برشده قد أحيا
(مرابط) منداسهم (عبدالقوى) و (عبد رحمن) له الدين القوى
و(يوسف)(زيان)(زين العابدين) و (يوسف) ذاك أمام العابدين
و (حسن) (إدريس) (عبدالله) أكرم به من شرف للجاه
و (أحمد) والده (محمد) وهو (لعبد الله) ذاك الأمجد
و (حمزة) يمى إلى (سعيد) وبعده (يعقرب) فى التحديد
(. . . . حمزة) ابن (على) وبعده(عمران) فى الذكرى يلى(٢)
وبعده (إدريس) فى الاجداد وهو (لإدريس) على التعداد
واذكر لعبد الله ذاك الكامل جميل ذكر بالثناء الكامل
وبعده (للحسن) المثنى أكرم به من سيد يهنا
واختم بمن إلى القلوب شافى سبط الرسول سيد الأشراف
(. . . . . (٣))
ثم صلاتنا على الرسول الطيب الفروع والأصول

وقد ذيل الناظم منظومته هذه بالأبيات التالية :

توسلت بالعقد الفريد المنظم من ابن على للرسول المعظم
من ابن (على) وهو قطب زماننا إلى سيد الرسل الكريم المكرم
فيا سادتى يا آل طه مديحكم علينا من الفرض القديم المحتم

---

(١) فقد هذا البيت فتركنا محله بياضا .
(٢) فقدت كلمة من أول صدر هذ البيت فتركنا محلها بياضا .
(٣) فقد هذا البيت فتركنا محله بياضا .

وفاة الإمام الأكبر :

مرت الأيام وانقضت الأعوام ، وفى كل فترة من الزمن يتلطف الله بحالة عباده المسلمين فيبعث لهم من يجدد دينهم الذى ارتضاه لخليقته ، ويوقظهم من السبات العميق الذى يرجع بالأمة مئات السنين إلى الوراء أن لم يقض عليها فى الغابرين ، ويوجهها الوجهة الصالحة ، وهكذا فى منتصف القرن الثالث عشر من الهجرة أراد جلت قدرته أن يبعث فى الأمة الإسلامية بالآية الكبرى فى شخص الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى رضى الله عنه فوجد الأمة الإسلامية فى حالة الأنحلال والتأخر والتدهور المخيف كما قال رحمه الله ورضى عنه ، ومنذ شعر بذلك أخذ يعمل فى همة لا تعرف الكلل وعزيمة لاتعرف الملل وهب فى ثورته الإصلاحية العارمة يهيب بالمسلمين أن خذوا حذركم فانفروا خفافا وثقالا لتعيدوا مجدكم الغــــابر ، وتتبوؤا مكانكم اللائق ، وتهدوا إلى الخير وبه تأمرون ولتنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامــكم ، وإذا به يخلق أمة جديدة ، كلها حياة ولها علم وكلها إيمـــان وكلها فضيلة .

وهكذا انتصر دستور القرآن الذى أنزله الله لتنظيم الحياة من جميع أوجهها وجعله صالحاً للمعاش والمعاد ، وتوفق الإمام فى جهاده ، وحالفه النجاح فى نضاله ، وأنتشرت دعوته على نطاق واسع بصورة مدهشة ، وأوجد لرسالته الاسلامية رجالا صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فعرفوه على حقيقته ونصروه فى دعوته . وكانوا من مختلف الأقطار الاسلامية . صنع منهم الأئمة والأعلام . والقادة العظام . والمصلحين العاملين بعدما كانوا يتخبطون فى مهاوى الضلالة وظلمات الجهل . ولنذكر قلة ممن لاتزال أسمائهم اللامعة ماثلة للعيان من أهل ليبيا أمثال : الشيخ على الأطيوش . زعيم قبائل المغاربة والشيخ أبو سيف الكزه زعيم قبائل العواقير . والشيخ أبو بكر حدوث زعيم قبائل الحرابى . والشيخ غيث سيف النصر زعيم قبائل (الصف الفوقى)

وأحمد باشا المنتصر وأحمد لاغه . من أعيان مصراته . والحاج أحمد قرجى من عيون مدينة طرابلس والأمين شيشوى ومحمد كاهية من عيون حاضرة بنغازى أما العلماء والأعلام فقد سبق ذكرهم . ويكفى ان تذكر مثلا واحد للقادة السنوسيين وهو عمر المختار شيخ الشهداء ورمز التضحية والفداء .

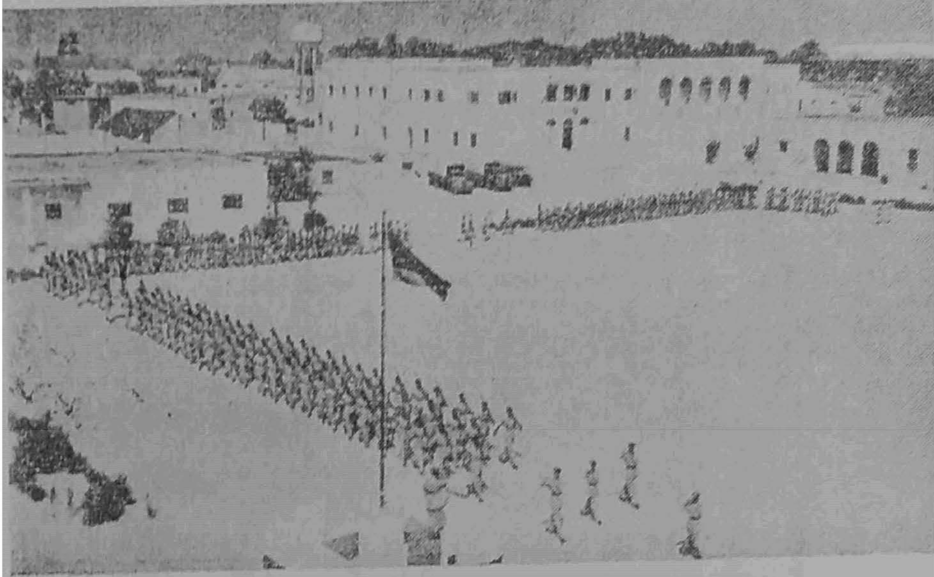
هذا وعندما تحول عليه رضوان الله إلى زاوية الجغبوب من زاوية العزيات كما سبق ذكره شعر بشئ من الألم . وكان يشعر على ما يبدو بالألم والأرهاق منذ مدة من الزمن إلا أنه كان يصارع ذلك بالصبر وقوة العزيمة فلم يخضع لوطأة المرض ولم يركن للراحة بل استمر يواصل جهاده الأصلاحى ليتم مابدأ العمل من أجله . حتى اطمأن لرسوخ دعوته الأصلاحية وثبوت قدمها فى المجتمع الاسلامى الذى أراده بالرغم من المتاعب التى يعانى أهوالها والمصاعب التى تصادف عادة كل عامل . وعندما اشتدت به وطأة الألم أرسل فى طلب أبنه الثانى العلامة السيد محمد الشريف ليعود من الحجاز حيث كان يتلقى تعليمه . فوصل إلى الجغبوب يوم ٢٩ ذى الحجة ١٢٧٦ ه أما ابنه الأول وخليفته الأجل الأمام السيد المهدى فقد وصل إلى الجغبوب منذ سنتين قبل وفاته وأخذ الامام الأعظم والده يهيئه بطريقة غير مباشرة . ليتسلم مقاليد الأمور ويعده للمستقبل الذى ينتظره . وفى يوم الأربعاء التاسع من شهر صفر سنة ١٢٧٦ ه . الموافق ٧ سبتمبر ١٨٥٩ م . صعدت روحه الطاهرة إلى أعلى عليين لتأخذ مكانها مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ودفنت الذات الطاهرة بزاوية الجغبوب . وبقى ذكره الخالد ومآثره الباقية . التى تنطق جميعها بعظمة الراحل . وقد أبنه العلماء والخطباء والشعراء والكتاب . وأرسل خليفته الامام السيد المهدى رضى الله عنه بخبر الوفاة إلى وكلائه فى مختلف الأقطار . وفيما يلى نثبت صورة لأحد الكتب . فقال بعد البسملة وحمد الله . « انه من عبد ربه سبحانه محمد المهدى بن السيد محمد بن على السنوسى الخطابى الحسنى الأدريسى . إلى الأجلاء الأبرار الأصفياء الأخيار اخينا السيد محمد بن ابراهيم الغمارى وأخينا إسماعيل بن رمضان . وأخينا وهبه . وكافة اخواننا أهل مكة

سلامهم الله آمين . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ومرضاته وبعد ، فقد وصلتنا كتبكم التى أرسلت باسم الوالد رحمه الله تعالى وسقى ثراه وأكرم نزله ومثواه . وكنا قبل هذا أرسلنا إليكم كتبنا وأخبرناكم فيها بما قدره الله وقضاه وأبرمه فى أزله وأمضاه . ونسأله تعالى أن يجعلنا من عباده الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . واستطرد الامام رضى الله عنه فى رسالته هذه إلى أن قال : كونوا على ما كنتم عليه من الدلالة على الله تعالى بالحال وبالمقال وصابروا ورابطوا وتواصوا بالصبر واذكروا عباد الله فيه وجاهدوا فى الله حق جهاده . وكونوا يداً واحدة على من سواكم . وفى الله اخوانا وعلى البر والتقوى أعوانا : ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

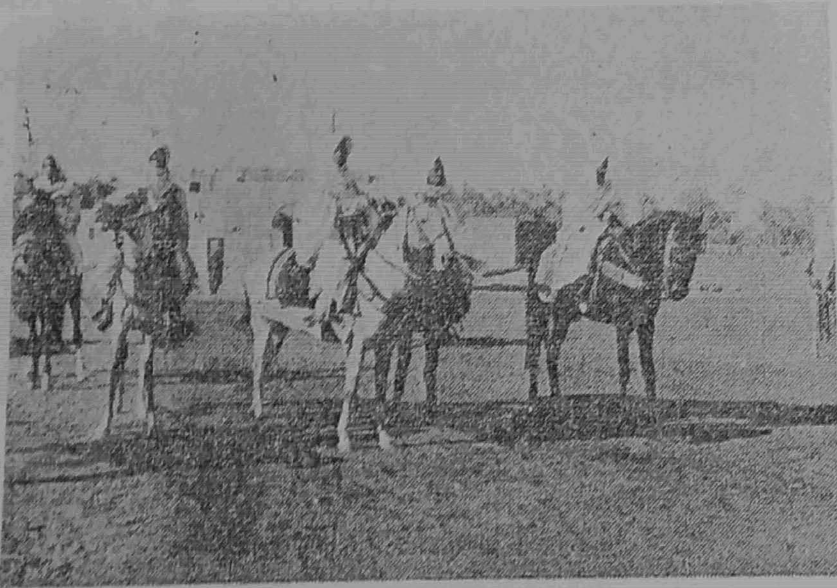
وسلموا منا على كافة الإخوان والمحبين من أهل مكة والمعابد والوادى والطائف وغيرهم .

غرة شعبان سنة ١٢٧٦ هـ .　　　« الختم الشريف »

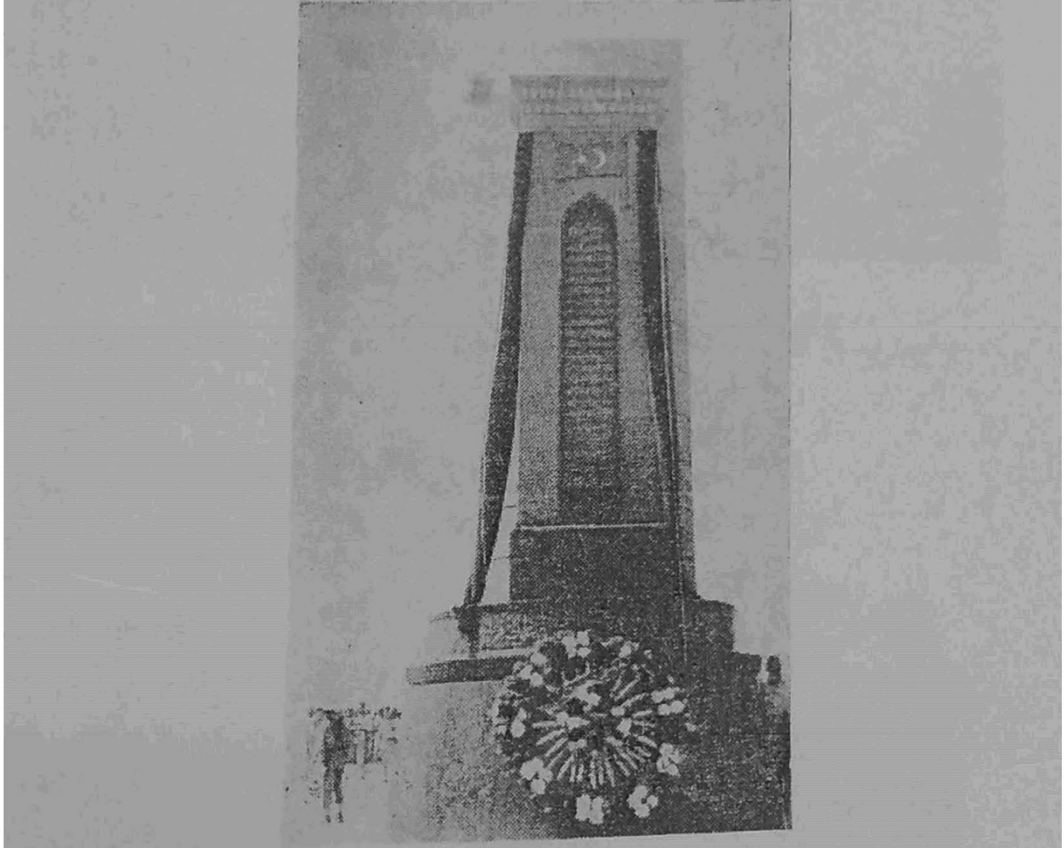
وفيما يلى نثبت بعضا من نص الكلمة التى ألقاها العلامة الجليل السيد عمران ابن بركه الفيتورى . مؤبنا بها أمامه العظيم بعد أن أقيمت صلاة الجنازة على روحه الطاهرة . فقال بعد البسملة وحمد الله . أما بعد ، فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى . وخير الهدى هدى سيدنا محمد . وشر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . حمدا لمن قضى على جميع العباد بالموت وسدد سهمه للإصابة فى جميع الوقوت فلا محيص على سالوك سبيله ولا مناص . ولا محيد عن الوقوع فيه ولا خلاص . فلم ينج منه أمير ولا وزير . ولا غنى ولا فقير . ولا شريف ولا وضيع . ولا دنى ولا رفيع وحكم بذلك على سائر رسله وأنبيائه . وأهل حضرته من أصفائه وأوليائه . وعلى الموت نفسه بعد نفاذ المقادير بالموت فلا محيد عنه ولا مفر . وصلاة وسلاما دائمين متلازمين مصحوبين بأهداء كامل الرحمة فى كل وقت وحين إلى قطب دائرة الأنس وترجمان حضرة القدس محمد المحمود فى رياض تلك الحضرات .



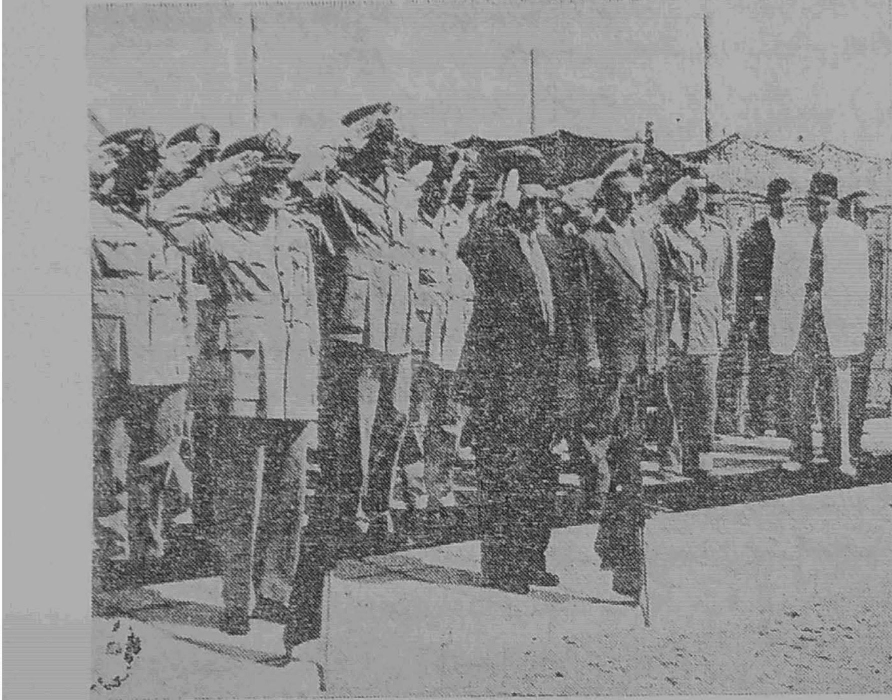
إحدى مناظر فريق من الجيش الليبي . (من مآثر الحركة السنوسية)



منظر من مناظر الفرسان الليبيين



النصب التذكارى للجيش السنوسى « اللبنة الأولى للجيش الليبى » وقد أقيم بالكيلو ٩ منطقة الهرم على الطريق الصحراوى – مصر الأسكندرية – « إنه مأثرة من مآثر الحركة السنوسية »



من مناظر الاحتفال بإزاحة الستار عن النصب التذكاري للجيش السنوسي « اللبنة الأولى للجيش الليبي » ويرى اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان حرب الجيش المصري نائبا عن رئيس الجمهورية المصرية الرئيس جمال عبد الناصر والسيد على جعوده وزير الدفاع الليبي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على الهادي الكريم

المحترم الفاضل خالنا السيد محمد الطيب بن ادريس الأشهب دام توفيقه وهناؤه آمين

بعد أهداء أزكى عاطر السلام عسى أن تكونوا بخير وهناء على الدوام وصلتني رسالتكم المؤرخة ٢٧/٦/١٩٥٦

وفيها طلبتم أن نزودكم بما لدينا من وثائق ومستندات تاريخية لا سيما إذا كان من بينها ما هو

بخط الأستاذ الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي أو أحد نجليه الامام السيد محمد المهدي والسيد محمد الشريف

رضي الله عنهم جميعاً ونظراً للاستعجال وعدم تحرير النوع المطلوب فإنني أرسل اليكم بالوثائق التالية

٤ عدد وثائق بخط الأستاذ الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي رضي الله عنه

٢ وثائق بخط الامام السيد محمد المهدي رضي الله عنه

١ مجموعة من الورق كراسين بخط السيد الوالد رحمه الله تحتوي على معلومات متنوعة

١ رسالة بخط السيد محمد بن ابراهيم الغماري رحمه الله

١ رسالة بخط العلامة السيد عبد الله التواتي رحمه الله

١ نبذة من كتاب الأستاذ الأكبر المسمى «المنثور الذهب في محض محقق خالص أصول المذهب»

نقلتها عن خط العلامة السيد فالح الظاهري رحمه الله

١ نبذة من الكتاب المسمى «الرياض الزاهرة بذكر أهل المقامات والأعمال الزاخرة» وهو كتاب

يبحث في ترجمة سيدي عبد الله بن خطاب وقد نقلته عن خط الأستاذ الأكبر رضي الله عنه

١ نبذة عن الجغبوب لسيدي ومولاي الامام السيد محمد المهدي رضي الله عنه هذا ما تمكنت من العثور

عليه أرسله لكم ولا تحتاجون التأكيد بالمحافظة عليه وإعادته لي بعد الفراغ منه ولولا روعة وجلال

المناسبة التي دعتكم لتأليف كتابكم «السنوسي الكبير» لما تساهلت في اعطاء هذه الوثائق

التي أعتز بها وهي تعتبر كل ما بقي لدي من نوعها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٤ القعدة ١٣٧٥ أحمد بن ادريس بن علي الشريف السنوسي



٢/٧/١٩٥٦

المرفقات التي وصلتنا مع هذا الكتاب الذي نثبت هذه الصورة من أصله هي من المراجع التاريخية التي اعتمدناها

المبعوث بأوصاف الكمالات وعلى آله الأخيار وأصحابه الأطهار ، وبعد :
لما من الله تعالى على هذا القرن الثالث عشر ، الذى هو من أشر القرون الموعود بشدة الفساد والجهل والفتون ، حتى تعوذ منه السلف الصالح أن يدركوه مع ما كان لديهم من العلم وأسباب النجاة .

. . . .

. . . .

(سقطت بعض الجمل من الورقة القديمة البالية ، فلم نستطع قراءتها ، ولذلك تركنا محلها بياضا) . إلى أن قال بدلالة قوله عليه الصلاة والسلام ، اهل بيتى كسفينة نوح من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ألا هو حافظ العصر وقطبه وخلاصة الدهر وفخره ، شيخ الإسلام ، وخاتمة الأعلام ؛ عين الوجود المتبرك به شرقا وغربا ، والمتخذ حبه وسيلة وقربا ، ذو المناقب الفخيمة التى تعجز عن حملها الدفاتر ، ويقصر عن ضبطها كل ينبغ ماهر ، معي الزمان على الاتيان بمثله وحنث الحالفين بظهور شبهه .

حلف الزمان ليأتين بمثله   حنثت يمينك يازمان فكفر

أستاذنا الأعظم وملاذنا الأفخم ، وولى نعمتنا الأكرم ، أبو المكارم ، فيض الفتح القدوس ، سيدى ومولاى السيد محمد بن على السنوسى رضى الله عنه وأرضاه ؛ وجعلنا ممن أحبه ووالاه ، فحيث سبقت له من الله السعادة ، وخص من بين أقرانه بالفضل والسيادة ، وتوج بتاج المجد والمهابة ، وأسرى به لسماء العرفان ، وأعطى الإذن الجازم فى إرشاد الأنام ، وأخذ منه العهد والميثاق فى ذلك ، وخاف على نفسه إصابة الفتنة إن لم يسلك تلك المسالك ؛ فلم يسعه إلا المبادرة لأمر الحكيم العليم ، قال عز من قائل :

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .
فقام رضى الله عنه مشمرا عن ساق الجهد لتبليغ ماهو إليه ، وليعلم العباد من

علوم ماالديه وإيقاظهم من الغفلات ، وإنقاذهم من الجفر النارية والغلطات ، إلى سبيل السلامة والخيرات ، فارتكب الأخطار ، وكابد مشاق الأسفار ، لأجل إصلاح العباد ، وتوجيهم إلى طرق السداد ، والرشاد ، فلم يركن لما فيه راحته وهناه ، إيثارا لهوى مولاه على هواه ، فصار يجدد معالم الدين ، ويحيى مآثر سيد المرسلين ، حيث ماحل حتى كأنه فى تعمير البقاع والقفار الخالية ودق إذ هطل . فكفل رضى الله عنه الملة الأسلامية يتمها . ونشر الحنيفية السمحاء بعد انطوائها . فتجددت بحمد الله . الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية بعد إنطماس آثارها وخبؤ أنوارها . فى جميع الأقطار وطلعت شمس هديه فى سماء العقول فانجلت الأغيار . وشاع ذكره فى الآفاق شيوع شمس رائعة النهار . وخلف فى سائر الأقطار لاسيما الحرمين الشريفين وغيرهما من القرى والمدن والأمصار . من ينوب فى إيصال الخير إلى أمة المختار . بتعليم الكتاب والسنن والآثار . فلما نجز الأمر الموعود . ونفذ الأجل المحدود . ونزل به رسول سيده ومولاه . وعلم أن لابد من الأجابة للقاه . آوى إلى كهف الإمتثال للأمر — إلى أن قال المؤبن — وأوصى جميع مريديه وآله . وكل من تعلق بأذياله . فى العمل بكتاب الله وسنة رسوله . فى الجليل والحقير والكبير والصغير والقليل والكثير . والمثابرة على التقوى والديانة والمداومة على العبادة والمروءة والصيانة . والإخلاص فى كل الأعمال والتباعد عن إتباع الهوى وسيىء الخصال قائلا رضى الله عنه لاشىء أوصيكم به غير ذلك فهو عين مطلبى ومأربى . ولم أزل عليه فى يومى وأمسى وإلى حلول رمسى . متمثلا لسان حاله بقول الشاعر :

أهيم بسعدى ما حييت وإن مت أوكل بسعدى من يهيم بها بعدى

واستطرد المؤبن إلى أن قال :

. . . . فاسلم الروح راضيا مرضيا عنه بجريان الأقدار .

سابحا فى بحار الرضى فى كل جزء من أجزاء الليل وأطراف النهار . متلذذا بذلك غائبا عن الشعور بالآلام هنالك متمثلا بقول الآخر :

يامن يبشرنى بيوم لقائى　　أعطيه من فرط السرور ردائى

. . . . جزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً .

اللهم روح روحه وقدس سره ونور ضريحه . وطيب مضجعه وأعلى درجاته وضاعف حسناته وكثر مثوبته . اللهم أفض عليه من سماء لطفك وبرك وجودك وكرمك وإنعامك ومنك وإحسانك وافتح له أبواب جنانك وحظائر قدسك وزوايا أنسك . مع الذين أنعمت عليهم من النبئين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم أجعل تأييد الدين وتمامه على لسان ويد نجله الطاهر . وفرعه الزاهر . ووارثه الباهر ، سيدى ومولاى السيد محمد المهدى وضوه المنيف سيدى ومولاى السيد محمد الشريف . واجبر بهما صدع الدين وأصلح بهما أفئدة الأتباع والمريدين . إنك ولى ذلك والقادر عليه .

وفيما يلى نثبت القصيدة التى كان العلامة السيد عبد الرحيم المحبوب يبكى بها أمامه العظيم .

مابال عينك لابالنوم تكتحل　　ودمعها لا يزال اليوم ينهمل

كانها سمات بالشوك أو كحلت　　من الغضى بشواظ كان يشتعل

تخالها مزنة قد لاح بارقها　　فاخضل الأرض منهاصيب هطل

والوجه أسفع والأعضاء ناحلة　　والقلب فى شرك الاحزان مختبل

والجنب اذ تدعه حال لمضطجع　　كان الوطأ له السعدان والاسل

تئن فى لجج الأحلاك من نكد　　منه ترى راحة أن يحضر الاجل

أمن تذكر أوزارا سفت لما　　اوزار بالطيف من تهوى ولم يصل

ام ذا لفقد حبيب كنت تألفه ... وازورد هرك ام قد خانك الأمل؟
يالهف نفسي على من كان مسكنهم ... قلبي وهم ان مضه اسفر به مهل
كانوا الغياث للمهوف ومتجعا ... للمجدين إذا ما مسهم محل
شدوا الرحال ولم يستأذنوا أحدا ... وضل شوقاً لهم يبكيهم الطلل
تبكيهم (السنة) الغراء من عصر ... ما أن بمثلهم قد مسها ثكل
يبكيهم ماحوى (كشف الظنون) وما ... يروى (الجوامع) مع ماسار والمثل
مع ماروى (حجة الاسلام) من حكم ... وأعلن (الشيخ) من رمزله قفل
من (للصحاح) و(شمس العلم) بعدهموا ... أو (للشفاء) و (للقاموس) يحتفل
من (للجلالين) و(الكشاف) ينقذه ... (البحر) و(النهر) و(الانوار) ينتخل
من (للشفاءات) و(المنهاج) يوضحها ... أو (للفتوحات) و(الاسرار) ينتقل
من (للزياريج) و(الازياج) مصممة ... أو (للجفور) وقد أضحى بها ثكل
من (للعلوم) على أقصى تنوعها ... من (للحلوم) إذا أشفت بها العلل
من (المكارم) و(الآثار) يؤثرها ... عن الجدود الألى سارت بهم مثل
والغور والنجد من أرض الحجاز وما ... ضاهى (قبيساً) بها من فقدهم عطل
قد كان مقتبس الأنوار يقصده ... من لا بتيه فتى فضل ومكتهل
ماشام برقى به جاها لمكرمة ... إلا إنثنى وعلى أنهـــاله علل
فلتبك (أم القرى) جهراً وتندبهم ... تلك المشاعر بل الله تبتهل
لما عرى الدين من أثلم ومن ظلم ... عندالكسوف بدا من أن بها قبل
كسوف شمس الضحى في العصر واحدة ... مجدد الدين وهو العارف البطل
(محمد بن على) من بطلعته ... زهت سعود بها لم يبدون زحل
ماللبلابل بالابكار سامرة ... خرساً وكم كان أياما لها زجل
ماللربوع لقد ضلت مرابعها ... تيهاء مضلمة أعيت بها السبل
وادى (الجغابيب) كم تاهت ربابك على ... خضر الرياض وكم قد حفها جذل
وعطرت بشذاها الجو باسمة ... أزهارها وجناها العلم والعمل
وأشرقت بسنا الأنوار مائدة ... طوع النسيم حكاها الشارب الثمل

وجدت العيس والنجب الجياد غدت — إليك شاحبة ماشابها ملـــل
وكم دعى الشوق أقوام وهاجهم — شجوا لذكرك لم ترقأ لهم مقل
بالوفود وللزوار قد بلغوا — منك المنى بعدما حلوا وقد رحلوا
بدلت من بعد ذاك الأنس موحشة — واغبر من حافتيك السهل والجبل
لكن ليهنك ان ضمتك متربة — منك الحمى غائر منها له أهل
فته فخرا ولا تخشى الملام فقد — تحظى المنازل طورا بالألى نزلوا
فما الركون لدهر صفوه كدر — والوصل هجر وان آل له دخل
فجعت يا بين البابا مرزاة — وقد صدعت الرواسى فهل تنخذل
ما الرزء إلا بمن من رزاه نضبت — قرائح وعراها النقص والخلل
وأظلم البدر اشعاراً بأن له — منه اقتباس ومن فقدانه وجل
وأمست الشهب من جلى الذى علمت — من بينه وعلى أذنابها شعل
شاب العذار من الإسلام وانفصمت — عرى السلام وشب الجزر والخطل
لولا إقتداء بأسلاف على ثقة — هم الاساة لنا ما الجرح يندمل
لاريب ما العمر إلا فسحة وإذا — يدعى المنون وحا اليقظان والوهل
فالصبر أولى وعند الله محتسب — أن المصائب أن تعظم لها بدل
توارت الشمس عن عين الحسود بها — أوذاك رفق ببدر ناله خجل
وذاك عام (شروع) الخطب قلت إذن — مابال عينك لا بالنوم تكتحل

خليفة الامام الأكبر :

مما لاشك فيه أن تاريخ وسيرة الإمام «الثانى» السيد محمد المهدى السنوسى رضى الله عنه هى امتداد لتاريخ وسيرة والده الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى عليه رضوان الله ، وبما أن تاريخ الإمامين كل لا يتجزأ فكلما أخذ الإنسان يتحدث عن أحدهما يجره الحديث إلى الآخر ، وقد حاولنا أن نفرد فصلا بكتابنا هـذا ، ولو لم يكن إلا نبذة يسيرة عن السيد المهدى الذى سبق أن أصدرنا كتابنا عنه «المهدى السنوسى» وطبعناه فى مدينة طرابلس العاصمة الغربية للمملكة الليبية المتحدة سنة ١٩٥٢ م وكان الحديث بكتابنا المذكور يجر — طبيعياً — إلى التحدث عن الإمام الأكبر.

وإتماماً للفائدة المرجوة فإننا نذكر النبذة التالية وإن كانت مقتضبة .

ولد الإمام «الثانى» السيد محمد المهدى بن السيد محمد بن السنوسى ليلة الأربعاء غرة ذى القعدة سنة ١٢٦٠ هـ حوالى ١٨٤٤ م فى الزاوية البيضاء ، وقد أسماه والده (المهدى) قائلا : أسميناه المهدى ليحوز إن شاء الله أنواع الهداية ، ونرجو الله أن يجعله هادياً مهدياً) وبعدأن أتم السنة السادسة من عمره أدخله والده المدرسة القرآنية تحت إشراف العلامة الكبير السيد عمران بن بركة الفيتورى ، وفى منتصف السنة السابعه من عمره — وكان قد أشرف على جمع القرآن الكريم حفظاً — أمر والده الموجود يومذاك بالحجاز بأن يلتحق به هناك فسافر بحراً عن طريق (خانية) فالاسكندرية فجدة — وكان يصحبه السيد الفاضل محمد بن إبراهيم الغمارى ، وهناك عهد به والده إلى نخبة من أعلام الأخوان لتربيته الدينية وتلقينه مختلف العلوم تحت إشرافه المباشر ، وفى سنة ١٢٧٤ وصل السيد المهـدى إلى الجغبوب مصحوباً بالعلامة الجليل السيد عبدالرحيم بن أحمد المحبوب ، واستمر السيد المهدى هناك يواصل تعليمه العالى تحت إشراف وتوجيه والده العظيم

على أيدى كبار الأخوان ، منهم العلامة المربى السيد عمران بن بركه والعلامة الفاضل سيدى أحمد عبد القادر الريفى ، وكان السيد المهدى قد استوى عقلا ونضوجاً وأدباً وأخلاقاً ، وأخذ والده يعده للمستقبل ، ويهيئه ليسلمه أعباء الحركة السنوسية التى رست قواعدها على أمتن الأسس .

كان الإمام الأكبر رضى الله عنه شديد العناية بتتبع حركات وأقوال وأفعال فلذة كبده ، وكان دقيقاً فى هذا التتبع بحيث لاتفوته كبيرة ولاصغيرة مما يحرص عليه ، ومن الأشياء التى افتت نظر الإمام الأكبر – وهى كثيرة – ونالت أعجابه ، الحادثة التالية ، جىء للسيد المهدى فى إحدى المناسبات بجواد مسروج ليركبه ، وكان السيد المهــــدى لا يزال صغيراً بحيث أنه لايستطيع وضع رجله بدون واسطة فى ركاب السرج ، وتقدمأحد الأخوان مطأطئا ليصعد السيد المهدى على كتفيه حتى تصل رجله الركاب ، وكانالإمام الأكبر يلاحظ هذه الحركات وينظر إليها بإهتمام من طرف خفى ، ورفض السيد المهــــدى أن تطأ رجله كتفى الشخص الذم تقدم لمعاونته رفضاً باتاً ، وأخذ يقود جواده بنفسه إلى أن اقترب من حجرعال مثبت بالأرض فعلاه وبذلك تمكن من أن يصل رجله إلى ركاب السرج فنال تصرفه هذا إعجاب وإستحسان والده والأخوان الحاضرين . وقد اطلعت على هــذه الحادثة مسجلة بقلم نجله الكريم ووارث سره وأخلاقه العظيم السيد محمد إدريس المهدى السنوسى ، ملك المملكة الليبية المتحدة ، وكان تسجيلها منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وقد أطلعت أيضاً على مجموعة مخطوطة من المعلومات الدقيقة المتنوعة يحتفظ بها السيد أحمد بن إدريس عابد السنوسى ، ومنها ماخطه بيمينه العلامة الجليل السيد أحمد عبد القادر الريفى ، ومنها ما هو بخط العلامة السيد محمد بن الحسن البكرى ، ومنها ما كتب بيد العلامة السيد أحمد بن إدريس الأشهب ، وبعضها بخط المرحوم سيادة السيد محمد عابد الشريف السنوسى ، وأحببت أن أنقل منها ما تمكنت من نقله : قال السيد محمد بن الحسن

البسكرى — هو من أكثر الأخوان قرباً والتصاقاً بالإمام الأكبر ، ثم بنجله الإمام الثانى ، وكان بمثابة السكرتير الخاص وأمين السر ، ويعتبره كبار الإخوان بأنه أوثق راوية للشفهيات — أن الإمام الأكبر قال لنا ضمن حديث منه ، لنا أربع سنين ونحن عائشون فى أيام المهـــدى ، وأما أيامنا فإنها خلصت ، وروت (أمنا الكبيرة) والدة السيد المهدى قائلة : إن الإمام الأكبر قال لها ذات مرة : ألا تدرين ولدك هذا من هو ؟ قالت : قلت لا . فقال : هذا هو الذى سيحيى به الله الدين ، وكان حديث الإمام الأكبر هذا فى الزاوية البيضاء ، ومعنى ذلك أن السيد المهدى يومذاك لم يتجاوز السنة الثانية من عمره لأن ولادته كانت سنة ١٢٦٠ والامام الأكبر غادر البيضاء سنة ١٢٦٢ ولم يعد لها أما (أمنا الكبيرة) فقد روت هذه الحكاية أكثر من مرة فى الحجاز قبل أن يصل أبنها السيد المهدى للجغبوب ، وبالطبع قبل وفاة زوجها الامام الأكبر .

ونقل عن السيد الفاضل عمر الفضيل رحمه الله - وهو من كبار مرافق الإمام الأكبر والمتصلين به — قوله : جاء السيد المهدى بـ(لوحه) إلى والده الأستاذ الأكبر قدس الله سره يريد منه أن يبدأ له فيه (بالأفتتاح) فلما فرغ (الأستاذ الأكبر) من كتابته قال له : أشهد لنا بأننا خدمناك) ونظير هذه الحادثة حصلت كما يروى ذلك الأخوان ، وهو أن الإمام الأكبر تمكن ذات مرة من إصلاح نعل أبنه السيد المهدى وقال له أشهد نأننا خدمناك فخجل السيد المهدى وتبللت ملابسه بالعرق وحمر واجهه حياء حتى قيل أنه أصيب بنوع من الحمى .

وفى الجغبوب قام الإمام الأكبر رضى الله عنه بتقليد أبنه سيفا وأمره أن يصلى به المغرب فصلاه خلف ولده

كان الإمام الأكبر قد أصيب ذات مرة (بشوكة) تسربت إلى أحـــد أصابع يده الكريمة فلم يهتم بها فى الحال ، وتطور ألمه منها فطلب من الأخوان

أن يتقدم أحدهم لمحاولة إزالتها من يده فمنعهم الأدب والحياء والخوف من إيذائه فى حالة محاولة انتزاعها من يده المتألمة ، وتقدم السيد المهدى رضى الله عنه قائلا . أن الذى يعود على سيدى بالمنفعة لا أتأخر عنه ، وتناول يد والده الشريفة وأخذ يبحث عن الشوكة مدفوعاً بعاطفة الحب وهو الذى لا يستطيع التلفظ أو رفع العين فى حضرة والده من شدة الحياء والأدب وتبين له رأس الشوكة فالتقطها بظفريه الشريفتين ، وكان والده متوكئاً على مرفقيه ، يحاذى رأسه رأس ابنه ناظراً ماذا يصنع لمحاولة إخراج الشوكة بإعجاب وتتبع للحركات ، ولما تمكن السيد المهدى من انتزاعها تلفظ الإمام الأكبر بقوله « هه هه » واسرع السيد المهدى فى الخروج تاركاً (أمنا البسكرية) مع والده فقال لها عليه رضوان الله ، لما دخلت الشوكة فى يدى أضمرت فى نفسى أن لا يخرجها إلا من يكون على يده الفتح فكان هو هذا الولد ، وخاطب الإمام الأكبر ذات مرة زوجته أمنا البسكرية قائلا : نحن من جماعة المهدى ، فضحكت وقالت له : أهو من جماعتك وإلا أنت من جماعته ؟ فرد رضى الله عنه بقوله : نحن من جماعته رضى الله عنه) .

وذات مرة تحدث بعض الاخوان — وعندى لا يخرج هذا المتحدث عن أحد أثنين أو كليهما : السيد أحمد الريفى أو السيد محمد حسن البسكرى — إلى السيد المهدى عن مثل هذه الوقائع من أقوال الإمام الأكبر عن أبنه ، فكان جوابه : من الروايات ما يظهر العجز عن تأويله لقلة وصول الأفهام إلى تأويلها وأردف قائلا : أنه رضى الله عنه — يعنى والده — لا يزال يختبر العقول ويرفع الإنسان فوق قدره حتى يغالط فى نفسه) وقال السيد المهدى : كثيراً ما كنت أحرص على (تكبيس) رجلي سيدى الوالد حياء من مقابلته ، بالوجه ، رضى الله عنه ، وتحينت الفرصة مراراً وبمجرد ما يشعر بى يلتفت إلى بسرعة ويضم رجليه ويقول : تعالى هنا لليدين ، فتقول له أمنا البسكرية : قلت له ذلك فلم يجب .

هذا ما أمكن نقله الآن وهو قليل من كثير . وفى سنة ١٢٧٦ لحق الإمام الأكبر بالرفيق الأعلى تاركاً مهام الحركة السنوسية ، وإتمام الأصلاحات التى بدأها إلى خليفته وفلذة كبده الإمام « الثانى » مطمئن البال مرتاح الضمير لما سيقوم به هذا الخليفة من أداء للرسالة على أكمل الوجوه ، وقد تحققت نبوءة الإمام الأكبر كما تحققت آماله التى كان ينظر إليها بنظرة بعيدة ثاقبة ، فحمل خليفته كما هو معروف لواء النهضة الدينية والعلمية والإصلاحية والإنشائية ، وكان خير ممثل لمن أورثه هذا المقام الأجل ، وأخذ يواصل ما بدأه والده فملأ صيته الآفاق وطبق ذكره العالم الغربى والشرقى . واهتزت أوربا وبالخصوص فرنسا التى استولى عليها الرعب والفزع ، واختل توازن دار السلطنة العثمانية التى راعها تقدم الحركة السنوسية بقيادة البطل الثانى خليفة البطل الأول ، وانتشرت حركة الإصلاح والتعليم ، واستمر بناء المراكز الإصلاحية ، وقد توافد على كل من الجغبوب والكفرة عدد من رسل دار الخلافة ، ووجهت الدعوات للسيد المهدى أملا فى أنه يلبيها لزيارة دار الخلافة وفى سنة ١٣١٢ هـ تحول رضى الله عنه من الجغبوب إلى الكفرة فاضطربت أحوال المهتمين وتبلبلت أفكار الأوربيين وفى سنة ١٣١٧ هـ تحول من الكفرة الى زاوية قرو (تشاد) وهناك بالسودان اشتبكت قواته فى معارك طاحنة مع فرنسا المعتدية ، وفى يوم الأحد ٢٤ من صفر سنة ١٣٢٠ هـ الموافق ٢ يونيو ١٩٠٢ م قبضه الله راضيا مرضيا عنه ، وترك مهام الحركة وزمام الدعوة إلى أبنه الأكرم وخليفته الأعظم السيد محمد إدريس المهدى السنوسى ، ملك المملكة الليبية المتحدة ، حفظه الله ، فكان خير خلف لخير سلف وتوفق فى قيادة هذه الحركة الإسلامية الإصلاحية التحريرية بحكمة وعزيمة وبصدق وإخلاص وبأمانة ووفاء من نصر مبين إلى فوز مكين أعز الله به العرب والمسلمين وحفظه ذخراً لأمته وفخراً لبلاده .

بعض الرسائل التاريخية :

صورة الكتاب ... وجهه الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى إلى والى طرابلس المشير محمد أمين باشا ، قال رضى الله عنه بعد البسملة والديباجة :

أما بعد تحيات فواتحها مكية ، وتسليمات فوائحها مسكية . ودعوات أنفاسها قدسية ، وابتهالات أرواحها أنسية ، تغرس فى فردوس القبول ، وتسقى بسيول الرحمة فتثمر مختلف السؤل ....(١) ....
فقد أخذ الجبل الأخضر زخرفه وتزين ، ولاح السرور فى أسارير محياه وتبين ، وعطرت الأفق أزهاره وورده ، بما نفخ على تيجان أفنانها وروده من الأوراق التى نشرتها أيدى الشمال من روض المجد الوارق ممتطياً كأنها صبا المحبة ، تالية آى التحية والشوق فى ديار الأحبة ، فلما تخلقت الأرجاء بنشرها ، وأضاءت بما فى عنوانها من نور الشمس وبدرها قبل نشرها . امتلأت العيون بمطالعتها قرة ، وابتهجت القلوب بمضمونها مسرة ، وشكرنا الله على سلامة طلعتى الشبل والليث . وسألناه سبحانه توالى مدده على القطر بالغيث ، ثم إنا نحن وعصابة المهاجرين بحمد الله فى عافية ، نتنازع من نعم الله كأس نعيم صافية ، وما ذكرتم من كونكم ، إلى لقائنا بالأشواق وأخذكم من عهود الود بأشد وثاق ، فهذا محقق لدينا وواجب المكافأة علينا ويؤكده دوام اعتنائكم بنا وبأصحابنا وملاحظتكم لنا وشفقتكم علينا ، وتوصيتكم أتباعكم على ما يتعلق بمحلنا من خدمة وعمارة ، وغير ذلك مما لا يقدر على مكافأتكم عليه إلا الله سبحانه هذا مع بعد المسافة . واشتغالكم بمصالح الدولة العلية . وقيامكم بأعباء سياسة الرعية ، فإن هذه الزاوية وإن نسب إنشاؤها لمن قبلكم ، فإنما تمام أمرها واستمرار نظامها بشمول نظركم ، فأنتم لذلك منا

(١) فقدت بعض الكلمات فتركنا مكانها بياضاً .

بمرأى ومسمع ، ومذكورين من الحاضرين فى كل مجمع ، فإن العبرة بقرب الأرواح . وإن تباعدت الأشباح ، والإخوان والمهاجرون دائما لكم داعون وعند كل خير ذاكرون ولإحسان جنابكم شاكرون(١) . . . . وأما نحن فقد ألفنا ما اعتدناه ورضيت به نفوسنا ، فنريد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة ونفوس سكانها مستقرة ليحصل المقصود منها ويدوم من تعلم العلم وتعليمه وإقراء القرآن وتفهيمه . وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها وليكون ذلك كله فى صحائف أعمالكم مثقلة به كفات موازينكم . . . . . . (٢) . . . . . . ثم ما ذكرتم من توجيه النجل الناجب والنجم الثاقب إلى ولاية بنى غازى للقيام بمصالح الدولة السنية فنعم مافعلتم ونرجو أن يكون على قدمكم فى طرق السداد والرحمة للعباد ، فأوصوه بذلك . وادعوا له به فإن رضاء الحق فى رضائكم عليه . ونحن والإخوان عليه راضون وله راعون وبالسيرة الحسنة موصون . جعله الله وارث كمالكم بعد طول الأعمار . وجمع لكم بين عز هذه الدار وتلك الدار . هذا والثناء على جنابكم من الواردين وإن كان حسنا من المتحدث . . . . (٣) . . . . . فنوصيكم وأنفسنا بوصية الله سبحانه للنبيين والمرسلين الأولين والآخرين . « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » . وأن تتخلقوا بمحض الرحمة لعباد الله . قال العلى الشأن : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . وقال ذو الشمائل الحسنة : « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة » . الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء . والجزاء من جنس العمل . وإنما هى أعمالكم ترد عليكم وكما يدين الفتى يدان . نسأل الله سبحانه لنا ولكم وللمسلمين أن يؤتينا من لدنه رحمة ويهيىء لنا من أمرنا رشداً ويحل علينا رضوانه الأكبر الذى لا سخط بعده أبداً إنه جواد كريم . رؤوف رحيم وعلى جنابكم السلام وهو الختام .

---

(١) ، (٢) ، (٣) فقدت هذه الجمل فتركنا محلها بياضا .

وهذا نص رسالة وجهها الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى إلى حاكم إقليم فزان . فقال بعد البسملة والديباجة الأولى :

(ولدنا مصطفى باشا قائم مقام فزان حالا . أدام الله بقائه وزاده عزاً وإجلالا . وبعد إهداء تحيات عاطرة تليق بعزيز الجناب . ورفع أكف الضراعة مستمطراً واكف الإنعام وسوابغ الآلاء مدى الدهور والأحقاب أنه قد وصل مشرفكم الكريم . وحمدنا الله تعالى على ما أنتم عليه من الفضل الجسيم . وأسفر عن مكارمكم الفائقة (. . . . . . (١) . . . . .) باستنشاق ريا منكم الرائقة إنكم للفضل أهل ولأعمال الصالحات مأوى ومحل إذان مقاصدكم كلها صالحة . وفضائلكم لدى الخواص والعوام واضحة وقد أخبرنا ولدنا الشيخ أحمد بن أبى القاسم التواتى عن جميع خيراتكم تفصيلا . وتتابع ذلك منكم بكرة وأصيلا . زادكم الله عزاً ورفعة وجعلكم تحت كنفه فى عز دائم ومنعة . وأفاض عليكم من نوره الأسنى . وأمدكم من فيوضاته المباركة الحسنى فأبشر بحول الله وقوته بالعز الأبدى والفخر الدائم السرمدى وقد وجهنا ولدنا الشيخ محمد بن الشفيع يذكر عباد الله فى تلك الناحية . ويكون مقامه بزاوية (واو) حتى يرجع إليها الشيخ أحمد بن أبى القاسم التواتى لأن مرادنا أن يأتينا من هناك ببعض كتب غير موجودة فى خزانتنا ويرجع إن شاء الله عاجلا . وها نحن داعون لكم بصالح الدعوات فى الخلوات والجلوات وأوقات الإجابات وعلى الله القبول وهو المرجو منه والمأمول وسلام السلام يخصكم ويعم سائر اللائذين بجنابكم فى البدء والختام .

بتاريخ ٣ شوال سنة ١٢٧٣ هـ .

---

(١) فقدت هذه الجملة فتركنا مكانها بياضاً .

رسالة أخرى موجهة إلى مصطفى باشا حاكم فزان .

إنه من عبد ربه سبحانه محمد بن على السنوسى (يلاحظ أن هذه الجملة هى فى أول كل كتاب) .

إلى حضرة العمدة الكامل ، حاوى الفضل والفضائل وخلاصة أهل المكارم والفواضل صاحب الكرم والإحسان ، والفخر والعز والامتنان ولى نعمة ايالة فزان ولدنا مصطفى باشا ، بلغه الله تعالى من الخيرات ما يشاء السلام الأتم ورضوانه الشامل الأعم عليكم ورحمته وبركاته ومغفرته ومرضاته ، وبعد فقد أتانا الأعز كتابكم وقام عندنا مقامكم وفهمنا مافيه ذكرتم وتحققنا ما إليه أشرتم من البداية إلى النهاية أوصلكم الله إلى رضوانه الذى لا سخط بعده وإلى عزه الذى لا ذل بعده وإلى غنائه الذى لا فقر بعده (. . . . . (١) . . . . . ،) فأنتم إلى الخيرات ساعون وبالأمر بالمعروف تأمرون ولأمر الزوايا التى تحت إيالتكم واقفون خصوصاً فى الزاوية التى أعنتم عليها ووقفتم على أمورها وهى التى بوادى (واو) فأبشروا إن شاء الله بالخير الأبدى والسر الدائم السرمدى الذى لا يعتريه خسران ولا يحوم حوله حرمان ، وقد أخبرنا الشيخ أحمد ابن أبى القاسم التواتى بما عملتم ، وما فى الزاوية صنعتم جزاكم الله تعالى خير الجزاء وأزال عنكم ما كان هما وضيراً آمين . والزاوية فى الحقيقة إنما هى بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده . وقد قال الله تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) والمتسبب فى الخير والدال عليه كالمباشر ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدال على الخير كفاعله ، وفاعله فى الجنة) . وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم (من بنى مسجداً لله ولو مفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة) والزاوية إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر بها البلاد ويحصل بها النفع لأهل الحاضرة والباد ، لأنها ما أسست إلا لقراءة القرآن ،

---

(١) فقدت هذه الجملة فتركنا مكانها بياضا .

ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان ، ولا تحتاجون التوصية على الزوايا التى تحت إيالتكم مثل زاوية (مرزق) وزاوية (سوكنه) وخصوصاً زاوية (واو) وأولادنا الإخوان الذين هم هناك مثل ولدنا الشيخ أحمد بن أبى القاسم التواتى ومن معه : وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والمرجو منه سبحانه وتعالى أن تكونوا ممن قال فيهم (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) جعلكم الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونلتم ما ناله الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا زلتم عندنا مذكورين وبعين العناية ملحوظين هادئين دالين على الخير وبه عاملين بجاه سيد الأولين والآخرين . هذا وسلام منا على كافة الإخوان والمحبين والسلام .

وهذا نص رسالة أخرى موجهة منه رضى الله عنه إلى حاكم بنغازى محمد صالح باشا .

عزيزنا الأجل الأفخم محمد باشا صالح لازال نظره إلى سديد كل خير طامح . أما بعد فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى ورضوانه ، لقد تعين علينا فى هذا التاريخ اعلام جنابكم (. . . . (١) . . .) فلما حان سفرنا وجب علينا أن نرد الأشياء إلى محلها والأمانات لأهلها ، وذلك أن هذه الزاوية التى حدثت بهمة حضرتكم ومنة جناب والدكم ، لازلتما سبباً لأنشاء معالم الدين ، بإقامة مصالح عامة المسلمين بالمصارف والأوامر ووصايا الأتباع وهذا من أكبر البشائر بالإيمان بلا اشتباه (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) ، والفوز بأعلى الغرف (. . . (٢) . . . .) لقوله صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً فى الجنة ، وما كفاكم حتى سعيتم لها فى أكبر القربات من الجمعة والجماعة ومجامع الخيرات ، وحيث كانت العبرة فى جميع الأمور بحصول القصد ودوام المراد ، وعدم انقطاع

(١) فقدت هذه الجملة فتركت أمكنتها ياضى .

(. . . . (١) . . . .) من نفع العباد ، رتبنا لكل واحدة خليفة يقوم فيها بما ذكر من الجمعة ، وتعليم القرآن ، ودرس العلم ، ودلالة الخلق على دينهم ، وعودتهم إلى ربهم ، والآن شرعنا فى تقديم إخواننا وأثقالنا على التدريج ، ونحن إن شاء الله فى الوسط أو الآخر حسب التيسير ، وكل من الزوايا حوله عربان وعلم جنابكم محيط بأحوالهم وتعدى بعضهم على بعض فضلا عن غيرهم (. . (٢) . .) بالزوايا ويتعرضون لهم بأنواع الأذى وقد سبق من جنابكم وجناب الأكرم الوالد حمى حرمها وصيانة حرمها (. . (٣) . .) وإذا تأكد وشاع عن سفرنا ماهو الواقع من انتسابها لجنابكم ، وعلم الجميع بذلك بعزيز خطابكم لايستباح لها حصن ، ولا تخفر لها ذمة وتصير حرما آمنا من آوى اليه نجا ومن تعرض لمحتم بها استوجب من عدلكم مالايجد منه مخرجا فأنبنا حضرتكم السنية بخفارة هذه (البنية) وبناء على ماذكر لما قدم علينا غلامكم الأسعد ولدنا العزيز أمين أفندى قائماً بالخدم الميرية والمصالح السياسية ، ونعلم أن أعظم خدمة يدخل بها على جنابكم السرور ويستوجب من مواهبكم الحبور هو مايتعلق بأمر الدين ويعود نفعه على عامة المسلمين . (. . . . (٤) . . . .) خاطبناه أن يجعل هذا من أوكد خدمته فى جنابكم وأقرب مقرب له من أعتابكم فيخاطب من حول الزوايا من العربان بتجديد ماسبق منكم من حمى حرمها وحفظ ذممها المؤيد بالمراسيم الشريفة والخطوط المنيفة ، وبذلك تبتهج الأرض وما حولها بأنواع الأشجار ويكثر بها السكان لكثرة الثمار ، وتنتشر العمارة ، وتتسع الإدارة ، فان رأيتم ذلك حسناً فلا بأس من أمر غلامكم المرقوم بالاجتهاد فيما ذكر وإلا الرأى لجنابكم فى الوجه الذى يحصل به المقصود ، فان تدبير الملوك ملوك التدبير والسلام)

ونثبت هنا صورة لرسالة بعث بها الأمام الأكبر إلى الشيخ إبراهيم الرشيدى أثناء جدل وقع حول تفسير آية من كتاب الله هى قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى »

---

(١) (٢) (٣) (٤) فقدت هذه الجمل فتركت أمكنتها بياض .

وكان الإخوان قد اتهموا كلا من الشيخ إبراهيم الرشيدى والشيخ على عبد الحق الصعيدى بارتكاب خطـأ فاحش حول تفسير تلك الآية ، وعلى ما يظهر كان كل من الأثنين المذكورين يحاول إلصاق الخطأ بصاحبه ، وكانت توجد بالمكتبات السنوسية مجموعة لصور تلك الرسائل المتبادلة نظما ونثراً ، ومن بينها رسالة تحمل قصيدة من الشيخ على عبد الحق القوصى الصعيدى يبدى فيها اعتذاره وتراجعه ، ويستعطف رضاء الأمام الأكبر ، وكنت شخصياً قد وقفت على تلك القصيدة المفقودة الآن والتى لا أذكر منها إلا قوله فى أحد أبياتها :

ياسادتى فى كل فن دخيلكم من المحن
ولاتقولوا قد لحن . . . .)

ومن بيت آخر قوله :

وإنما أمر مضى وطالب منكم رضا
وكل شىء بقضا وانى لله تائب

لم نعثر الآن على أى شىء من تلك الرسائل التى كانت محفوظة سوى هذه التى ننقلها :

(أعلم يا أخى أن الدين بالمناصحة والأخذ بيد كل ضال ، وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال الدين النصيحة ، ونحن أخى تبلغنا عنكم من الأمور غير اللائقة فنسترها بجلابيب الستر وحسن الظن ، إلا أن بعضها من قواصم الظهور ، فمنها مادة الأخ أحمد سحبان ، إنكم تعلمون أن مادة الخصام ليست من دأبنا ، وقد علمتم أن شأننا هو أمتثال قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الجدال وهو مبطل بنى الله له بيتاً فى الجنة ، ومن تركه وهو محق بنى الله له بيتاً فى وسطها ، ومن حسن خلقه بنى الله له بيتاً فى أعلاها . هذا: وشأن أهل الله أن يكونوا أرضاً لمن سواهم يحملون من الأذى حملها ، وينتجون خيرها ، وقد قال فحول هذه الطائفة : طريقتنا هذه لاتصلح إلا لقوم كنست

بأرواحهم المزابل ، وقال الجنيدى عطل ذلى ذل اليهود ، وقال أمام الطريقة وترجمان الحقيقة سيدى أبو الحسن الشاذلى أن المريد إذا جادل وأجاب عن نفسه هو والأرض سواء ، وقصة أبى بكر الصديق رضى الله عنه مع الذى كان يسبه بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم مشهورة ، فأين أنتم من هؤلاء ، وهذا كله فى الأمور الدينية ، وأما الخوض والجدال فى الأمور الإعتقادية فهو الطامة الكبرى والداهية الغبرى . كيف ؟ والأنبياء عند أهل الحق قاطبة معصومون قبل النبوءة وبعدها . أما قبلها فإنه لاحكم قبل الشرع ولا مشرع لأمرهم سواهم ، وأما بعدها فللأمر باتباعهم فى الحقير والجليل ، ولا يمكن صدور المخالفة منهم إذ ذاك ، إذ لو صدرت لأمرنا باتباعهم فيها والله لايأمر بها ، قال : أن الله لايأمر بالفحشاء وهذه الأمور معروفة لغالب الناس فهلا قلتم ثبتت العصمة للانبياء ، وثبت فى الكتاب مثل تلك الآية المتنازع فيها وجب الإيمان بها كما يعلم الله ، ونزهتم صفيه بمالا يليق بمنصبه كسائر المتشابهات ، وقد سمع جماعة من الإخوان عن الأستاذ رضى الله عنه (أظنه يقصد السيد أحمد بن إدريس) مثل ذلك فى خصوص تلك الآية هلا قلتم بما قال ؟ أو كففتم عن الجدال فإن لم تنهجوا منهج السلف وأبيتم إلا الخلف فهلا راجعتم كتب أئمة الدين الجهابذة المحققين أمثال شروح الموقف والمقاصد والطوالع والشامل للعضد ، والتفتزانى والبيضاوى وابن عرفة ؛ وقد حقق العلامة التونسى فى حاشية شرح الكبرى للسنوسى تلك المسألة بما لا مزيد عليه ، على أنكم فى غنى عن ذلك كله لو تحققتم بأوصاف العبودية لمدتم بعلوم إلهية ، فى الحكم تحقق بأوصاف عبوديتك يمدك بأوصف ربوبيته ، ولا زلت موصوفاً عندنا بالعقل والافادة والحلم والإنابة حتى صدر منك ما صدر ولكن :

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وقد لام الإخوان الأخ على بن عبد الحق بعد وصوله لنا على ذلك غاية

اللوم وإلى الآن نقوتاً عندهم قاطبة ، ولا حجة له فى ذلك إلا الاعتذار بكم قائلا : إنى لا أقدر على مخالفة أخينا إبراهيم فى الحقير والجليل ، وما صنعت شيئا إلا بأمره فربما صدقوه فى ذلك لفهمهم إن كل ماصدر منه عن إشارتكم ولو أشرتم إليه بالكف أدنى أشارة لكف على أنه صرح لكم بالوجل منا فعمدتموه على أن ذلك عين مرادنا فليت شعرى من أين علمتم ذلك ، كلا وحاشا ، بل إنما عمدناكم على الدعاء إلى الله تعالى والتذكير بأيامه ، وتحذير الإخوان كل الحذر من الخوض فيما لا يعنى لا سيما التظاهر بالدعاوى ، وعلى أن تكونوا على الصراط المستقيم ، والنهج القويم وتعاملوا كل أحد بما يقتضيه حال أهل الله ، وليكن مطمح نظرك وهجير مهجتك ذكر الله . ومنها إنتاكررنا لكم الكتب فى مجيئكم إلينا وليس لنا إلا أمران : أحدهما عنايتنا بكم لما كان يظهر منكم من الشوق إلى ذلك بما فوق الغاية ، وكم جاءتنا منكم فى ذلك من شفاعة فى اللحوق بنا مع أغلب الوافدين إلينا والمصاحبين لنا فتخلفكم بعد تكرار الأمر يقتضى عدم صحة ذلك وأنه صورى فقط ، ثانيهما إزاحة ما عساه أن يكون كامناً فى النفس من الدسائس الخفية والتسولات الردية لمكان الرضا عنها والأطمئنان لها فربما كشف حجابها (. . . .) إيجابها فاستوطنت معانى الربوبية وقلت حلى العبودية فتجلت فى علو كبريائها غير متحاشية فى بعض أنبائها أن تقول سبحانى ما أعظم شأنى ؛ والكتاب لا يفى بتفاصيل مواقع الخطاب فلا بد من المواجهة فأسرع ما أستطعت تاركاً تلك التأويلات الفاسدة والأوهام الكاسدة ، وقد بلغنا عنكم أمور كثير منافية للطريق بعضها وبعضها دلت عليه كتبكم وعفونا عنكم إلى أن بدأ هذا الأمر الفظيع الذى كاد أن يستأصل الطريق رأساً مما كنتم وكنا فى غنى عنه فقد علمتم أنه مات الأستاذ رضى الله عنه (أظنه أيضاً يقصد السيد أحمد بن إدريس) حتى ماترك له عدوا بمكة بل بالحجاز كله ، وأقمنا بعده سنتين وكسور وما أحد بمكة بل بالحجاز كله يتكلم فيه وفى أهل طريقته ببنت شفة إلى أن أخلفتمونا واشتغلتم بما اشتغلتم به حتى حصل ماحصل فيه وفى أهل طريقته طراً سابقاً

ولاحقاً من السب والتحذير والتنفير ماعم الآفاق حتى شاع وذاع فى الأمصار والأقطار بأن تلك الطريقة خوارج خوامس إعتقادهم فاسد فى الله ورسوله وسائر أنبيائه ، وسارت بذلك الركبان إلى كل مكان ، وعلماء السوء فى أشد التنفير والتقريع مابين ناظم وناثر وشاتم وزاجر ، وكل يقول أصل الشر ومؤثره أنت . أهكذا تكون الخلفاء ويقوم الإخوان مقام اخوانهم؟هيهات . ولـكن الرضا على النفس والسعى فى ملاذها يؤثر بما هو أعظم هذا : ونحن ندعوك إلى الخلاص وأنت كأنك مالك من مناص لأستحكام الأوهام القائمة بها ، وكائن الدسائس التى لاشعور لك بها فنحن فى واد وأنت فى واد ، رزقنا الله وإياكم الفهم بالله والإنقياد لآدابه على سنن خير أصفيائه وأحبائه .

ومنها كثرة الدعاوى التى شاعت عنكم وعمن معكم من الإخوان التى أطلقت ألسنة المنكرين بالبهتان والمين وادخلت على الإخوان الشرك فى أعمالهم فان كلها أوغالبها لاحقائق لها من كل وجه ، بل منشأها شغل القلب والفناء فيها ولهج الكل بها فتحصل تخيلات فكرية وخطابات نفسية مما هو معروف فى مبادى عزائم المريدين . وإقرار الشيوخ عليها مجرد تدريب لهم لينتقلوا منها إلى ماهو أكبر وإلى الله المفر ، لا أنها هى عين الوصول كما توهموه ، بل قيل فى الواردات الحقيقية ماأرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة أن الذى تطلب امامك ، ولاتبرجت ظواهر المكنونات بزينتها إلا ونادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر (. (١) .) المتجلى للمجاهد مطمح نظر حصول هذه الأمور كأنه ماخلق إلا لها من كثرة التمدح واللهج بها فصارت مجاهداتهم (. . . . . . (٢) . . . . . .) وعادة الأشياخ التحذير منها وكبر الهمة فى الله ، وليس المطلوب منك أن تدعهم يتظاهرون (. . . . . . . (٣) . . . . . .) نادباً لمعالى

(١) فقدت هذه الكلمة فتركنا مكانها بياضاً
(٢ و٣) فقدت الجملتان فترك محلهما بياضاً

الأمور مراقباً لهم مكبرا هممهم حتى يكونوا عبادا لله حقاً فان الشيخ متى مدح المريد فقد غشه . كم سمعتم منا ذلك ، وحذرناكم منه حال حياة الأستاذ رضى الله عنه وبعده ، فإنا لانريد لكم ولجميع الإخوان إلا معالى الأمور ومتوجهون إليكم فى ذلك (. . . . (١) . . . .) الحق والخلق وتدارك مايمكن تداركه بمايرضى الله ، وعلى جميع الإخوان منا التحيات وأن لنا بهم أعظم عناية .

وبهذه المناسبة نذكر الأبيات التالية من قصيدة توسل بها الشيخ على عبد الحق القوصى الصعيدى إلى الإمام الأكبر عقب التهمة التى ألصقت به وكان أحد ركنيها «الثانى هو الشيخ إبراهيم الرشيدى» . وكان الأمام الأكبر قد أمر بهجره تأديباً له ، وكان الهجر من أشد العقوبات .

لو سامحوا مهجورهم أو زاروا　　بالطيف ما قعدت به أوزار
ياخير من قرت به الأبصار　　وغدت مهاجرة له الأنصار
ياسيف دين الله ياقطب الهدى　　ياعين رحمته ويا قهار
يا قائما بالأمر لم يوجد سوا　　ك له تقلد أيها الجبار
ياصاحب الخلق العظيم وأيها ال　　بر الكريم الشاكر الصبار
جئنـاك ضر مسنا وأهلنا　　أسرى عزيز الكون من يمتاروا
أنت الحفيظ على خزائن ربنا　　وبحجر عفتك الأنام صغار
ببضاعة الأرواح مزجاة فا　　وف الكيل وأمنن أيها المكثار
بجزائل الصدقات للفقرا جـ　　زى المتصدقين الله مما ماروا
عن فعلنا جهلا بيوسف (.. (٢) ..) فى جب غي أغض يامتار

---

(١) فقدت هذه الجملة فترك محلها بياضاً
(٢) فقدت كلمة فترك محلها بياضاً

إلى أن قال :

وشراؤها زهداً ببخس ناقد　من جيفة ما إن لها مقدار
تالله قد أوثرت لاتثريب قل　الله يغفر أيها الغفـــار
ألق القميص على عيون وجوه ابـــيضت يعد من ريحك الأبصار
وقل ادخلوا مصر الأمانى آمنـــين المرّ كاسات الفيوض تدار
أبناؤك الغر اللآلى خصصتهم　بمناقب سبقت بها الأقدار
بشراهم بشراهم غبطتهم الأ　غوات إذ بخلت بها الأعصار
فهم العصابة أهل أن تهلك فما　فى الأرض يعبد بعدها الجبار
فهنوا وطاب النصح ما أخذتهم　فى الله لومة لائم إذ غاروا
صدعوا بأمر الله إجلالا له　والدين فى يد قابضيه النار
تحيى بقاع الأرض ما نزلوا بها　فكأنهم بوجوهها أمطـار
صاموا على الدنيا وضرتها فما　لهم بغير من ابتغوا أفطار
صرفوا نقود العمر فيه ومالهم　إلا القيام بحقه أو طار
يستغفرون من الكمال متى دعوا　فى كل أطوار الرضا أو طاروا
خافوه إجلالا وزلفاه رجوا　ما استعبدتهم جنة أو نار
من كل شائبة سواه تجردوا　لم تسطع استرقاقهم أغيار
أنسابه اعتلقوا به والناس قد　عكفو على عجل هو الدينار
ملك القناعة أحرزو وجلالةالـــتقوى ملوك دستهم اطمار

وفيما يلى ننقل صدره كتابه رضى الله عنه إلى أهل وجنقه .

قال بعد البسملة :

إنه من عبد ربه سبحانه محمد بن على بن السنوسى الخطابى الحسنى الإدريسى . إلى المكرم الأجل العمدة الأفضل الفقيه النبيه ولدنا الشيخ فرج الجنقاوى وكافة جماعة بلد وجنقة كبيرا وصغيرا ذكرا وأنثى سلم الله جميعهم وأنالهم من خير الدارين مرامهم آمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى

وبركاته وتحياته ومغفرته ومرضاته وبعد فالقصد المطلوب والأمر المرغوب هو السؤال عنكم وعن كلية أحوالكم جعلها الله جارية على منهاج كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم ، وثانياً . فإنا ندعوكم بدعاية الإسلام من طاعة الله ورسوله ، قال تعالى فى كتابه العزيز : (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) . وقال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) . وقال تعالى : (من يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) .

والطاعة هى امتثال أمر الله ورسوله من إقامة الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان ، وأداء زكاة الأموال . وحج بيت الله الحرام واجتناب مانهى الله عنه من الكذب والغيبة والنميمة وأكل أموال الناس بالباطل وشرب الخمر وقتل النفس بغير حق . وشهادة الزور ، وغير ذلك مما حرم الله ورسوله فبذلك تنالون الخير الأبدى والربح السرمدى الذى لا يعتريه خسران ولا يحوم حول حماه حرمان ، وقد طلب منا أناس من ذلك الطرق أن نبعث معهم بعض إخواننا يذكرون عباد الله ويعلموهم مافرض الله ورسوله عليهم ، ويهدوهم إلى سبيل الرشاد ، وعزمنا على ذلك لكون هذه الوظيفة هى التى أقامنا الله عليها ، ننبه الغافل ونعلم الجاهل ، ونرشد الضال . ولكن نحن الآن بالحرمين الشريفين . وعندما قدمنا لهذه النواحى اشتغلنا بدلالة العباد إلى الله . وما رأينا أحداً من ناحيتكم حتى نوجه معه من يعلم الناس دينهم الذى ارتضاه . والآن فإن أتباعنا — جماعة زوية — الذين هم أهل تزر (موقع) المعلومة عندكم قدموا إلينا وتابوا على أيدينا وطلبوا منا بناء زاوية بموقع تزر المذكورة . وقصدنا فى ذلك مجاورتكم وتعليمكم أنتم وأبناءكم كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإصلاح ذات البين . بينكم وبين هؤلاء العربان الذين يغيرون عليكم ويأخدون أبناءكم

وأموالكم عاملين بقوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) . وبقوله تعالى : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) . وبقوله تعالى : (لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء وجه الله فسنؤتيه أجراً عظيما) . فبذلك يحصل التعاون على البر والتقوى كما أمر الله بذلك فى قوله : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . وبقوله صلى الله عليه وسلم : كونوا عباد الله إخواناً وعلى الدين أعوانا ، وأما الفتنة والمنازعة لا خير فيها بل لقد نهى الله عنها فى كتابه العزيز بقوله : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) ، وإن شاء الله إذا امتثلتم أمرنا وتبعتم نصيحتنا فسيقدم عليكم بعض أبنائنا يعلمون أبناءكم كتاب الله . ويعلمون رجالكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخافون بعد ذلك إن شاء الله من أحد ، وترون من فضل الله ورحمته ما ليس عليه من مزيد . وبلغوا سلامنا وكتابنا هذا إلى كل من هو حولكم ممن يريد طاعة الله ورسوله وأتباع الكتاب والسنة ، وربنا تبارك وتعالى يجعلكم هادين مهديين دالين على الخير وبه عاملين بمنه وكرمه آمين . ودمتم بخير وعافية . ونعم متواترة ضـــافية ،

(٤ محرم الحرام سنة ١٢٦٦)

وفى هذه الرسالة التالية بخط يد الإمام الأكبر بعث بها إلى تلميذه ووكيله بمكة السيد عبدالله التواتى يظهر لنا اهتمامه بمسألتى الشيخ على عبدالحق والشيخ إبراهيم الرشيدى . كما تعطينا صورة عن كيفية ملكية الأرض التى تبنى عليها الزاوية . وهى عن طريق الشراء أوالهبة كما تقدم . وسنثبت صورة زنكوغوافية لهذه الرسالة . قال بعد البسملة :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه وعميم فضله وأحسانه أما بعد فقـــد علمنا ما ذكرتم وفهمنا ما إليه أشرتم ، وما ذكرتموه من

شأن الرباط المذكور وأنه فيه كذا وكذا خلوة وفيه موضع للصلاة بمحرابه فهذا أنسب من جميع ما ذكرتم فإن تيسر بلا كلفة فهو المطلوب فالله يجازى صاحبه خيراً ويكافيه لديه ذخراً إلا أنه ما علمنا حقيقة حاله ، هل فيه أحد ساكن أم لا ؟ فإن لم يكن فيه أحد فهو المطلوب ، وأن كان فيه أحد فسكنى الإخوان فيه مع غيرهم غير ممكن لأن المراد منه أن يكون محلا لإقامة ذكر الله وبث العلم على عادة ماعلمتوه من زوايانا السابقة ، وأيضا ما علمنا هل بإزائه ومحاذاته أرض براح أن اريد زيادة شيء فيه ليكون معداً لمن يفد على من فيه من الإخوان ؟ وما كيفية خلاويه من جهة السعة والضيق فأنتم لا بد من ذهابكم إليه مع الإخوان الأخ وهبو والأخ خورشد وتبصروا فيه وأخبرونا والله الميسر لنكتب لصاحبه على مقتضى ما آل إليه الأمر بينه وبينكم ، فإن هذا لما كان ملكا لا نريد خسارة ما صرفه فيه ، فإذا أعلمنا مبلغ ما صرفه فيه دفعناه له وتنزلنا منزلته والأجر حاصل له فى جميع الوجوه ، وسلموا منا عليه كثيراً . . . .

ولا بد تفحصوا من جهة الشيخ على عبدالحق بمصر ومن جهة الرشيد بالصعيد وما آل إليه أمرهما أو كل واحد منهما ، وليكن ذلك حاجة الأخ عيد ويصرف له الوجهة ما استطاع والله الميسر بمنه وكرمه) .

لم تحمل هذه الرسالة ككثير غيرها تاريخاً ، وإنما كانت رداً على رسالة كتبت بظهرها من السيد عبد الله التواتى إلى الإمام تحمل تاريخ ٢٨ صفر سنة ١٢٦٥ هـ .

وفى كتاب آخر من السيد الإمام إلى وكيله السيد عبد الله التواتى جاء فيه توصية الإمام عن بعض أسلحته الخاصه به — وقد ذكرنا فى غير هذا المحل من كتابنا هذا عناية الإمام بالسلاح — وجاء أيضاً فى نفس الكتاب مسألة تتعلق بزواج أحد الاخوان ، وسبق أن ذكرنا عن مسألة زواجهم وتحمل السيد الإمام بأعتباره الجهة العليا لنفقاة زواج الاخوان ، وجاء فيه أيضاً أن بناء الزوايا ومستلزماتها هو على حساب السيد الإمام إلا ما كان منها

هبة وقد ذكرنا عن ذلك فى غير هذا المحل ، ونسوق هنا بعض الجمل المنوه عنها من كتابه الكريم ، قال : وأما الصندوق الذى ذكرتم عنه فضعوا فيه مايحمله من السلاح بعد مسحه من غير أن تحلوا (لوالبه) لانى أخاف ضياعها كاول مرة ، وذلك الفرد الذى فيه جعبتان اعنى الذى معه الخنجر أبعثوه لنا عسى نجد من يصلحه هنا) وقال : وقد كنا ذكرنا لكم إنكم تعرفونا ماذا فعلتم فى الذى يلزمكم فى العمارة لنبعث لكم مانقص عنكم من ذلك ويسطرد الإمام فيخبر أنه سيرسل مبلغ من النقود لإعطاء معجل الصداق ونفقات الزواج لاحد إخوان ، ويظهر أن أحد المجاورين للزاوية بعث إلى السيد الإمام يستشيره فى مسألةزواج وهذا طبعا لم يكن من الطبقة المعينة التى يتحمل نفقات زواجها الامام وفى ذلك يقول رضى الله عنه فى نفس الرسالة : وأما أمر الاخ عمر السنوسى وما أراده من التزويج وما بعثه من الاستخارة والاستشارة فهذا أمر متوقف على معرفة حاله فان كان له قدرة على ذلك حضرا وسفرا من سكنى وكسوة ونفقة وأنيس فهو أعرف بمن يليق بحاله من النساء ، وإن كان غير ذلك فالحذر الحذر فان من تزوج فقد ركب البحر ومن ولد فقد غرق ، وإياه أن يتكل فى ذلك على غيره فان الظن غالبه يخيب سيما فى مثل هذه البقاع وإننا ندعو الله له بما فيه الرضا والخير والعاقبة الحسنة) وكان تاريخ هذه الرسالة ٢٩ شعبان ١٢٦٤ هـ

وجاء ملحق برسالة أخرى بخط الامام الاكبر هذا التوجيه التالى وسنثبته هنا زنكغرافياً .

« ملحق خير : والموكد به عليكم خفض الجناح ولين الجانب للخاص والعام من الناس، فقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان الرفق فى شىء إلا زانه ولانزع من شىء إلا شانه ، وإياكم وحرارة النفس وإتباع خباياها فانه دأب من لا خير فيه ولتكن فى الحال والمقال على ماينبغى والسلام » ، ويجد القارىء الكريم بكتابنا هذا بعض الصور الزنكغرافية لبعض مسودات بعض كتب الأمام الاكبر وبخط يده الكريمة .

كلمة شكر وتقدير

الآن وقد انتهيت من وضع كتابي هذا المختصر يسعدني أن أتوجه بشكري الخالص وامتناني العميق لحضرة الحسيب النسيب السيد عبد الله عابد السنوسي الذي دفعته أريحته الهاشمية الى التكرم بدفع تكاليف طبع كتابي هذا وذلك عندما علم أنني سلمته للمطبعة ، ورغم معارضتي الشديدة كان الحاحه أقوى وتأثيره أبلغ ، وبقدر ما أزجيه لحضرته من الشكر فأنني آسف لعدم ذكر إسمه كما جرت العادة أن يذكر إسم من طبع الكتاب على نفقته في أولى صفحات الكتاب ولكن الملزمة الأولى من الكتاب قد تم طبعها قبل أن يتفضل بما تفضل به مشكوراً .

ويسعدني أيضا ان أزجي خالص شكري وامتناني إلى حضرة شقيقه السيد احمد بن ادريس عابد السنوسي لما زودني به من مختلف المخطوطات والمعلومات التي لا نستطيع ان ننكر قيمتها التاريخيه والاثرية ، ولا يفوتني وأنا أختم كتابي هذا أن أذكر بترحم واحترام واجلال فقيد ليبيا الكبير السيد ابراهيم أحمد الشلحي الذي كان تواقا لأن يرى صدور كتاب يحمل بين دفتيه سيرة الإمام السنوسي العطرة وكثيرا ما كان يدفعني لأن أعمل على جمع ما يمكن جمعه من أنباء تلك السيرة التي تهم متتبعي تاريخ العرب والمسلمين بنوع عام وتاريخ ليبيا بنوع خاص . فبهذه المناسبة أذكره مترحماً على روحه الطاهرة وشكري الصادق إلى الاخ السيد السنوسي الشارف الغرياني — فقد زودني هو أيضاً بكل ما لديه من وثائق تتعلق بموضوعي هذا وكان قد ورثها بمكتبة والده . وإلى حضرة السيد سالم بن عامر وهو من المعنيين بجمع وتدوين تاريخ الحركة السنوسية ، وإلى العلامة السيد محمد الأخضر العيساوي وإلى كل من ساهم في إخراج كتابي هذا والله يتولى العاملين ويجزي الصادقين .

المؤلف

م . الطيب الأشهب

القاهرة : ٢٧ - ٧ - ١٩٥٦

مصادر الكتاب

المراجع العربية :

١ — الدرر السنية فى أخبار السلالة الادريسية
تأليف الامام الاكبر السيد محمد بن على السنوسى « مطبوع »

٢ — هداية الوسيلة فى إتباع صاحب الوسيلة
تأليف الامام الاكبر السيد محمد بن على السنوسى « مخطوط »

٣ — رسالة شاملة تتضمن البحث فى مسألتى القبض والتقليد
تأليف الامام الاكبر السيد محمد بن على السنوسى « مخطوط »

٤ — شذور الذهب فى محض محقق النسب
تأليف الامام الاكبر السيد محمدبن على السنوسى « مخطوط »

٥ — تعليق الامير شكيب ارسلان على كتاب حاضر العالم الاسلامى «مطبوع»

٦ — اليقظة العربية للأستاذ أمين سعيد (مطبوع)

٧ — رفع الستار عما جاء فى كتاب عمر المختار
لفضيلة الشيخ محمد الاخضر العيساوى (مطبوع)

٨ — المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب
للاستاذ احمد النائب الانصارى (مطبوع)

٩ — جلاء الكرب عن طرابلس الغرب
للرحالة التونسى محمد عثمان الحشائشى (مخطوط)

١٠ — الاسلام والنصرانيه لحكيم الشرق الامام محمد عبده (مطبوع)

١١ — صحراء ليبيا للأستاذ أحمد حسنين (مطبوع)

١٢ — برقة العربية أمس واليوم لمؤلف هذا الكتاب (مطبوع)

١٣ — الحلقة الاولى من سلسة كتاب : ادريس السنوسى
لمؤلف هذا الكتاب مطبوع

١٤ ـ (المهدى السنوسى) لمؤلف هذا الكتاب (مطبوع)
١٥ ـ برقة الدولة العربية الثامنة للاستاذ نيقولا زيادة (مطبوع)
١٦ ـ السنوسية دين ودولة للدكتور محمد فؤاد شكرى (مطبوع)
١٧ ـ العرب ـ تاريخهم ـ بين الوحدة والفرقة
للأستاذ كامل محمود المحامى (مطبوع)
١٨ ـ مخطوطات قيمة تحوى معلومات تاريخية نادره
١٩ ـ الاخوان السنوسيون لمؤلف هذا الكتاب (مخطوط)
٢٠ ـ اعيان ليبيا لمؤلف هذا الكتاب (مخطوط)

المراجع الافرنجية .

١ ـ لويس رين Lovls Rlnn
٢ ـ كتاب المسيو دوفرير Laconfrerie Musulmane Duveyrier
٣ ـ كتاب السنيور سـيَّرا الايطالى
٤ ـ كتاب البحاثة الانجليزى المستر بريشارد عن السنوسية
٥ ـ قاموس لاورس
٦ ـ السنوسية : للمؤرخ التركى شهبندر زاده احمد حلمى
٧ ـ حاضر العالم الاسلامى للمستشرق الامريكى لوتروب ستودارد
٨ ـ الشعب البرقاوى للبروفسور دوقستينى

تصويب

وقعت بعض الأخطاء المطبعية نأمل أن فطنة القارىء لا تحتاج إلى تصويبها وفيما يلي نصحح بعض هاتيك الأخطاء :

الخطأ	الصواب	سطر	صحيفة
تصبح	تعج	١٠	٤
جاءت به ومن أجل	جاءت به هذه الحركة	١٣	٦
أبو راس المعكرى	أبو راس المعسكرى	١٧	١٤
عبد القادر وأبو زوينة	عبد القادر أبو زوينة	١٣	١٥
بأحدث عزة	بأحدث عدة	٨	٢١
إلى مجال	إلى مجاهل	١٣	٢٢
قبائل زاوية	قبائل زوية	٥	٣٤
وقبائل زاوية	وقبائل زوية	٨	٣٤
زاوية المثان	زاوية المثنان	٨	٣٩
السنوسى	السوسى	٦	٤٠
وبحيطة	وبحطية	٨	٤٥
البكرى	البسكرى	١١	٥٠
السنوسى	السوسى	٢٥	٥٠
تشتمل	تشمل	١	٥٨
أنحبت	أنجبت	١٩	٥٩
صبت	صيت	١٢	٦٢
غيب	غير	١٣	٦٣

الخطأ	الصواب	سطر	صحيفة
فى قوامها	فى قومها	٢٣	٦٣
الزوايا البيضاء	الزاوية البيضاء	٢٤	٦٧
عظمة فى القصد	فى عظمة القصد	١٣	٧١
وقد افق	وقد اتفق	٩	٧٦
فبه الهمم	فيه الهمم	٨	٧٩
كتبت	كَثَبْت	٧	٨٢
الانحاء	الانحناء	١٨	٨٤
والشرف الدلين	والشرف الدالين	٢٠	٩٠
دوفريز	دوفرير	١١	١٠٦
البحر فاصبروا	البحر وقال : فاصبروا	١٦	١١٤
والمستعد لمجابهة	والاستعداد لمجابهة	٧	١١٨
يمنى إلى	ينمى إلى	١٢	١٢٥
لا نعرف الكلل	لا تعرف الكلل	٩	١٢٦
الجفر	الحفر	١	١٣٠
مت	أمت	٢١	١٣٠
وضوه	وصنوه	١١	١٣١
سمات	سملت	١٦	١٣١
ومتجعا	ومنتجعا	٣	١٣٢
للمجدين	للمجدبين	٣	١٣٢
البحر	والبحر	٩	١٣٢
أفوام	أقواما	٢	١٣٣
وحمر	واحمر	١٩	١٣٦
فن	فى	١٦	١٤٣

ملحوظة : (ص ١٥٢) وقع سهو فى بعض النسخ من قوله تعالى ومن يفعل ذلك ابتغاء وجه الله فسنؤتيه (وصحتها) ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما .

الفهرست